تاريخ المصريين

٢١٠

قبرس والحروب الصليبية

د. سعيد عبد الفتاح عاشور



الهيئة المصرية العامة للكتاب

قبرس والحروب الصليبية

تأليف

د. سعيد عبدالفتاح عاشور

أستاذ تاريخ العصور الوسطى
بكلية الآداب - جامعة القاهرة

الطبعة الثانية

الهيئة المصرية العامة للكتاب
٢٠٠٢

رئيس مجلس الإدارة

د. سمير سرحان

رئيس التحرير

د.عبد العظيم رمضان

مدير التحرير

محمود الجزار

تقديم

يسرنى أن أقدم للقارئ العزيز هذا الكتاب عن «قبرس والحروب الصليبية» الذى كتبه الأستاذ الدكتور سعيد عبدالفتاح عاشور، وهو عمل علمى كبير يشهد لكاتبه بالعلم والمقدرة والبراعة.

وقد صدر الكتاب فى طبعته الأولى فى عام ١٩٥٧، أى منذ نحو نصف قرن، وظل محتفظاً بقيمته العلمية دون منازع إلى اليوم، على الرغم من أن الكاتب كتبه فى شبابه، وتحت إشراف أستاذ كبير آخر هو الدكتور محمد مصطفى زيادة.

والكتاب ينقسم إلى خمسة أبواب: الباب الأول، ويتناول علاقة قبرس بالدولة الإسلامية حتى زمن الحروب الصليبية. والباب الثانى يتحدث عن دخول

قبرس دائرة الحروب الصليبية. أما الباب الثالث فيتحدث عن قبرس ودولة المماليك الأولى. ويتحدث الباب الرابع عن قبرس ودولة المماليك الثانية. أما الباب الخامس فيتحدث عن قبرس والترك فى آسيا الصغرى.

والكتاب يتتبع أهمية موقع قبرس كقنطرة بين الشرق والغرب، ويتحدث عن تبعيتها للدولة البيزنطية، وبدايات تفكير المسلمين فى فتح قبرس، وموقف خلفاء الدولتين الأموية والعباسية من قبرس، وتنقل الجزيرة بين الدولتين الإسلامية والبيزنطية، حتى استرداد البيزنطيين الجزيرة عام ٩٦٥.

كما يتحدث عن استيلاء ريتشارد الأول على الجزيرة فى عام ١١٩١م، وإسهامها منذ ذلك الحين فى الحروب الصليبية. فلما انتهت الحروب الصليبية باستيلاء المسلمين على عكا فى عام ١٢٩٤، لم تنته بالنسبة لقبرس! إذ فتحت أبوابها لكل مغامر يريد أن يشارك فى حرب المسلمين عسكرياً واقتصادياً، حتى أرسل السلطان برسباى ثلاث حملات غزت الجزيرة (١٤٢٤ ـ ١٤٢٦) واستولت عليها، وجعلت منها ولاية تابعة للدولة المملوكية الثانية.

وقد تابع الأستاذ الدكتور سعيد عبدالفتاح عاشور هذه الأحداث والتطورات التاريخية معتمداً على أدق المصادر المعاصرة وغير المعاصرة.

وأملى أن يلقى هذا الكتاب ما يستحق من اهتمام الباحثين والمثقفين.

والله الموفق ،،

رئيس التحرير

د. عبدالعظيم رمضان

قبرس والحروب الصليبية

بسم الله الرحمن الرحيم

تصدير

أثبتت الأحداث التى تعرض لها الشرق الأدنى عقب الحرب العالمية الثانية أهمية الدور الذى يمكن أن تؤثر به جزيرة قبرص فى مصائر هذا الركن الهام من أركان العالم . فعندما اضطرت القوات البريطانية إلى الجلاء عن مصر بمقتضى اتفاقية سنة ١٩٥٣ ، لم يجد الإنجليز بقعة أكثر صلاحية لتحقيق أطماعهم فى الشرق الأدنى من جزيرة قبرص ، فاتخذوا منها قاعدة كبرى لقواتهم الحربية فى شرقى البحر المتوسط .

ويفسر هذا المسلك من جانب الحكومة البريطانية ما يقوله أحد الباحثين الإنجليز — وهو سير جورج هل — من أن قبرص قلعة لا بد منها لمن يريد السيطرة على الركن الشرقى من حوض البحر المتوسط . ولعل هذا هو السبب فى تمسك الإنجليز الآن بقبرص على الرغم من المتاعب الشديدة التى يواجهونها فى الجزيرة نتيجة لما يبديه أهلها من مقاومة باسلة . وأعظم ما يدل على أهمية الدور الذى يمكن أن تلعبه جزيرة قبرص فى مصائر شعوب الشرق الأدنى ، هو ما تكشفت عنه الحوادث الأخيرة عندما حشدت الحكومة البريطانية فى قبرص قواتها وقوات حلفائها للقيام بهجومهم الفاشل على مصر فى أواخر العام الماضى ، هذا فضلا عن استغلال قرب الجزيرة من البلاد العربية المتحررة فى تهديدها والضغط عليها ومحاولة تسميم الرأى العام فيها بإذاعتها المغرضة .

على أن الإنجليز فى العصور الحديثة لم يكونوا أول من استغل موقع جزيرة قبرص فى تهديد العالم العربى ، إذ سبق أن أدرك الصليبيون فى العصور الوسطى

أهمية ذلك الموقع فى الحروب الصليبية التى بدأت فى أواخر القرن الحادى عشر الميلادى . وهكذا قدر لجزيرة قبرص أن تسهم بدور فعّال خطير فى الحروب الصليبية ، وهو الدور الذى خصصت هذا البحث لدراسته دراسة مفصلة .

ولما كان الدور الذى قامت به قبرص خلال ذلك الصراع الطويل بين المسلمين والمسيحيين فى العصور الوسطى لم يأت لغوا ، و إنما أملته دوافع متعددة وآذنت به مقدمات كثيرة ، فإنى وجدت لزاما على أن استهل الموضوع ببحث هذه الدوافع والمقدمات ممثلة فى موقع الجزيرة الجغرافى وأثره فى تاريخها العام ، وفى علاقة قبرص بالدولة الإسلامية حتى قيام الحروب الصليبية . ومن الكتب التى أفادتنى كثيراً فى هذا الجزء بالذات تواريخ البلاذرى والطبرى وابن الأثير وهل ، عدا كتب المكتبة الجغرافية .

على أن قبرص لم تسهم فى الحروب الصليبية إسهاما فعليا إلا بعد أن دخلت دائرتها باستيلاء ريتشارد على الجزيرة سنة ١١٩١ م ، وتحولها فى العام التالى إلى مملكة مستقلة تحت حكم آل لوزجنان ؛ إذ غدت الجزيرة منذئذ محط الكثير من الحملات الصليبية والجماعات المسيحية الأخرى التى أتت مجاهدة من أوربا إلى الشرق ، ولم يعطها المؤرخون صفة عددية على الرغم من أن بعضها فاق الحملات المعروفة فى الأهمية . هذا إلى أن الصليبيين المقيمين بالشام اعتمدوا على جزيرة قبرص فى إمدادهم بالرجال المؤن فى كثير من الأحيان ، لا سيما فى الفترات التى غدا آل لوزجنان ملوكا كذلك على مملكة بيت المقدس الصليبية . واستعنت فى شرح تلك المساعدات التى قدمتها قبرص للصليبيين بأوفى وأدق المصادر الصليبية من عربية وأفرنجية ، ولا سيا مجموعة مؤرخى الحروب الصليبية المعاصرين المسماة : **Recueil des Historiens des Croisades** كما رجعت إلى كثير من الكتب المتأخرة التى عالجت الحروب الصليبيه مثل مؤلفات جروسيه وميشو وستفنسن وغيرهم .

ومن المعروف أن الحروب الصليبية لم تنته باستيلاء المسلمين على عكا سنة ١٢٩١ م وإنما ظلت قرونا بعد ذلك ، حملت قبرس طوالها لواء تلك الحروب ففتحت أبوابها لكل مغامر يريد أن يشارك فى حرب المسلمين عسكريا أو اقتصاديا ، وأسهم ملوكها فى مشروعات دعاة الحروب الصليبية طوال القرنين الرابع عشر والخامس عشر للميلاد ، كما عملوا على شن الغارات المتتابعة على شواطىء المسلمين. ويبدو أن تطرف الجزيرة نحو الشرق ، وإحساس أهلها بالخطر الإسلامى جعل ملوك اللوزجنان أكثر تحمسا ونشاطا من غيرهم من القوى المسيحية فى حرب المسلمين . ومن الكتب التى أفادتنى كثيراً فى هذا الجزء كتاب الدكتور عزيز سوريال عطية فى الحروب الصليبية فى العصور الوسطى المتأخرة ، كما اعتمدت فى هذا الجزء كذلك على النويرى وماشو ، وكلاهما معاصر وشاهد عيان لحملة الملك بطرس لوزجنان على الإسكندرية سنة ١٣٦٥ م .

ولكن المسلمين من جانبهم لم يسكتوا عن عدوان قبرس وملوكها ، فأخذوا يتحينون الفرص للانتقام ، حتى أرسل السلطان برسباى ثلاث حملات غزت الجزيرة (١٤٢٤ — ١٤٢٦ م) واستولت عليها وجعلت منها ولاية تابعة للدولة المملوكية الثانية . وتعتبر هذه الغزوات فى مجموعها إحدى الأعمال التى قام بها المسلمون للرد على العدوان الصليبى ، وتعرف كلها باسم الحروب الصليبية الضدية **Counter Crusades** واعتمدت فى بحث الفتح المملوكى لقبرس على أدق المصادر المعاصرة وغير المعاصرة ، وهى كثيرة فى العربية واللغات الأوربية سواء ، مثل كتابات صالح بن يحيى ، وابن حجر ، وأبى المحاسن ، العينى ، والمقريزى ، ومخايراس كما استرشدت فى استخدام هذه المراجع بما كتبه الأستاذ الدكتور محمد مصطفى زيادة من بحث فى ذلك الموضوع ؛ وهو البحث الذى اعتمد عليه أخيرا سير چورج هل فى كتابه عن تاريخ قبرس .

ولم يقتصر عداء قبرص للمسلمين إبان عصر الحروب الصليبية على توجيه الضربات للدولة المملوكية بمصر والشام ، بل تعداه إلى فريق آخر من المسلمين تجاور بلادهم جزيرة قبرص ، وهم الأتراك السلاجقة وما تفرع عن سلطنتهم من إمارات. ولذا أفردت الباب الأخير من هـذا البحث لتتبع العلاقات بين ملوك اللوزجنان والأتراك بآسيا الصغرى،ووجدت فى مؤلفات مخايراس، وماس لاترى، والعمرى ، ما ساعدنى كثيرا على تتبع أطوار العلاقات بين قبرص والإمارات التركية التى قامت على أنقاض سلطنة الروم السلاجقة .

ولمـا كان الختام الطبيعى لموضوع العلاقات بين قبرص والأتراك هو فتح السلطان سليم الثانى العثمانى لقبرص سنة ١٥٧٠ م ، فإننى ختمت البحث بهـذا الفتح الذى نقل قبرص من دائرة الحروب الصليبية والعصور الوسطى إلى دائرة النضال بين الدولة العثمانية والدول الأوربية فى العصور الحديثة . واعتمدت فى بحث هذا الجزء الأخير على كتابات المعاصرين الذين شهدوا حوادث ذلك الفتح بأنفسهم مثل كالبيو ، وباروتا ، وسوزومينو ، وفالشتى ، وهم الذين جمع كتاباتهم وترجمها إلى الإنجليزية الأستاذ كوبهام . هذا عدا طائفة من المؤرخين المحدثين استعنت بآرائهم فى دراسة ذلك الفتح مثل هامر ، وهل ، وأومان وغيرهم .

* * *

وبعد ، فإنه لا يسعنى فى ختام هـذا التصدير سوى أن أتقدم بالشكر إلى أستاذى الدكتور محمد مصطفى زيادة ، أستاذ تاريخ العصور الوسطى بجامعة القاهرة ؛ وهو الذى لم يقف دوره فى هـذا البحث عند حد الإشراف والتوجيه فحسب ، بل تعداه إلى المراجعة والإرشاد ، فى روح من العطف والأمانة العلمية يعرفها عنه كل من تلمذ عليه .

فله منى فوق الشكر على حسن صنيعه ؟

فى شهر شوال سنة ١٣٧٦
مايو سنة ١٩٥٧

المؤلف

فهرس موضوعات الكتاب

صفحة

فهرس خرائط الكتاب

صفحة

الباب الأول

قبرس وعلاقتها بالدولة الإسلامية

حتى زمن الحروب الصليبية

قبرس قنطرة بين الشرق والغرب — أثر هذا الموقع فى تاريخها العام — الثروة الطبيعية فى قبرس — تبعية الجزيرة للدولة البيزنطية — ظهور الإسلام واتساع الدولة الإسلامية — تفكير المسلمين فى فتح قبرس — غزو معاوية والى الشام للجزيرة سنة ٦٤٨ م — نقض القبارسة لشروط الصلح مع المسلمين — غزو معاوية لجزيرة قبرس مرة أخرى سنة ٦٥٢م — موقف خلفاء الدولتين الأموية والعباسية من قبرس — تنقل الولاية على قبرس بين الدولتين الإسلامية والبيزنطية — استرداد الدولة البيزنطية للجزيرة سنة ٩٦٥م — استقلال اسحق كومنين بحكم قبرس سنة ١١٨٤ م .

اختتم القرن الحادى عشر الميلادى بقيام الحروب الصليبية ببلاد الشام ، وأخذت القوات الأوربية التى أسهمت فى تلك الحلقة الجديدة من سلسلة النضال بين الشرق والغرب ، تؤسس لنفسها دولا وإمارات فى الشرق ؛ كما أخذت القوات الإسلامية — وهى الطرف الثانى فى ذلك النضال — تنمو رويداً حتى استطاعت أن تقف من القوى الصليبية موقف الهجوم الذى لم ينته إلا بانتهاء الصليبيين أنفسهم من الشرق .

والذى يهمنا من هذه القصة المتعددة الفصول هو أن الحروب الصليبية ولدت فى عشر السنوات الأخيرة من القرن الثانى عشر الميلادى مملكتين مسيحيتين جديدتين بشرق البحر المتوسط ، هما مملكة قبرس ومملكة أرمينية الصغرى .

وهاتان المملكتان على الرغم من تداخل تاريخهما بعضه فى بعض فى فينات متعددة ، فإنهما يختلفان اختلافا بيناً تبعاً للوضع الجغرافى الخاص والأحداث السياسية التى تعرضت لها كل منهما[١] . و إذا كانت أرمينية الصغرى قد قامت بدور هام فى تاريخ الحروب الصليبية ، فإن قبرس قامت بدور أجل خطراً وأعظم شأناً لا فى تاريخ الحروب الصليبية فحسب ، بل وفى تاريخ الشرق الأدنى كله .

على أن الدور الذى أسهمت به قبرس فى الحروب الصليبية لم يأت عفواً أو وليد المصادفة كما يتبادر للذهن ، و إنما يستطيع المتأمل فى حوادث تلك الحروب ومسارحها إبان القرن الثانى عشر الميلادى أن يتنبأ بما سوف يكون من نصيب هام فيها لتلك الجزيرة التى تقع من جهة فى طريق الحملات الصليبية الوافدة من الغرب ، والتى تطل من جهة أخرى على بلاد الشام . ولا أقل إذاً من دراسة موقع قبرس الجغرافى وأثره فى تاريخها بوجه عام ، وأثناء العصور الوسطى بوجه خاص .

تقع جزيرة قبرس وسط الركن الشمالى الشرقى من البحر المتوسط ، بين خطى عرض ٣٤° ، ٣٦° شمالا ، وخطى طول ٣٢° ، ٣٥° شرقاً. وهى ثالثة جزائر ذلك البحر الهادىء بعد صقلية وسردينيا ، وتاريخها يشبه تاريخ صقلية بالذات فى كثير من المراحل . وتبلغ مساحة قبرس نحواً من ٣٥٨٤ ميلا مربعاً ، مما جعل الجغرافيين العرب يعتبرونها من «أعظم جزائر بحر الروم».[٢] ثم إنها تكاد تكون على مسافة متعادلة بين آسيا الصغرى و بلاد الشام مما جعل مصايرها مرتبطة أشد الإرتباط بهذين البلدين ، بل إن وقوعها بين ثلاث قارات جعلها منذ القدم قنطرة بين الشرق والغرب . ومن هنا يظهر الفرق الواضح بين الجزائر التى توجد مبعثرة وسط المحيطات الواسعة ، بعيدة عن طرق الملاحة والمؤثرات الحضارية المختلفة إلا

(1) Stubbs : Seventeen Lectures on the Study of Mediaeval and Modern History, p. 181.

(٢) ابن خرداذبة : المسالك والممالك ص ٢٣١ .

أحياناً قليلة ؛ وتلك التى توجد فى بحار ضيقة وعلى مقربة من شواطىء القارات وما يجرى فيها من تيارات سياسية أو تجارية أو ثقافية ؛ إذ لا يقتصر الأمر فى ذلك الصنف الثانى على التأثر بهذا أو ذاك من المؤثرات ؛ بل تكون بمثابة المحطة التى تستقر فيها تلك المؤثرات قبل أن تنتقل عنها إلى ما وراءها من البلاد[1] .

وتاريخ قبرص ورودس ومالطة وكريت وصقلية وسردانية مصداق لكل ذلك ؛ ولعل تاريخ قبرص بوجه خاص هو المثل التوضيحى للدلالة على ما لهذا النوع من الجزائر من أهمية فى تاريخ الحضارات[2] . ففى تلك الجزيرة اصطدم الجنس السامى بالجنس الآرى ، وبين ربوعها التقى الشرق بالغرب على مر القرون ، وفى رقعتها الضيقة اجتمع الإسلام والمسيحية[3] .

على أن موقع قبرص الجغرافى بين الشرق والغرب لم يكن المصدر الوحيد لأهميتها فى التاريخ ؛ بل إن ثروتها الطبيعية جلبت لها شهرة واسعة من قديم الزمان . وأول هذه معدن النحاس الذى اشتق اسمه من اسم الجزيرة فى معظم اللغات الأوربية بل واللغة العربية أيضاً[4] . يضاف إلى ذلك كروم قبرص الممتازة ونبيذها الجيد الذى مازال يتمتع بشهرة عالمية واسعة . ثم إن الجزيرة فضلا عن ذلك تنبت بها الحبوب والخضير والقطن والفاكهة وقصب السكر ، ويستخرج منها الملح والأخشاب وعسل النحل والشمع وزيت الزيتون والميعه والمصطكى[5] .

وإذا كانت قبرص قد امتازت بحسن موقعها الجغرافى وصلاحيتها لأن تكون مركزاً تجارياً وحربياً من الطراز الأول، كما امتازت بخصوبة تربتها ووفرة

---

(1) Febvre : A Geographical Introduction to History, p. 220.

(2) Semple : The Influences of Geographical Environment, p. 427.

(3) Ibid.

(٤) يذكر ياقوت فى معجمه (حـ ٧ ص ٢٦) أن قبرص وافقت من العربية التبرس وهو النحاس الجيد .

(٥) الكرخى : مسالك الممالك ص ٧٠ .

غلاتها وتنوع حاصلاتها ، فإن تلك المميزات جاءت فى الواقع نكبة عليها وسبباً فى استعمارها فينة بعد أخرى[1] . وأول ذلك من المقطوع به فى التاريخ استعمار الفينيقيين الذين قصدوا قبرس طمعاً فى نحاسها لخلوا بها زمناً غير قصير[2] . كذلك أسس الإغريق لأنفسهم عدة مستعمرات بقبرس حتى غزاها تحتمس الثالث سنة ١٥٠٠ ق . م . وجعلها جزءاً من امبراطوريته المصرية الواسعة . ثم تعاقب على قبرس الأشوريون فالمصريون من جديد فالفرس فالمقدونيون فالبطالمة فالرومان ، حتى كان تقسيم ثاوداسيوس الأول للإمبراطورية الرومانية بين ولديه سنة ٣٩٥ م فغدت قبرس من نصيب الدولة الشرقية وبقيت تابعة لتلك الدولة حتى ظهور الإسلام واتساع دولة المسلمين على حساب كل من الدولتين الفارسية والبيزنطية .

وقد أدرك المسلمون إبان موجة فتوحهم الأولى أهمية قبرس فى سبيل ماعقدوا النية عليه من مهاجمة الدولة البيزنطية فى عقر عاصمتها ، كما فعلوا بالدولة الفارسية والمدائن . غير أنه مما يستبعد من دائرة الاحتمالات التاريخية الرواية القائلة بأن المسلمين غزوا قبرس أول مرة سنة ٦٣٢ م على عهد أبى بكر الصديق ، وأن ممن استشهدوا فى تلك الغزوة ابنة أبى بكر التى يعظم مسلمو الجزيرة قبرها المزعوم حتى الآن . ذلك أنه لا يوجد فى كتب السيرة وغيرها من المراجع الإسلامية الأولى ما يشير أدنى إشارة إلى احتمال خروج أبى بكر من الجزيرة العربية والقيام بغزوة فى قبرس . ثم أنه ليس من المعقول أن يخرج المسلمون فى غزوة فى البحر المتوسط دون أن يكون لهم بشواطئه ثغر ينفذون منه إلى الغزو . والقصة كلها فيما يبدو من خيال كاتب يونانى[3] .

---

(1) Lucas : A Historical Oecgraphy of the Mediterranean, p. 40.

(2) Ibid.

(3) Hill : A History of Cyprus, p. 283.

والواقع أن معاوية بن أبى سفيان والى الشام على عهد الخليفة عمر بن الخطاب هو أول من فكر فى غزو جزيرة قبرس لتأمين أطراف الدولة الاسلامية من جهة والاستعداد لمواصلة الجهاد ضد الدولة البيزنطية من جهة أخرى . وألح معاوية على ابن الخطاب فى طلب الموافقة على فتح قبرس لشدة قرب الجزيرة من بلاد الشام والفتوح الإسلامية حتى أنه قال له مره « إن قرية من قرى حمص ليسمع أهلها نباح كلابهم وصياح دجاجهم»[1] . ولكن عمر لم يشأ أن يغامر بجند المسلمين فى مخاطرة بحرية ، فكتب أولا إلى عمرو بن العاص يستشيره ويسأله أن يصف له البحر؛ فأجابه عمرو إجابة صارت مضرب الأمثال فى وصف البحار إذ قال « إنى رأيت خلقاً كبيراً يركبه خلق صغير . ليس إلا السماء والماء . إن ركن خرق القلوب ، وإن تحرك أزاغ العقول ، يزداد فيه اليقين قله والشك كثره هم فيه كدود على عود إن مال غرق وإن نجا برق»[2] .

فلما قرأ الخليفة كتاب عمرو بن العاص قال « لا والذى بعث محمدا بالحق ، لا أحمل فيه مسلما أبدا »[3] . وبذا نام مشروع غزو قبرس ، ولكن إلى حين. ذلك أنه بعد مقتل عمر ، عاد معاوية إلى الإلحاح عند الخليفة عثمان ؛ فخشى عثمان أن يخالف رأى عمر من جهة ، كما خشى أن يعرض أرواح المسلمين لخطر البحر من جهة أخرى ، فأرسل إلى معاوية يفهمه أنه إطلع على ما سبق أن رد به عمر على المشروع[4] . غير أن معاوية لم ييأس ، إذ كان يعلم أن عثمان غير عمر من حيث لين العريكة ، فاستغل مركزه عند الخليفة الجديد وأخذ يلحف فى طلبه مراراً حتى أذعن عثمان ، على شرط ألا يجبر معاوية أحداً من المسلمين بالشام

---

(١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ح ٣ ص ٧٣ ، الطبرى ح ١ ص ٢٨٢٠ .
(٢) ابن الأثير الكامل فى التاريخ ح ٣ ص ٧٣ — ٧٤ ، الطبرى ح ١ ص ٢٨٢٠ .
(٣) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ج ١ ص ٢٨٢١ ، ابن الأثير ح ٣ ص ٧٤ .
(٤) البلاذرى : فتوح البلدان ص ١٥٣ — ١٥٤ .

على ركوب البحر ، فمن اختار الغزو طائعاً مختاراً ذهب ، ومن أعرض عن ركوب البحر فلا حرج عليه[١] .

وعندما أعد معاوية عدته خرجت الحملة الاسلامية بقيادته من عكا لغزو قبرس سنة ٦٤٨ م (٢٨ هـ) ، بعد أن شاركت فيها مصر بعدد من أهل الإسكندرية العارفين بشئون البحر تحت قيادة عبد الله بن سعد بن أبي سرح[٢] . وأسندت قيادة السفن فى تلك الحملة الاسلامية البحرية الأولى لعبد الله بن قيس الجاسى[٣] . و بدا الاقبال على هذه الغزوة أشد مما كان يتصوره عثمان ، وحسبنا أنه اشترك فيها نفر كبير من الصحابة منهم أبو ذر الغفارى ، وعبادة بن الصامت وزوجته أم حرام ، وأبو الدرداء ، وشداد بن أوس ... كما أن معاوية اصطحب معه أخته فاختة[٤] .

واختلف المؤرخون فى تقرير سفن الأسطول الاسلامى فى تلك الغزوة . فقدرها بعضهم من الإغريق بسبعمائة سفينة[٥] ،وقدرها لانج بمائة وسبع عشرة[٦] على حين ذهب هل إلى القول بأنها كانت مكونة من ألف وسبعمائة قطعة[٧] . أما المراجع الاسلامية فلم تتعرض لمشكلة العدد فى ذلك الأسطول الاسلامى الأول بكلمة واحدة ، و يبدو أن مارددته المراجع السابقة مبنى على ما عرف من أعداد السفن فى بعض الحملات الاسلامية على القسطنطينية فيما بعد . وكيفما كان الأمر فإن تلك الحملة وصلت إلى قبرس سالمة ، فطلب معاوية من أهلها التسليم ودفع

---

(١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حـ ٣ ص ٧٤ .

(٢) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك حـ ١ ص ٢٨٢٦ .

(٣) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حـ ٣ ص ٧٤ .

(٤) الطبرى : حـ ١ ص ٢٨٢٠ ، ابن الأثير حـ ٣ ص ٧٣ ، البلاذرى ص ١٥٣ .

(5) Jauna. Histoire Generale des Royaumes de Chypre, de Jerusalem, p. 56

(6) Lang : Chypre, p. 105.

(7) Hill : A History of Cyprus, p 284.

الجزية ؛ ولكنهم رفضوا وتحصنوا داخل أسوار مدنهم ولم يدر معاوية عندئذ ما ينبغى أن يفعل فى مثل ذلك الموقف من حروب البحار ؛ حتى أشار عليه أهل الأسكندرية بالنزول إلى البر ، فوافق على ذلك ، ولم يلبث أن حاصر المسلمون مدينة قنسطانطيا بالشاطئ الشرقى واستولوا عليها[1] . ثم نزل جنود الحملة بعد ذلك وانتشروا فى مختلف الجهات المجاورة « فقتلوا خلقا كثيرا وسبوا سبايا كثيرة وغنموا مالا جزيلا » على قول ابن كثير[2]. وعندئذ أذعن أهل الجزيرة وأرسل أرخونها يطلب الصلح ، فصالحه معاوية على شروط خلاصتها ؛ أن يدفع القبارسة جزية سنوية للمسلمين مقدارها سبعة آلاف دينار ، على أن يدفعوا مثلها للدولة البيزنطية ولا يمنعهم المسلمون عن ذلك[3]، أى أن المسلمين لم يهتموا بأن يكونوا سادة الجزيرة وحدهم ، بل قبلوا أن تكون مناصفة بينهم و بين الروم[4]. كذلك اشترط المسلمون على القبارسة أن يخبروهم بما سوف يتجهز به الروم للاغارة على البلاد الإسلامية حتى يحتاطوا و يأخذوا عدتهم .

ومن هذا الشرط الأخير يتضح لنا أن المسلمين أدركوا أهمية موقع الجزيرة بالنسبة لممتلكاتهم فى الشام ، وخافوا أن يتخذها أعداؤهم قاعدة للهجوم عليهم. واشترط المسلمون فضلا عن ذلك أن تكون قبرس طريق المسلمين إلى البلاد البيزنطية . ومعنى هذا الشرط — الذى انفرد بذكره ابن الأثير[5] — أن المسلمين أرادوا أن يجعلوا من قبرس قاعدة للهجوم على بلاد الدولة البيزنطية فيما بعد ، وهذا يتفق فى الواقع مع ما أشار إليه ابن خرداذ به من دأب الأساطيل

---

(1) Hill : A History of Cyprus, p. 284.

(٢) ابن كثير البداية والنهاية ح ٧ ص ١٥٣ .

(٣) البلاذرى ص١٥٣ ، ابن الأثير ح ٣ ص٧٤ — ٧٥ ، الطبرى ح ١ ص٢٨٢٦ .

(4) Hill : A History of Cyprus, p. 284.

(٥) ابن الأثير الكامل فى التاريخ ح ٣ ص ٧٤ .

الإسلامية على التجمع بجزيرة قبرس كلما تأهبت للغزو فى بلاد الدولة البيزنطية[١] . وأخيراً إشترط العرب على القبارسة عدم تقديم أية معونة إلى أعدائهم .

ثم رحل معاوية عن قبرس فى شىء من السرعة لسماعه — فيما قيل — بأن حملة بيزنطية من قبل الإمبراطور قنسطانس الثانى (وهو المسمى أيضا قنسطنطين الثالث ٦٤١ — ٦٦٨ م) تقترب من الجزيرة[٢] . وهو سبب معقول، وإن كنا نظن أن السبب الأرجح فى جلاء معاوية السريع يتمثل فى الفتنة التى أخذت تدب فى جوف الدولة الإسلامية عندئذ ، وإحساس معاوية بضرورة وجوده فى مقر ولايته بالشام . ومهما كان الأمر ، فالمعروف أن المسلمين خرجوا مسرعين من قبرس ، وأن أم حرام بنت ملحان زوجة عبادة بن الصامت سقطت عن ظهر بغلتها الراكضة فاندق عنقها ودفنت بالجزيرة[٣] . وما زال قبرها حتى العصر الحاضر — ببلدة حلا سلطان تكى — يعظمه مسلمو قبرس ويسمونه قبر المرأة الصالحة[٤] . ولعل هذا القبر هو أصل القصة التى جعلت لإبنة أبى بكر قبرا فى قبرس[٥] .

وبينما تضرب الفتنة أطنابها فى الدولة الإسلامية ،وصلت الأخبار إلى معاوية بأن أهل قبرس نقضوا العهد ، فأمدوا إمبراطور الدولة البيزنطية قنسطنطين الثالث بسفن يستعين بها على حرب المسلمين ، كما بلغ معاوية أن الامبراطور يعمل على تعزيز قواته بقبرس وزيادتها . ولهذا صمم معاوية من ناحيته على القيام بغزو قبرس مرة أخرى سنة ٦٥٣ — ٦٥٤ م (٣٣ هـ) ؛ وكان أسطوله تلك المرة مكونا من

---

(١) ابن خرداذبة : المسالك والممالك ص ٢٥٥ .

(2) Hill : A History of Cyprus, p. 284.

(٣) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حـ ٣ ص ٧٤ .

(٤) البلاذرى : فتوح البلدان ص ١٥٤ ، Hill, p. 248.

(٥) أنظر ماتقدم ص ٤ .

خمسمائة سفينة (١) ، و يبدو أن القبارسة كانوا قد ذاقوا الكثير من غزوة المسلمين السابقة فلم تقترب السفن الإسلامية من الجزيرة تلك المرة الثانية حتى فر الأهالى إلى الجبال على حين ركب بعضهم البحر طلبا للنجاة (٢) . أما المسلمون فلم يكتفوا بالغزو ، بل ظلوا بالجزيرة حتى فتحوا البلاد التى صالحوا عليها قبلا فتحا حربيا ، وانتهى الأمر بين الطرفين بإقرار شروط الصلح السابقة (٣) . ولم يفكر معاوية فى الجلاء عن الجزيرة كما فعل أول مرة ، بل أرسل إليها غداة عودته إلى الشام إثنى عشر ألفا من الجند ، كما نقل إليها جماعة من أهل بعلبك ؛ وما زال هؤلاء وأولئك بجزيرة قبرس حتى قيام الدولة الأموية سنة ٦٦٠ م (٤٠ هـ)(٤). واعتنى معاوية بأمر تلك الجالية الإسلامية التى أرسلها إلى قبرس فتعهدها برعايته حتى تمكن أفرادها من تشييد مدينة خاصة بالمسلمين فى الجزيرة كما أقاموا عددا من المساجد ، مما جعل بعض المؤرخين يعتبرون تلك الغزوة أول خطوة من جانب المسلمين لاستيطان الجزيرة واحتلالها احتلالا دائماً (٥) .

ثم خلف يزيد أباه معاوية سنة ٦٨٠ م وهنا يقول البلاذرى إن يزيداً استدعى إليه تلك الجالية الإسلامية الكبيرة من قبرس ، كما أمر بهدم المدينة التى بناها المسلمون لأنفسهم بالجزيرة . ثم يقول البلاذرى فى رواية أخرى إن يزيداً لم يفعل ذلك إلا بعد أن رشى بمال عظيم ، وأن القبارسة هم الذين هدموا مدينة المسلمين ومساجدهم بعد جلائهم عن الجزيرة (٦) . غير أن فلهوسن يتشكك

---

(١) البلاذرى : فتوح البلدان ص ١٥٣ .

(2) Hill; op. cit. p 285.

(٣) البلاذرى : فتوح البلدان ص ١٥٣ .

(٤) ابن الأثير حـ ٣ ص ١٠٧ ، البلاذرى ص ١٥٣ .

(5) Enc. Isl. Art. Cyprus (p. 282) ; Hill, p. 285

(٦) البلاذرى : فتوح البلدان ص ١٥٣ — ١٥٤ .

فى هذه الرواية الثانية إلى حد بعيد لعدم وجود ما يؤيدها فى المراجع الأخرى[1]؛ ويبدو أنه على حق إذ أنه لا يوجد فى المراجع المعاصرة ما يشير إلى أن القبارسة قاموا بأى عمل عدائى ضد المسلمين بل ظلوا على دفع الجزية المقررة ، كما حافظوا على شروط صلح معاوية حتى كانت سنة ٦٨٨ م (٦٩ هـ) وهى السنة التى صالح فيها الخليفة عبد الملك بن مروان (٦٨٥ — ٧٠٥ م ، ٦٥ — ٨٦ هـ) الإمبراطور جستنيان الثانى على أرمينيه وقبرس ، على أن يكون للخليفة ألف دينار زيادة على النصف الخاص بالمسلمين من الجزية القبرسية[2] .

غير أن جستنيان الثانى لم يلبث أن رأى فى المعاهدة الجديدة صفقة خاسرة بالنسبة له ، واعتبر أن الخليفة هو الذى خرج منها بنصيب الأسد ، فأخذ يتلمس الأعذار لنقضها إلى أن أتيحت له الفرصة سنة ٦٩٢ م مما أشعل نار الحرب بين الطرفين من جديد ، فغزا المسلمون آسيا الصغرى حتى صاروا على مقربة من الشواطىء الجنوبية لبحر مرمره . وهنا فكر الإمبراطور فى نقل جزء من القبارسة عن جزيرتهم إلى آسيا الصغرى ليحرم الخليفة من نصيبه من دخل قبرس[3] ، وبدأ جستنيان الثانى فى تنفيذ تلك الفكرة الشاذة فشيد لهؤلاء القبارسة المهاجرين مدينة بالقرب من شاطىء بحر مرمرة سماها « مدينة جستنيان الجديدة » **Novajustiniopolis** نقل إليها أسقف قبرس الذى أصبح لقبه « أسقف مدينة جستنيان الجديدة » . ويقال إن السبب الرئيسى فى اهتمام الإمبراطور جستنيان الثانى بأمر قبرس هو أن زوجته كانت قبرسية المولد[4] . كما يقال إن عدداً من المسلمين العرب انتقل عن الجزيرة مع المهاجرين القبارسة إلى تلك المدينة الجديدة[5] . ولا يمكننا تفسير هذا الرأى الأخير إلا على أساس أن

---

(1) Enc. Isl. Art. Cyprus .

(2) Lang : Chypre, pp. 105—106. ، البلاذرى ص ١٥٥

(3) Hill : A History of Cyprus, p. 288.

(4) Hammer : Histoire de l'Empire Ottoman, Vol. 6. 392.

(5) Hill, p. 288.

الجلاء الإسلامى الأول عن جزيرة قبرس فى خلافه يزيد لم يكن جلاءاً كاملا ؛ أو أن جماعات من المسلمين جاءت إلى قبرس واستقرت بها بعد ذلك التاريخ .

غير أن تلك المدينة الجديدة لم تدم أكثر من سبع سنوات إذ رأى الإمبراطور طبريوس الثالث (٦٩٨ — ٧٠٥ م) أن يعيد القبارسة إلى جزيرتهم سنة ٦٩٨ م لما لمسه من تأثير الهجرة فى أحوال قبرس حيث قلت الأيدى العاملة بها نتيجة لنقص عدد سكانها نقصاً كبيراً[١]. وبلغ من عناية الإمبراطور طبريوس بتعمير قبرس إنه أرسل إلى الخليفة عبد الملك ثلاثة من النبلاء القبارسة يصحبهم أحد كبار موظفى البلاط الإمبراطورى يطلبون منه إنفاذ من عساه يوجد ببلاد الشام من القبارسة إلى جزيرتهم ، فأجابه الخليفة إلى طلبه . كذلك أمر طبريوس بإعادة سائر القبارسة الساكنين بمختلف أنحاء الامبراطورية إلى جزيرتهم ليعمروها بعد أن نقص عدد سكانها نقصاً خطيراً[٢] .

ثم بدت جزيرة قبرس مرة أخرى فى مسرح الحوادث بين الدولتين الإسلامية والبيزنطية حين أغار معاوية بن هشام بن عبد الملك على قبرس سنة ٧٢٦ م (١٠٧ — ١٠٨ هـ) على حين غزا مسلمة بن عبد الملك فى آسيا الصغرى. غير أن المراجع لا توضح شيئاً من تفاصيل تلك الإغارة على قبرس[٣] . وفى سنة ٧٤٣ م (١٢٥ هـ) أرسل الخليفة الوليد بن يزيد بن عبد الملك حملة أخرى بقيادة الأسود بن بلال لغزو قبرس وتذكير أهلها بصلح المناصفة القديم . ويظهر أن أخباراً وصلت الخليفة وأثارت شكوكه من جهة قبرس وأهلها وعزمهم على نقض صلح المناصفة ، فرأى أن العلاج لتلك الحالة هو إخلاء الجزيرة من سكانها أو على الأقل انقاصهم إلى الدرجة التى تقلل من خطرهم على الدولة

---

(1) Lang : Chypre, p. 106 & Hill ; p 288.

(2) Hill ; A History of Cyprus, p. 289.

(٣) الطبرى حـ ١ ص ١٤٨٧ — ١٤٨٨ ، ابن الأثير حـ ٥ ص ١٠٤ — ١٠٥

الإسلامية ، لذا أمر الوليد قائد تلك الحملة تخيير أهل قبرس بين المسير إلى الشام والمعيشة فى كنف الدولة الإسلامية أو الذهاب إلى حيث شاءوا من بلاد الدولة البيزنطية . ونفذ القائد أمر الخليفة فاختارت طائفة من القبارسة المسير إلى الشام والمعيشة به ، على حين اختار آخرون الذهاب إلى بلاد الدولة البيزنطية[١] . على أن المعاصرين من المسلمين أنكروا على الوليد عمله وتشريده للقبارسة على ذلك الوجه ، فلما مات عمل يزيد بن الوليد بن عبد الملك على إعادة القبارسة جميعاً من الشام إلى جزيرتهم[٢] .

وفى أواخر أيام الدولة الأموية — على عهد الإمبراطور قسطنطين الخامس (٧٤٠ — ٧٧٥ م) ظهر بصقلية وباء عظيم لم يلبث أن انتشر فى الجهات المجاورة فانتهز المسلمون تلك المحنة القاسية وأرسلوا حملة حربية كبيرة من الإسكندرية للإغارة على جزيرة قبرس والإستيلاء عليها سنة ٧٤٧ م. وقد استولت تلك الحملة على أحد الموانى القبرسية وأقامت به مدة لإعداد العدة لفتح الجزيرة كلها ، لكن أسطولا بيزنطياً أفسد عليها مشروع الفتح ، إذ بغتها وسد عليها مدخل الميناء ، فقطع بينها و بين القواعد الشامية والمصرية ، ثم حطم معظم سفنها حتى أنه لم يبق من ذلك الأسطول الإسلامى المكون من مائة سفينة سوى ثلاث سفن فقط . وهكذا انتهت تلك الحملة الإسلامية « المصرية المصدر » بكارثة عظيمة ، ترتب عليها — فيما يبدو — عدم السماع بحملة كبيرة أخرى تخرج من مصر أو غيرها من القواعد الإسلامية ضد قبرس مدة طويلة من الزمان[٣] .

وعندما قامت الدولة العباسية سنة ٧٥٠ م (١٣٢ هـ) ، رأى ثانى خلفائها أبو جعفر المنصور (٧٥٤ — ٧٧٥م ، ١٣٦ — ١٥٨ هـ) أن ينصف القبارسة

---

(١) ابن الأثير حـ ٥ ص ٢٠٦ ، الطبرى حـ ١ ص ١٧٦٩ .

(٢) البلاذرى : فتوح البلدان ص ١٥٤ .

(3) Hill : A History of Cyprus, p. 291.

بالتخفيف عن كواهلهم فردهم إلى صلح معاوية ، وألغى الزيادة التى كان قد فرضها عليهم عبد الملك بن مروان بموافقة جستنيان الثانى ؛ ويروى عن أبى جعفر أنه قال فى ذلك الصدد « نحن أحق من أنصفهم ولم نتكثر بظلمهم »[١] . على أن هذه البداية الطيبة التى ظهرت فى عطف أبى جعفر المنصور على القبارسة لم تستمر طويلا ، إذ لم يلبث أن حذا العباسيون حذو الأمويين فى الإغارة على الجزيرة مرة بعد أخرى كلما تطلب الأمر مضايقة البيزنطيين فى ناحية من امبراطوريتهم . ومن ذلك ما أشارت إليه المراجع من إغارة غامضة قام بها الأسطول الإسلامى على قبرس سنة ٧٧٥ م (١٥٨ هـ) وقع فيها حاكم الجزيرة البيزنطى أسيراً فى أيدى المسلمين[٢] . ويبدو أن تلك الحملة قصدبها صرف الإمبراطورية عن قيليقية حيث كان صمامه بن وقاص يعمل منذ ثلاث سنوات فى فتح ذلك الركن الهام من الدولة البيزنطية ، فرؤى أن تقوم تلك الحملة بما يخفف شيئاً من الضغط الواقع على صمامه لعله يستطيع الإستيلاء على قيليقية فى شىء من السهولة[٣] .

وفى سنة ٧٩٠ م أى فى عهد هارون الرشيد (٧٨٦ - ٨٠٩ م) أغار المسلمون على قبرس من جديد . وليس بالمراجع معلومات شافية عن تلك الإغارة سوى ما جاء بصدد المعركة البحرية التى دارت رحاها بالساحل الجنوبى لآسيا الصغرى عند خليج أضاليا بالشمال الشرقى من الجزيرة . ذلك أن الأمبراطورة رينى **Irene** عندما علمت بنبأ تلك الإغارة ، أرسلت أسطولا لإحباط غرض المسلمين ، فالتقى ذلك الأسطول بالسفن الإسلامية التى أغارت على قبرس . وقد دارت بين الأسطولين معركة بحرية انتهت بأسر طفيل (**Theophilus**) أحد قواد الأسطول البيزنطى ، فعاد به المسلمون إلى بغداد حيث وعده الخليفة بإطلاق سراحه إذا اعتنق الإسلام . ولكنه رفض فأمر بقتله واعتبره البيزنطيون شهيدا[٤]

---

(١) البلاذرى : فتوح البلدان ص ١٥٥ .

(2) Hill ; p. 29?.

(3) Vasil ev : History of the Byzantine Empire, Vol. I, p. 321.

(4) Hill : A History of Cyprus, pp. 292–293.

وحدثت إغارة أخرى على قبرص فى عهد هارون الرشيد سنة ١٩٠ هـ (٨٠٦م) سببها أن الخليفة غزا آسيا الصغرى واستولى على كثير من مدنها وحصونها حتى اضطر الإمبراطور نقفور الأول – الذى أصبح إمبراطوراً بعد رينى – إلى عقد الصلح . وجاء فى ذلك الصلح أن يدفع الإمبراطور غرامة مالية كبيرة للخلافة العباسية ، مع التعهد بعدم إعادة بناء الحصون والقلاع المهدمة بأطراف آسيا الصغرى[١] لكن نقفور لم يرع تلك الشروط بل نقضها نقضاً صريحاً فرد عليه الخليفة بجيوش برية وحملة بحرية فى آن واحد وهكذا أوغلت الجيوش فى آسيا الصغرى حتى وصلت هرقلة فى الشمال الغربى من طرسوس[٢] ، بينما قصدت الحملة البحرية بقيادة حميد بن معيوف قبرس ، حيث أعمل ذلك القائد فى مدنها هدما و إحراقا كما أسر من أهلها عددا عظيما قدره الطبرى بستة عشر ألفا[٣] ، وابن الأثير بسبعة عشر ألفا[٤] ، ووجد المسلمون أن من بين الأسرى أسقف قبرس . ثم عاد حُميد ومعه ذلك العدد الكبير من الأسرى فبيعوا و بلغ ثمن أسقف قبرس ألفى دينار[٥] . و يقول البلاذرى أن القبارسة أخذوا من ثم يعملون على تحسين علاقاتهم بالدولة العباسية ، مما جعل الرشيد يأمر برد جميع الذين صاروا إليه من أولئك الأسرى إلى قبرس من غير فدية[٦] .

وتشيد المراجع إلى إغارة ثالثة حلت بقبرس على عهد هارون الرشيد ، ولكن لا توجد تفاصيل أو معلومات كافية عنها ، اللهم سوى أن قائد تلك الحملة كان معيوف بن يحيى[٧] .

---

(1) Hill ; p 293

(٢) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك حـ ٣ ص ٧٠٩ .

(٣) نفس المرجع والصفحة .

(٤) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حـ ٦ ص ١٣٤ .

(٥) الطبرى حـ ٣ ص ٧٠٩ ، ابن الأثير حـ ٦ ص ١٣٤ .

(٦) البلاذرى ص ١٥٤ .

(7) Hill,op. Cil. p. 294.

ثم ظلت قبرس بنجوة من الإغارات الإسلامية قرنا من الزمان على وجه التقريب ، ولا شك فى أن ما طرأ على الدولة الإسلامية من خلاف بين الأمين والمأمون ، وما استولى عليها من اضطراب بسبب إنتقال المعتصم من بغداد إلى سامرا ، فضلا عما تردّت فيه الخلافة العباسية بسبب الأتراك ، كل ذلك أدى إلى فتور الفتوح الإسلامية بالقياس إلى مدها الدافق القديم . على أنه يبدو أن قبرس بقيت رغم ذلك على تبعيتها المزدوجة للعباسيين والبيزنطيين ، إذا استمر القبارسة يدفعون الجزية بإنتظام للخلافة حتى عند قيام باسل المقدونى وأسرته على رأس الامبراطورية البيزنطية (٨٦٧—١٠٥٧ م) . ولكن حدث عندما قامت الحرب بين البيزنطيين والمسلمين بجزيرة إقريطش (كريت) سنة ٩٠٢ م والخليفة وقتئذ المكتفى (٩٠٢ — ٩٠٨ م) والإمبراطور ليو السادس (٨٨٦ — ٩١١ م) ، أن كلف الإمبراطور نائبه فى قبرس واسمه همر يوس أن يمنع الاتصال بين المسلمين فى كريت وقواعدهم بساحل الشام . واعتبر المسلمون ماقام به همر يوس فى ذلك الصدد منافيا لحياد قبرس ، ومنا قضا للشروط المتفق عليها مع القبارسة فأغاروا عليها سنة ٩٠٤ م . ولم يكتف المسلمون بتلك الإغارة العابرة على قبرس بل أرسلوا إليها حملة تأديبية كبيرة على رأسها دمنانة أكبر الغزاة المسلمين فى البحر المتوسط فى القرن العاشر الميلادى [١] . فخرج دمنانة سنة ٢٩٧ هـ (٩١١ — ٩١٢ م) وكان ذلك على عهد الخليفة المقتدر للثأر من القبارسة ونزل بشواطىء قبرس ، وأقام بها أربعة أشهر يسبي ويقتل ويحرق ويدمر ويحصن المواضع التى يستولى عليها [٢] .

غير أن إمعان دمنانة فى إخضاع الجزيرة لم يغير من علاقتها المضطربة بالدولة الإسلامية . وما زال ذلك حالها حتى عهد الإمبراطور نقفور الثانى فوقاس

---

(١) المسعودى : مروج الذهب حـ ٨ ص ٢٨٢ .

(٢) نفس المرجع والصفحة .

(٩٦٣ — ٩٦٩ م) الذى خدم أول حياته ضد المسلمين فى كريت ، وكان محور سياسته الخارجية تخليص أجزاء الإمبراطورية منهم ما إستطاع إلى ذلك سبيلا . ولذا هاجم نقفور قيليقية وإستولى عليها ، ثم أعقب ذلك بغزو قبرس سنة ٩٦٥ م حيث محا كل أثر للسيطرة الإسلامية عليها بمساعدة قائده نقتاس[١] .وهكذا عادت الجزيرة نهائيا إلى حظيرة الدولة البيزنطية بعد أن ظلت نحوا من سبعين سنة يغلب عليها النفوذ الإسلامى[٢] ، وكف العرب منذئذ عن مهاجمة الجزيرة أو الإغارة عليها ، بل كفوا عن مضايقة الدولة البيزنطية بوجه عام ، وأصبحت المتاعب التى تواجه الأباطرة البيزنطيين تأتى من الناحية الداخلية أو من ناحية أعداء غير المسلمين[٣] .

أما السبب الرئيسى فى انصراف المسلمين عن قبرس منذ أواخر القرن العاشر فهو أن الدولة الإسلامية لم تعد قادرة على القيام بمجهودات حربية كبرى بعد أن خرجت عليها الدولة الفاطمية وغيرها من الدول بالشرق والغرب الإسلامى ؛ وأصبح معظم نشاط تلك الدول التى انقسمت إليها الامبراطورية الإسلامية موجها ضد بعضها البعض لما بينها من تنافس مذهبى شديد . أما السلاجقة الذين أقاموا دولة إسلامية عظيمة فى العراق والشام والأجزاء الشرقية من آسيا الصغرى والذين أخذوا فى القرن الحادى عشر يقتطعون الجزء تلو الجزء من ممتلكات الدولة البيزنطية ، فإنهم ظلوا قوة برية لأنهم لم يعتادوا ركوب البحر والمغامرة فيه ، ولذا بقيت قبرس فى مأمن من حركتهم التوسعية الهائلة[٤] .

* * *

هـذه خلاصة لأدوار العلاقات بين قبرس والدولة الإسلامية حتى القرن

---

(1) Hill : A History of Cyprus, p. 293.
(2) Oman : The Byzantine Empire, p. 230.
(3) Hill ; p. 295.
(4) Hill ; p. 296.

الحادى عشر الميلادى . ومنها يتضح أن هذه الجزيرة ظلت كالكرة تتلاقفها الدولتان الإسلامية والبيزنطية دون أن تستطيع إحداهما أن تستأثر بحكمها أو تفرض سيطرتها التامة عليها ، على حين قنع القبارسة بدفع الأموال للبيزنطيين وللمسلمين سواء . فالجزيرة كانت على حد تعبير البشارى « لمن غلب »[١] . ويبدو أنه لولا الاجراءات الحاسمة التى إتخذها الامبراطور طبريوس الثالث (٦٩٨ — ٧٠٥ م) عندما حاول أن يجعل الغلبة فى قبرس للدولة البيزنطية وأرسل لحمايتها جيشا كبيرا وأسطولا عظيما وعين لها واليا من طبقة الاستراتيوتى (Stratiotai)[٢] ، لولا ذلك لاستطاع العرب إحتلال قبرس إحتلالا مشابها لما فعلوا فى كريت[٣] .

على أن تلك الإجراءات كلها لم تمنع المسلمين من الإغارة على الجزيرة والسيطرة عليها فى فترات متقطعة كما سبق . ومهما اختلفت الآراء فى تفسير الإغارات الإسلامية على قبرس ، فإنه يبدو أن سببها الأول هو إدراك المسلمين لأهمية موقع الجزيرة . وما دامت فيهم القوة الكافية لمهاجمة الدولة البيزنطية ، فإن قبرس بلا شك خير مركز للوثوب على القسطنطينية وأطراف آسيا الصغرى ، إذ تجتمع بها القوات البحرية والبرية من مصر والشام ، فلا تكون إلا عشية وضحاها حتى تصل إلى شواطىء آسيا الصغرى ، وجزائر البحر اليونانى والقسطنطينية نفسها[٤] . ثم إن العرب لم يعتبروا جزيرة قبرس قاعدة حربية للهجوم فحسب ، بل خالوها موضعاً ..خطر على مصر والشام ما دامت فى أيدى البيزنطيين ؛ أى أن رغبة المسلمين فى الاستيلاء عليها كانت مسألة دفاعية هجومية معا . ويتضح إدراك العرب

---

(١) البشارى : أحسن التقاسيم ص ١٨٤ .

(2) Makhiaras : Recital Concerning the Sweet Land of Cyprus, Vol. 1, p. 9.

(3) Hill ; p. 290.

(٤) ابن خرداذبة : المسالك والممالك ص ٢٥٥ .

لتلك الناحية من نصوص المعاهدة التى عقدها معاوية مع القبارسة أول مرة سنة ٢٨ هـ ، إذ جاء فيها أن يتعهد القبارسة بعدم مساعدة الدولة البيزنطية ضد المسلمين وتنبيه المسلمين عن أى مشروع هجومى من جانب أعدائهم (١) .

فإذا أضيف إلى هذه الأسباب ثراء قبرس وتنوع حاصلاتها وكثرة أموالها وغلاتها ، صارت الدوافع التى جعلت المسلمين يغيرون على الجزيرة مرة بعد أخرى أمراً واضحا . فالكرخى يصف قبرس بأنها « خصبة جدا » (٢) . وابن حوقل يخبر بأنها « كثيرة الخير والمير والتجارة والوارد منها والصادر عنها » (٣) . والبشارى يقول إن الوليد أنفق على جامع دمشق خراج الشام سبع سنين مع ثمانى عشرة سفينة ذهب وفضة أقلعت من قبرس (٤) . على أنه يجب ألا يؤدى ذلك إلى الاعتقاد بأن الاغارات الاسلامية على قبرس لم يقصد من ورائها سوى النهب والاستغلال حقيقة إن مقتضيات الحرب جعلت المسلمين يقومون ببعض أعمال التخريب فى معظم الجزائر التى نزلوا بها فى البحر المتوسط ومنها قبرس (٥) ، ولكن ذلك ليس معناه إقتصار العلاقات بين الطرفين على الحرب فى سبيل الاخضاع والاستغلال الاقتصادى ، بل تعداه إلى اشباع الحركة الدينية التوسعية بين المسلمين ، فضلا عن شيء من التبادل الثقافى . من ذلك مثلا أنه عندما نشطت الحركة العلمية فى عهد المأمون أمر الخليفة بإحضار كثير من المؤلفات الاغريقية الفلسفية من قبرس لترجمتها (٦) .

---

(١) البلاذرى : ص ١٥٣ ، ابن الأثير ح ٣ ص ٧٤ — ٧٥ ، الطبرى ح ١ ص ٢٨٢٦ .

(٢) الكرخى : مسالك الممالك ص ٧٠ .

(٣) ابن حوقل : المسالك والممالك ص ١٣٦ .

(٤) البشارى : أحسن التقاسيم ص ١٥٨ .

(٥) ابن خرداذبة : المسالك والممالك ص ٢٣١ .

(6) Hammer : Hist. de l'Empire Ottoman, Vol. 6, p. 395.

وثم نقطة أخرى تجب الاشارة إليها بشأن الغزو الاسلامى لقبرس ، وهى أن الجزيرة لم تكن خلال الفترات التى سيطر العرب عليها مقطوعة الصلة تماما عن الدولة البيزنطية ، بل ظلت علاقاتها بالقسطنطينية متصلة كما يتضح من نفوذ ذلك العصر ووثائقه[١] . ولكن النفوذ البيزنطى — كما هو الحال مع النفوذ الإسلامى — تطور بين الزيادة والنقص حسب الظروف و بقيت قبرس فى الواقع مناصفة بين العرب والبيزنطيين ، وذلك نقلا عن الرحالة الانجليزى وليبولد Willibold الذى زار الجزيرة سنة ٧٢٣ م ووصفها بأنها قسمة بين الإغريق والعرب[٢] ، كما وصفها ابن حوقل بأنها كانت قسمين نصفاً للمسلمين ونصفاً للنصرانية[٣] . وإذا قال مخايراس بأنه كان للامبراطور البيزنطى فى قبرس دوق يدير شئون الجزيرة و يقضى بين أهلها[٤] ، فإن ابن حوقل قال كذلك بأنه كان للمسلمين بقبرس أمير وحاكم[٥] .

وهكذا ظلت أحوال قبرس خلال تلك الفترة القلقة من تاريخها . ولا حاجة إلى الإشارة إلى أن بقاءها ميداناً للتنافس والصراع بين القوتين الإسلامية والبيزنطية أثر فى أحوالها العامة أسوأ الأثر ، إذ نقص عدد سكانها وتعطلت موارد ثروتها كما قل عدد الحجاج الذين نزلوا بها فى طريقهم إلى بيت المقدس[٦] . ومما زاد فى سوء الأحوال العامة بجزيرة قبرس أن الأباطرة استخدموها منفى لأعدائهم وخصومهم ، واختاروها لذلك الغرض حتى يصبح المغضوب عليهم

(1) Hill : A History of Cyprus, p 282.

(2) Idem ; p. 291.

(٣) ابن حوقل : المسالك والممالك ص ١٣٦ :

(4) Makhiaras ; Vol. I, p. 9.

ابن حوقل : ص ١٣٦ .

(6) Hill ; p. 291.

تحت رحمة المسلمين[1] . كذلك غدت قبرس منذ أيام الإضطهاد اللاإيقونى فى الدولة البيزنطية — أى منذ القرن الثامن الميلادى ملجأ وملاذا لكثير من رعايا الإمبراطورية الذين ضاقوا باللاإيقونية وأباطرتها[2] . واستمرت أحوال قبرس على ذلك حتى سنة ١١٨٤ م ، أى حتى أيام صلاح الدين الأيوبى بمصر والشام .

---

(1) Idem ; p. 292.

(2) Ibid.

الباب الثانى

دخول قبرص دائرة الحروب الصليبية

استقرار الصليبين بالشام وأهمية قبرص لهم — سياسة الدولة البيزنطية نحو الصليبين بوجه عام — استخدام قبرص لتنفيذ بعض أركان تلك السياسة — إغارة أرناط أمير أنطاكية على قبرص ونهبها سنة ١١٥٦م — موقف الدولة البيزنطية بوجه عام وقبرص بوجه خاص من الدولتين الفاطمية والأيوبية — استقلال اسحق كومنين بحكم قبرص وسياسته تجاه الصليبين — مجىء ريتشارد قلب الأسد إلى الشرق واستيلاؤه على قبرص — انتقال ملكية قبرص إلى الداوية — جاى لوزجنان وجزيرة قبرص — قيام مملكة لوزجنان — قبرص والحروب الصليبية حتى نهاية الدولة الأيوبية سنة ١٢٥٠ م .

من المعروف أن كلا من البيزنطيين والصليبيين وقف من صاحبه موقفاً يغلب عليه العداء منذ وصول الحملة الصليبية الأولى إلى الشرق . فالمتاعب والمصاعب التى لاقاها رجال تلك الحملة فى طريقهم إلى بلاد الشام عبر أراضى الدولة البيزنطية فى البلقان وآسيا الصغرى ، بالإضافة إلى ما وجدوه من كره ظاهر فى القسطنطينية نفسها ، كل ذلك جعلهم — كما جعل أوربا كذلك — يقولون إن الدولة البيزنطية هى السبب فى جميع المصائب والكوارث التى ابتليت بها تلك الحملة والحملات الصليبية التالية . وشاءت الحوادث أن يتركز جزء عظيم من هذه العداوة بين الصليبيين والبيزنطيين حول أنطاكية ، التى أسس فيها بوهيموند النورمانى سنة ١٠٩٨ م إحدى الدول الصليبية الأربع ، على الرغم من مطالبة الإمبراطور الكسيوس كومنين (١٠٨١ — ١١١٨ م) بتسليم تلك

المدينة الهامة إلى الدولة البيزنطية احتراما للإتفاقية المشهورة التى عقدها الصليبيون مع الإمبراطور قبل رحيلهم عن القسطنطينية .

ولما عجز الإمبراطور عن الحصول على أنطاكية بالطرق السلمية ، لم تبق أمامه إلا الحرب ضد الصليبين بوجه عام ، وضد بوهيمند أمير أنطاكية بوجه خاص وعمد ألكسيوس إلى الإفادة من موقع قبرس الجغرافى فى تنفيذ تلك الحرب ، إذ جعلها قاعدة لقواته التى أعدها لذلك الغرض ، كما أنه عمل على حماية قبرس من أى هجوم يأتى من ناحية بوهيموند[1] . وكان حاكم قبرس من قبل الإمبراطور رجلا قوى المراس اسمه فيلوكاليس ؛ فقام ذلك الحاكم من قبرس على رأس قوة لدفع بوهيموند عن اللاذقية سنة ١٠٩٩ م وما زال به حتى أرجعه إلى إمارته بأنطاكية .

ومن ذلك الوقت والأباطرة البيزنطيون يعملون جادين على استرداد أنطاكية من الصليبيين ، مما جعل المسألة الأنطاكية تمر بأدوار طويلة أهم ما يعنينا منها ما كان بين أرناط – وهو الذى أصبح أمير أنطاكية منذ سنة ١١٥٣ م — والإمبراطور البيزنطى مانويل كومنين (١١٤٣ — ١١٨٠ م) .

ذلك أن أرناط أغار على قبرس سنة ١١٥٦ م ليظهر بذلك قوته على محاربة الإمبراطور ، وأمعن فى تلك الإغارة التى فاقت فى قوتها وعنفها وما صحبها من تخريب ونهب ، ما حل بالجزيرة من جراء الغارات الإسلامية السابقة مجتمعة ، على قول المعاصرين من الصليبين أنفسهم[2] ؛ ومثال ذلك على سبيل التدليل قطع أنوف رجال الدين القبارسة وآذانهم إمعانا فى التشفى والإنتقام[3] . ويبدو أن نية أرناط اتجهت أول الأمر نحو الإستيلاء على قبرس والإحتفاظ بها ،

---

(1) Hill : A History of Cyprus, Vol, I, p. 299.

(2) Jauna : Histoire Generale des Royaumes de Chypre de Jarusalem, p. 60.

(3) Grousset : Hist des Croisades, Vol. II, p 366

ولكن ذلك لم يكن بالأمر الهين السهل فعاد الأمير الصليبي ورجاله إلى بلاد الشام محملا بالغنائم والأسلاب المسيحية[١]. وهكذا بذل أرناط فى قبرس من الجهد ما عساه أن يتوجه به نحو غرض أجدى على حماسته الصليبية المشهورة[٢] . والواقع أنه لو انتقل أمر الصليبيين إلى أيدى أرناط وقتذاك لازدادت العلاقة سوءاً بين الدولة البيزنطية والدول الصليبية جميعاً ، وربما كان ما أحدثه أرناط فى نفس الإمبراطور مانويل كومنين هو السبب الذى أدى بملك بيت المقدس بلدوين الثالث إلى الزواج من إحدى قريبات الإمبراطور سنة ١١٥٨ م .

وماست قبرس دائرة الحروب الصليبية من ناحية أخرى ، وهى ناحية المسلمين الذين اعتبروا الجزيرة موئلا لهم من الصليبيين فى بعض الأحيان ، بفضل ما ظل من حسن العلاقة بين الدولة البيزنطية والمسلمين (الفاطميين والأيوبيين سواء)[٣] . ومثال ذلك أنه عندما استولى بلدوين الثانى على بيروت فى مايو سنة ١١١٠م ، فرّ أميرها المسلم ليلا إلى قبرس ، كما حذا حذوه كثير من أهالى المدينة المسلمين[٤] . على أنه ليس معنى ذلك أن الأمور استمرت دائماً على صفاء بين قبرس والمسلمين ، فإن قبرس فى نظر المسلمين لم تعد أن تكون بلداً مسيحياً يسكنه قوم من النصارى . ثم إنه على الرغم من كل مظاهر العداء بين الصليبيين والدولة البيزنطية ، فإن قبرس تاجرت مع الصليبيين بالشام تجارة رابحة ، وأمدتهم بالمؤن أرسالا متتابعة منذ أيام الحملة الصليبية الأولى ، مما لم يخف

---

(1) Lamb : The Crusades ; The Flame of Islam ; p. 60.

(2) Stevenson : The Crusaders in the East, p. 174.

(٣) أحس أباطرة الدولة البيزنطية بالخطر الصليبي على دولتهم من أول الأمر وأدركوا أطماع الصليبيين فى السيطرة على القسطنطينية ، ولهذا لم يكن من مصلحة هؤلاء الأباطرة معاداه الدولة الفاطمية فى أواخر أيامها ثم الدولة الأيوبية من بعدها ، بل كان من مصلحتهم أن تكون فى مصر دولة قوية تستطيع إنفاذ الحملات إلى الأرض المقدسة حتى تبقى القوى الصليبية مشغولة عنها ؛ ولعل هذا هو السر فى العلاقات الطيبة بين الفاطميين والأيوبيين من جهة والدولة البيزنطية من جهة أخرى عندئذ .

(4) Stevenson : The Crusaders in the East, p. 59.

عن المسلمين[1] . ولذا أصاب قبرس بعض ما أصاب السواحل الصليبية بالشام من هجمات المسلمين لتعطيل تلك التجارة التى اعتمدت عليها أرواح الصليبيين .

غير أن إغارات المسلمين على قبرس قبيل سنة ١١٩١ م لم تهدف إلى شىء أكثر من تعطيل تلك التجارة ، فظلت محدودة لا تزيد فى أوصافها عن صفات الغزوات السريعة ذهاباً و إياباً ، ولذا ندرت أنباؤها فى المراجع . وسبب ذلك فيما يبدو أن المسلمين اعتبروا الميدان القبرسى ثانوياً بالقياس إلى الميدان الرئيسى بالشام . ففى سنة ١١٥٨ م (سنة ٥٥٣ هـ) مضت عساكر المسلمين — وهم الفاطميون وقتذاك — فى البحر إلى قبرس وعادوا بكثير من الأسرى منهم أخو صاحب قبرس فضلا عن جملة من الغنائم[2] . ثم وقعت غزوة أخرى سنة ١١٩١ م (٥٨٧ هـ) غنم المسلمون — وهم الأيوبيون وقتذاك — كثيراً من الغنائم وعادوا بسفنهم محملة بالنفائس إلى اللاذقية ، حيث قسمت الغنائم فبلغ نصيب كل فرد — على كثرتهم — أربعة آلاف درهم من الفضة[3] .

و إزاء تلك الأخطار التى تعرض لها القبارسة من ناحية الصليبيين والمسلمين منذ أواسط القرن الثانى عشر الميلادى،عين الإمبراطور أندرونيق الأول كومنين (١١٨٢ — ١١٨٥ م) قريبة اسحق كومنين على الجزيرة منذ سنة ١١٨٤ م . غير أن اسحق لم يكد يصل إلى الجزيرة حتى استبد بالأمور وقطع صلته بالقسطنطينية وتلقب بلقب إمبراطور قبرس[5] . وقد نجح اسحق فى توطيد سلطانه فى الجزيرة حتى تعسر على أباطرة القسطنطينية عزلة أو التغلب عليه . ولعل أقوى محاولة

---

(1) Crousset ; Vol. I, p. 136 ; Stevenson, p. 54 ; Lamb, p. 139.

(٢) ابن ميسر : أخبار مصر ح ٢ ص ٩٨ .

(٣) أبو شامه : الروضتين فى أخبار الدولتين

Rec. Hist. Cr. Orient. Tome 5, p. 7.

(٤) ابن شداد : النوادر السلطانية Rec. Hist. Cr. Orient. Tome 3, p. 213

(5) Lucas ; p. 47.

بذلت لإخضاعه هى التى قام بها الامبراطور اسحق الثانى أنجيلوس (١١٨٥ — ١١٩٥ م) عندما أرسل حملة فى نحو سبعين سفينة حربية لإخراجه من الجزيرة لـكن إسحق تغلب على تلك الحملة بمساعدة حليفه وصهره ملك الصقليين غليالم الثاني النورمانى (Guillaumes) الذى تزوج إسحق أخته[١].

أما الدولة البيزنطية فإنها تأثرت باستقلال قبرس وانفصالها عنها لأنهـا كانت تمد خزينتها بأموال كثيرة بسبب رواج تجارتهامع الفرنجة ببلاد الشام[٢]. يضاف إلى ذلك أن إنفصال قبرس عن الإمبراطورية البيزنطية كان سـابقة خطيرة ، لأنه على الرغم من كثرة ما فقدت الإمبراطورية من أراضيها للمسلمين لم يحدث مطلقا أن استطاع أحد رعاياها أن ينتزع إقليما كبيرا إغريقى الطابع من جسم الدولة ، وأن يتلقب بلقب إمبراطور كما فعل اسحق[٣].

وحكم اسحق كومنين قبرس حكماً إستبداديا بكل معانى الـكلمة ، ومصداق ذلك وصف مخايراس له بأنه كان رجلا شريراً أثيما[٤]. أما سياسته تجاه الصليبيين واللاتين فانطوت على الـكره الشديد والبغض الدفين . ولعل كرهه هذا هو الذى جعله يميل ميلا ظاهراً إلى السلطان صلاح الدين الأيوبى حتى أنه أطلعه على كل ما حصل عليه من حركات الصليبيين . ويظهر ذلك الميل واضحاً فى سياسة إسحق أثناء حصار الصليبيين لعكا إذ عرقل تموينهم بأن فرض مكوساً باهظـة على المؤن الخارجة من قبرس إلى بلاد الشام ، ثم تغالى فأصدر أمراً بتحريم خروج المؤن من قبرس إلى الصليبيين تحريماً باتاً[٥] . واستفاض الخبر بأن عداء

---

(1) Vasiliev ; Op. Cit. Tome II, p. 94.

(2) Idem, p. 82.

(3) Oman : The Byzantine Empire ; p 277.

(4) Makhiaras ; Vol. I, p. 9.

(5) Grousset, Vol. III, pp. 47–48 ; Hill, p. 317.

اسحق للصليبيين لم يقتصر على منع الغلات القبرسية من الوصول إلى الصليبيين ، بل إنه أصدر أوامر مشددة بمنع أى صليبى من النزول إلى الجزيرة مهما كانت الأحوال . ومضى اسحق فى سياسته الجريئة تجاه الصليبيين ، وربما تمادى فى تلك السياسة على صورة أوسع ، كما كان من المحتمل أن يتمكن من تأسيس أسرة تحكم قبرس[1] ؛ لولا أن غيرت الحروب الصليبية من ذلك كله .

ذلك أن أواخر القرن الثانى عشر الميلادى شهدت ما قام به صلاح الدين الأيوبى من حرب خاطفة أتت على مملكة بيت المقدس ، مما أثار أوربا إلى إرسال الحملة الصليبية المعروفة بالثالثة سنة ١١٩٠ م بقيادة ريتشارد ملك انجلترا وفيلب أغسطس ملك فرنسا . وبينما يمعن اسحق «إمبراطور» قبرس فى مضايقة الصليبيين بالشرق ، وصل أسطول ريتشارد إلى صقلية فى طريقه نحو الأراضى المقدسة ، فقضى شتاء سنة ١١٩٠ م فى مسينا حيث تمت خطوبته إلى برنجاريا ابنة ملك نافار ثم أبحر ملك انجلترا على رأس أسطوله فى ابريل سنة ١١٩١ م من صقلية قاصداً عكا[2] . غير أنه على الرغم من الخطة التى وضعها لسير أسطوله لتظل السفن متقاربة بعضها من بعض ، هبت رياح قوية صباح ١٢ إبريل ففرقت السفن وبعثرتها . وفى يوم الأربعاء ١٧ إبريل رسا رتشارد بظاهر كريت ، وعلم أن خمسا وعشرين من سفنه مفقودة ومن بينها تلك التى تحمل أخته جوانا وخطيبته برنجاريا[3] . ولذا إتجه ريتشارد إلى جزيرة رودس للبحث عن سفنه الضالة ، فلما لم يجدها قصد جزيرة قبرس ، حيث جنحت بعض السفن الانجليزية فعلا .

أما اسحق حاكم قبرس فإنه علم بجنوح تلك السفن فى حينه ، فأسرع إلى مصادرتها ونهبها وأسر رجالها وتكبيلهم بالحديد وفقا لسياسته التقليدية ضد

---

(1) Oman, Op. Cit. p. 278.
(2) Stubbs ; Op. Cit. p. 185.
(3) Norgate : Richard the Lion-Heart ; p. 141.

الصليبيين[١] . ثم وصلت إلى ميناء ليماسول فى يوم ٢٤ ابريل ثلاث سفن انجليزية أخرى تحمل إحداها جوانا و برنجاريا وجزءا كبيرا من المتاع الملكى[٢] . فلما وصل خبر ذلك إلى اسحق ذهب بنفسه إلى ليماسول وحاول بمختلف الطرق أن يغرى الأميرتين بالنزول إلى البر لينكل بهما ، ولكنهما أصرتا على الرفض وأخبرتا أنهما لا تستطيعان النزول بدون إذن الملك[٣] . وعندئذ فكر اسحق فى استخدام التهديد بالقوة لإنزالهما ، وما زال يهذر و يرعد و يتظاهر ببعض سفنه فى الميناء حتى قبلت الأميرتان النزول إلى الشاطىء خوفاً ؛ و بينما يستعدان للنزول ظهرت سفن ريتشارد قادمة من بعيد فتغير الموقف تماما[٤] . ذلك أن ريتشارد لم يكد يرسو حتى أرسل اسحق يحتج على ماحدث و يطلب منه تقديم الترضيات اللازمة[٥] . لكن اسحق رفض القيام بشىء ما وأهان الرسول فعزم ريتشارد على تأديبه ، واستولى فى الحال على خمس سفن قبرسية راسية فى ميناء ليماسول ، ثم أنزل ريتشارد رجاله إلى البر واستولى على ليماسول (٦ مايو سنة ١١٩١)[٦] . وأعقب ذلك فى اليوم التالى هجوم على اسحق وجنوده فى سهل مجاور ، فانهزم القبارسة وفر اسحق تاركا رجاله وذخيرته وخزائنه ورايته الإمبراطورية للانجليز[٧] . واختار ريتشارد أن يكلل ذلك النصر بالدخول على خطيبته برنجاريا[٨] . وعلم جاى لوزجبان صاحب مملكة بيت المقدس بما حدث فى قبرس ، فأتى مسرعا إلى الجزيرة لمساعدة ريتشارد ضد اسحق من جهة ، ولكسب عطف ملك انجلترا وتأييده ضد الكارهين لآل لوزجبان بالشام وعلى رأسهم كونراد مونتفرات الذى احتمى بفيلب أغسطس ملك فرنسا من جهة أخرى[٩] .

(1) Grousset ; Tome III, p. 48. & Michaud, Tome II, p. 115.
(2) Norgate ; p. 141.
(3) L'Estoire d'Eracles (Rec Hist. Cr. Occid, Tome II, p. 159).
(4) Idem ; pp. 160—161.
(5) Norgate ; p. 143
(6) Vinisauf ; (Rec. Hist. Cr. Occid ; Tome II, p. 164).
(7) Idem ; p. 168.
(8) Ibid.
(9) Norgate ; Op. Cit. p. 145.

وصحب جاى إلى قبرس بوهيمند الثالث أمير أنطاكية و ريموند الثالث أمير طرابلس وغيرهما من الفرسان[1] ؛ بينما شذ عن هؤلاء وأولئك رئيس الإسبتارية لأنه أراد أن يضع حداً لما سوف يتطور إليه انقسام الصليبيين على أنفسهم ، وود لو انصرفت جهود ريتشارد إلى بلاد الشام حيث حاصر الصليبيون عكا مدة طويلة بقيادة فيلب أغسطس . لذا توسط رئيس الاسبتارية بين أسحق وريتشارد وانتهى الأمر بأن قدم أسحق فرض الطاعة لملك انجلترا ، وتعهد أسحق بدفع مبلغ كبير من المال تعويضاً لما حدث ، فضلا عن الذهاب إلى الشام على رأس خمسمائة فارس قبرسى لمحاربة المسلمين تحت راية ريتشارد[2] . لكنه ما عتم الليل حتى نقض أسحق الصلح وفر إلى فاماجوستا . وعندئذ عقد ريتشارد النية على فتح قبرس ، فقسم قواته قسمين رغبة فى الزحف على فاماجوستا من ناحيتين ؛ فسار بنفسه على رأس أحد القسمين بحراً ، وأنفذ القسم الثانى بقيادة جاى لوزجنان براً. غير أن ريتشارد لم يصل فاماجوستا إلا بعد أن غادرها أسحق فأرسل بعض سفنه لمراقبة الشواطىء خشية فراره من الجزيرة و إفلاته من يده[3] .

وفى تلك الأثناء قدمت رسل من قبل فيلب أغسطس تستحث ريتشارد على الإسراع بالقدوم فى لهجة شديدة ، فرد عليهم بمثلها قائلا إنه لن يبرح قبرس حتى يستولى عليهـا ويضمن مواردها للصليبيين و يقبض على أسحق ؛ ولن ينزل عن ذلك ولو صار إليه نصف ثروة روسيا ، إشارة منه إلى ما أصبحت فيه الدولة الروسية من غنى فى أواخر القرن الثانى عشر الميلادى[4] . على أنه لم يضع شيئاً من وقته بل زحف من فاماجوستا توا إلى نيقوسيا عاصمة الجزيرة فاستولى عليهـا وقبل أهلها الدخول فى طاعته[5] . ثم اعتراه المرض ، فاضطر إلى البقاء فى نيقوسيا

(1) Hill ; Op. Cit. p. 319.

(2) L'Estoire d'Eracles (Rec. Hist. Cr. Occid, Tome II; pp. 165-166).

(3) Vinisauf : (Rec. Hist. Cr. Occid., Tome II; p. 168).

(4) Norgate : Richard the lion Heart; p. 147.

(5) L'Estoire d'Eracles (Rec. Hist. Cr. Occid. Tome II, p. 167).

وترك مطاردة أسحق لجاى لوزجنان ، فقام جاى على مهمته خير قيام إذ سار شمالا حتى استولى على قلعة كيرين حيث وجد إبنة إسحق فأسرها[١]. واستولى اليأس على أسحق بعد ذلك ، فسلم نفسه و بلاده ، وهكذا تم فتح قبرس على يد ريتشارد وكسب الصليبيون ذلك المركز الهام لمواصلاتهم مع أوروبا .

ثم عين ريتشارد إثنين من رجاله هما ريتشارد كامفيل(R. de Camville) وربرت تورنهام (Robert de Turnham) ليحكما الجزيرة باسمه ، وأوصاهما بإرسال المؤن والدقيق والمواشي والنبيذ وغيرها من غلات الجزيرة إلى الصليبيين بالشام[٢] . وأبحر ريتشارد بعد ذلك إلى عكا فوصلها فى ٨ يونيه سنة ١١٩١ و بصحبته أسحق فأرسله إلى حصن المرقب حيث بقى فى حراسة الاسبتارية حتى وفاته سنة ١١٩٥ م[٣] .

ولا مغالاة فى القول بأن دخول قبرس دائرة الحرب الصليبية من طريق الفتح جعلها أهم ما تمخضت عنه الحملة الصليبية الثالثة من النتائج لا فى تاريخ قبرس والحروب الصليبية فحسب ، بل فى تاريخ الشرق بوجه عام . فالشرق اللاتينى الذى كاد صلاح الدين يلقى به فى غيابه البحر الأبيض ، كتب له أن يولد مرة أخرى وسط الأمواج المحيطة بشواطىء الجزيرة القبرسية[٤]. ذلك أن قبرس أصبحت بعد فتحها مركزاً دائماً لتموين البقايا الصليبية بالشرق ، كما أصبحت محوراً لكثير من الحركات الصليبية من الشرق والغرب مدة قرون[٥] . ووضحت تلك الناحية للصليبيين وهم على حصار عكا (سنة ١١٩٠ — ١١٩١ م) أى قبل

---

(1) Vinisauf : (Rec. Hist. Cr. Occid. Tome II, p. 168).

(2) Hill; p. 320 & Norgate; p. 148.

(3) L'Estoire d'Eracles (Rec. Hist. Cr Occid; Tome II, pp. 168-169).

(4) Grousset ; Vol. III, p. 40.

(5) Hill ; p. 317.

إتمام فتح قبرس ، إذ ألفوها موئلا قريباً وواسطه للإتصال بينهم و بين الغرب [١] .
ولا عجب بعد ذلك إذ فرح الصليبيون ايما فرح باستيلاء ريتشارد على قبرس ، لأنها صارت على قول ابن الأثير « قوة للفرنج » [٢] . ومصداق ذلك كله وصف أمبرواز لما شمل الصليبيين من سرور عندما وصل ريتشارد إلى عكا بسبب استيلائه على قبرس [٣] .

أما أهمية ذلك فى تاريخ قبرس نفسها فهو أن الجزيرة لم تدخل دائرة الحروب الصليبية فحسب ، بل دخلت دائرة الحياة السياسية الغربية كذلك . على أن الأمر بدا هنا نعمه مشوبه ، إذ باتت الجزيرة تحت إقطاعية لاتينية كاثوليكية وهذه جعلت كل همها إشباع مصالحها الخاصة ، على حين ظل عامه القبارسة من الإغريق يعتبرون هؤلاء الحكام غرباء عنهم دخلاء بينهم [٤] . وأما أهمية فتح قبرس للملك ريتشارد ، فالواضح أولا أنه لم يقدم على تلك العملية الحربية الباهظة تحقيقاً لجزء من برنامجه الصليبى ، وإنما هى الظروف والملابسات التى شاءت أن يكون له الفضل فى إسداء تلك الخدمة للصليبيين عامة ولمملكة بيت المقدس الصليبية خاصة [٥] .

ولكن سرعان ما أدرك ريتشارد أن قبرس سوف تغدو عليه حملا ثقيلا ؛ فهو مكلف بحمايتها فى الوقت الذى احتاج إلى كل جندى من جنوده الصليبيين ، كما أنه مكلف بصرف الأموال فى سبيل تنظيم أحوالها [٦] . ولم ينقض شهر على مغادرته الجزيرة حتى وضحت تلك التبعات فى ثورة قبرسية ، صادف بسببها نائبه

---

(1) Grousset ; op. cit. p. 49.

(٢) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ح ١٢ ص ٤٢ .

(3) Grousset, Vol III, p 50.

(4) Lucas ; p 48.

(5) Norgate ; p. 261.

(6) Lucas ; op. cit. p. 48

ترنهام عناءا حربياً كبيراً[١] . وليس أدل على ذلك كله من ترحيب ريتشارد بما عرضه عليه الداوية من شراء قبرس بالمال ، فباعها لهم بمبلغ مائة ألف بيزات دفعوا منها ستين ألف وتبقى عليهم أربعين ألف تعهدوا بدفعها عند تسلم الجزيرة[٢] . ولم يلبث الداوية أن وجدوا حمل الجزيرة فوق طاقتهم ولا سيما بعد أن استنفدت حركات صلاح الدين كل مجهودات الصليبيين . ولذا اكتفى الداوية بإقامة حامية صغيرة لهم فى قبرس[٣] ، وعمدوا إلى الصرف عليها مما يجمعونه من أهل الجزيرة ، مما جعل الحكم اللاتينى يبدو كارثة فى أعين القبارسه فثار أهالى نيقوسيا على سادتهم الجدد سنة ١١٩٢ م وأعملوا الذبح فى اللاتين الصليبيين[٤] ؛ وبدا فى الأفق أن قبرس سوف تخرج من أيدى الصليبيين بنفس السرعة التى آلت بها إليهم[٥] . وعندئذ أدرك الداوية أنه سيتعذر عليهم الاحتفاظ بقبرس ، وأن حكمها أصعب وأشق مما كانوا يظنون ، فطلبوا من ريتشارد حل الصفقة ورد المبلغ الذى دفعوه[٦] .

على أن ذلك التطور أنقذ ريتشارد من إحدى صعوباته . ذلك أن اختيار هنرى دى شامبين ملكا على بيت المقدس فى إبريل سنة ١١٩٢ م جعل ريتشارد يبدو فى نظر المعاصرين كأنما ضيع على الملك جاى لوزجنان حقوقه ، وهو الذى أسرع إلى نجدة ريتشارد فى قبرس وساعده على إتمام فتحها فى سرعة . ولذا رحب ريتشارد بعودة قبرس ترحيبه ببيعها الأول ، وعرضها على جاى مقابل تنازله عن حقه فى مملكة بيت المقدس[٧] . ورضى جاى ذلك العرض ؛ كما رضى

---

(1) Stubbs; op. cit. p. 186.
(2) L'Estoire d'Eracles (Rec. Hist. Cr. Occid. Tôme II, p. 190).
(3) Stubbs; op cit p. 186.
(4) L'Estoire d'Eracles, p. 190.
(5) Stubbs; op. cit. p. 186.
(6) Norgate; op. cit. p. 261.
(7) Grousset; Tome III, p. 96 & Stubbs; p. 187.

أن يدفع للداوية مبلغ الستين ألف بيزانت التي دفعوها لريتشارد مقدماً من ثمن الجزيرة ، وتعهد بدفع الباقي لريتشارد نفسه بعد تسلم الجزيرة[1]. وتمت الإجراءات القانونية لإبرام الصفقة قبل أن يبرح ريتشارد عكا فى ٩ أكتوبر سنة ١١٩٢ م عائداً إلى بلاده ، وتسلم جاى حكم الجزيرة حوالى ذلك التاريخ[2] .

وهكذا قامت الدولة اللوزجنانية بجزيرة قبرس ، وهى الدولة التى استمرت ما يقرب من ثلاثة قرون (سنة ١١٩٢ — ١٤٧٢م) وأثرت فى اتجاهات الحروب الصليبية تأثيراً قوياً . ويعتبر عصر تلك الدولة أزهى عصور التاريخ القبرسى على وجه التعميم . فنى كل مظهر من مظاهر الحضارة فى العصور الوسطى ، وفى كل ضرب من ضروب النشاط الإنسانى فى تلك العصور ، قامت قبرس بدور بارز لا يتناسب مطلقاً ومساحتها الصغيرة . وهل هناك ضرب من ضروب النشاط البشرى فى العصور الوسطى أخطر وأجل شأناً وأعظم أثراً من الحروب الصليبية التى تحكمت فيهسا قبرس وملوكها من آل لوزجنان بعد أن تخلت أوربا عند ذلك الميدان ؟ .

على أن جاى نفسه ظل بعيداً عن ميدان الحروب الصليبية إذا قضى مدة حكمه القصيرة (١١٩٢ — ١١٩٤) فى التمكين لنفسه و إصلاح أحوال الجزيرة وخشى أن يحاول اسحق الثانى أنجيلوس إعادة قبرس إلى حظيرة الإمبراطورية البيزنطية ، كما خشى أن يكرر القبارسة معه دورهم مع الداوية ، فرأى أن محالفه الأيوبيين فى مصر خير ضمين لاستقرار الأمور الخارجية ، ليستطيع الإنصراف إلى الأمور الداخلية وهو آمن . ولذا قرر جاى محالفة السلطان صلاح الدين ضد الإمبراطور البيزنطى ، وأرسل إليه — حسبما جاء فى مخايراس — يعاهده على أن يكون صديقاً وفياً ، يصادق من يصادقه و يعادى من يعاديه ، و يطلب مساعدته

(1) L'Estoire d'Eracles (Rec. Hist. Cr. Occid, Tome II, p. 191).

(2) Norgate ; op. cit. p. 262

فى حالة اعتداء الإمبراطور البيزنطى على جزيرته ، على أن يقوم هو بتنبيه السلطان إذا نوى الإمبراطور مهاجمته[١] . وفى المراجع العربية ما يؤيد ذلك ، ففى أبى شامة ما ينص على حضور رسل « الملك العتيق »[٢] لطلب مساعدة السلطان سنة ٥٨٦ هـ[٣] . وجاء فى ابن شداد تحت سنة ٥٨٨ هـ (١١٩٢ — ١١٩٣ م) أن رسولا وصل من عند الإمبراطور اسحق الثانى انجيلوس يطلب من السلطان أن يساعده على قصد قبرس[٤] . غير أن صلاح الدين لم يستجب إلى رغبات الفريقين ، لانشغاله فيما يرجح بأمور دولته الجديدة ؛ وتفضيله أن يقف موقف الحياد بين المسيحية المنقسمة لأن فى « افتراق كلمتهم نصرة للإسلام »[٥] .

ومما توسل به جاى كذلك لتأسيس مملكته وتأمينها فى قبرس أنه دبر مع حلفائه البيازنة مؤامرة لانتزاع مدينة صور من مملكة بيت المقدس . ولكن هنرى دى شامبنى علم بالأمر قبل وقوعه فاتخذ الإجراءات الكفيلة بإحباط المشروع وقبض على عمورى لوزجنان أخى جاى ولم يطلق سراحه إلا بعد أن قام فى أمره رؤساء الداوية والاسبتارية ، وتعهد عمورى نفسه بالذهاب إلى قبرس[٦] .

ثم توفى جاى فى إبريل سنه ١١٩٤ م فتولى أخوه عمورى لوزجنان حكم قبرس (١١٩٤ — ١١٩٨ م) ، وهو المؤسس الحقيقى للدولة اللوزجنانية إذ كان

---

(1) Makharias, p. 21.

(٢) أطلق المسلمون هذا الإسم على جاى عندما أعتقه السلطان صلاح الدين بعد أن وقع أسيراً فى موقعة حطين . أبو شامه : الروضتين فى أخبار الدولتين من
Rec. Hist. Cr. Orient. Tome IV. p. 510.

(٣) أبو شامه : الروضتين فى أخبار الدولتين من Rec. Hist. Cr. Orient. Tome IV p. 509.

(٤) ابن شداد : النوادر السلطانية من Rec. Hist. Cr. Orient. Tome. III.p. 299.

(٥) أبو شامه : الروضتين فى أخبار الدولتين من Rec. Hist. Cr. Orient. Tome IV p. 510.

(6) Grousset ; Tome III; pp. 125—126.

سياسياً ممتازاً بالحزم والعقل، على قول ابن الأثير[١] فافتتح عهده بإصلاح ذات البين بينه و بين هنرى دى شامبنى ملك بيت المقدس و بذلك حلت المودة بين الرجلين محل الخصام ، ثم لم تلبث هذه المودة أن تطورت إلى رباط وثيق بين العائلتين بزواج أبناء عمورى الثلاثة من بنات هنرى الثلاث ، وهو الأمر الذى أدى فيما بعد إلى التوحيد بين تاجى قبرس و بيت المقدس وتركيز كل الجهود الصليبية فى الشرق[٢] .

و بعد أن استقرت الأمور بين الأسرتين الفرنسيتين على ذلك النحو ، أخذ عمورى فى تثبيت تملكه على قبرس و إعلاء شأن دولته بها ، و بدأ بتتويج نفسه ملكا على الجزيرة . ذلك أن أخاه جاى تسلم جزيرة قبرس لمدة حياته فقط وذلك مقابل مبلغ من المال . ثم إنه ظل مدة حكمه يدفع من الأموال السنوية للملك ريتشارد ما يفيد التبعية الشخصية[٣] ، واكتفى بلقب « سيدقبرس » وهو اللقب الذى حفظته الوثائق والنقود المعاصرة مع العلم بأن جاى لوزجنان كان يحمل لقب (ملك) من قبل لأنه كان فى يوم ما ملكا على بيت المقدس[٤] . أما عمورى لوزجنان فإنه عزم على التخلص من تلك التبعية الشخصية ، فولى وجهه شطر هنرى السادس إمبراطور الدولة الرومانية المقدسة وطلب الدخول فى كنف الإمبراطورية على أن يكون ملكا فى قبرس . ورحب الإمبراطور بالفكرة لما فيها من تحقيق لمشروع الإمبراطورية العالمية الذى طالما جهد الهوهنشتاوفن فى تحقيقه ، ومن ثم تعهد عمورى بدفع الجزية السنوية التى دفعها جاى للملك ريتشارد ، وأرسل

---

(١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ح ١٢ ص ٨٢ .

(2) Grousset ; Tome III; p. 135.

(3) Stubbs, p. 187 هـذا وإن كان جاى قد حاول فى وقت ما التخلص من التبعية لريتشارد ورأى أن يستعين بالسلطان صلاح الدين فى تحقيق ذلك فأرسل إليه يخبره بعصيانه على ملك انجلترا ويسأله المظاهرة عليه (أبو شامه : الروضتين ص ٥٠٨) .

(4) Stubbs ; p. 188.

هنرى السادس إثنين من رجاله لتتويج عمورى ملكا على قبرس وتم ذلك فى نيقوسيا سنة ١١٩٧ م بحضره مندوب بابوى [١] .

ولا شك فى أن قيام « مملكة » لوزجنان بقبرس ؛ إلى جانب مملكة بيت المقدس جعل للفكرة الصليبية بالشرق ركنين تستند إليهما بعد أن قلت الأمداد الأوربية عن الصليبيين . ولكن يلاحظ من جهة أخرى أن قيام المملكة اللوزجنانية فى قبرس بالذات حول كثيراً من نبلاء وفرسان الفرنجة عن مملكة بيت المقدس واجتذبهم إلى تلك الجزيرة البعيدة عن نقمة المسلمين [٢] . والواقع أنه لم تبق أية فائدة من التعلق بالثغور والمدن الشامية التى قضيت معظم أيامها تحت حصار المسلمين وعاش سكانها من الفرنجة فى خطر مستمر ، على حين قامت فى قبرس وعلى مسافة ساعات من شاطىء الشام دولة صليبية آمنة مطمئنة . وشجع هذه الحركة ملوك لوزجنان أنفسهم بما فيهم جاى الذى رأى فى اجتذاب الصليبيين من الشام إلى الجزيرة وسيلة تضمن استقرار حكمه فيها ، لما فى ذلك من ضمان للتغلب على أهلها الأصليين إذا هم فكروا فى التألب عليه [٣] . ولذا أعلن جاى غداة رحيله عن الشام أنه سوف يمنح الإقطاعات الوافرة لكل من لحقه فى قبرس من الصليبيين ، فتبعه فعلا كثير من فرنجة بيت المقدس وطرابلس وأنطاكيه وأرمينيا الصغرى [٤] . وترتب على ذلك حرمان أملاك الصليبيين بالشام من كثير من العناصر الصالحة فأصبحت مفتقرة إلى الرجال بدرجة خطيرة . وعلى مر الأيام أصبحت قبرس بالنسبة للصليبيين فى الشرق هى الأساس ومملكة عكا هى الفرع [٥] . غير أن الأمر لم يقتصر على ذلك فحسب ، بل تعداه إلى جنوح اللوزجنانيين أحيانا

(1) Grousset ; Tome III, p. 137.

(2) Heyd : Hist. du Commerce ; Vol II, p. 4.

(3) Lang : Chypre ; p. 110.

(4) L'Estoire d'Eracles (Rec. Hist. Cr. Occid, Tome II: pp. 191-192)

(5) Grousset ; Vol. III, p. 138.

إلى فكرة الحرب الاقتصادية ضد المسلمين فى البحر المتوسط وتفضيلهم مملكة قبرس على مملكة بيت المقدس وحسبنا دليلا على ذلك أنه بعد أن جمع آل لوزجنان بين تاجى قبرس و بيت المقدس لم يترددوا فى التضحية بمملكتهم بالشام أملا فى الاحتفاظ بمملكتهم الأخرى فى قبرس[١] .

على أن ملوك لوزجنان لم يقدموا على تلك الخطوة الفاصلة فى تاريخ الحروب الصليبية إلا خضوعاً للأمر الواقع ، وفى تاريخهم مايدل دلالة واضحة على الاهتمام بمملكة بيت المقدس وغيرها من البقايا الصليبية قبل أن يصبح لهم تاج تلك المملكة. وتفصيل ذلك أن وفاة صلاح الدين سنة ١١٩٣ م واضطراب الأحوال بين أبناء البيت الأيوبى شجع غرب أوربا على التفكير فى حملة صليبية جديدة ، ولا سيما أن صلح الرملة بين صلاح الدين و ريتشارد لا يمتد إلى أكثر من ديسمبر سنة ١١٩٥ . وجاءت حملة صليبية ألمانية إلى عكا فى سبتمبر سنة ١١٩٧ ، وعسكرت حولها انتظاراً للقادة الذين تخلفوا بقبرس للمشاركة فى تتويج عمورى لوزجنان ، باعتباره من اتباع الإمبراطور الألمانى[٢] . وفى تلك الأثناء هاجم السلطان العادل يافا ولم يجد هنرى دى شامبنى مساعدا غير عمورى ملك قبرس ، فعرض عليه يافا إذا هو أنقذها من خطر المسلمين . على أنه يبدو أن المسألة لم تكن انقاذ يافا من خطر المسلمين بقدر ما هى إنقاذها لهنرى شامبنى من خطر الألمان ، وهو مما لا يهتم له عمورى فى قليل أو كثير . ولذا لم يتحرك عمورى لنجدة هنرى إلا بعد استيلاء العادل على يافا . وتلا ذلك وفاة هنرى فجاء عمورى إلى الشام ولم يفكر فى مناجزة العادل ، بل جمع إليه الألمان واستعاض بمساعدتهم عن يافا ببيروت فاستولى عليها بينما كانت السفن تجلب المؤن والأقوات للصليبيين من قبرس . ثم

---

(1) Idem, p. 139.

(2) Idem, p. 146.

سمع الألمان بوفاة امبراطورهم فأخذوا يستعدون للعودة إلى بلادهم ، مما جعل عمورى يعقد الصلح مع العادل سنة ١١٩٨ [١] .

ولم يترك هنرى شامبنى سوى أرملة وهى إيزابلا ، فاتجه التفكير إلى تزويجها من عمورى ؛ ولقى المشروع ترحيباً من جميع الجهات إذ تحمس له الداوية والاسبتارية [٢] ، وأيد البابا إنوسنت الثالث فكرة الإتحاد بين تاجى قبرس وبيت المقدس ، ورأى الإمبراطور الألمانى الجديد — فردريك الثانى — أن تتويج تابعه ملكا على بيت المقدس فرصة جديدة لتحقيق أحلام الإمبراطورية العالمية . وهكذا تحالفت كل الظروف لإتمام زواج عمورى ملك قبرس من إيزابلا وكان أن تم ذلك سنة ١١٩٨ م [٣] . والواقع إن التوحيد الذى تم بين مملكتى قبرس وبيت المقدس جعل الدفاع عن المصالح الصليبية بالشام واجباً مفروضاً على ملوك قبرس ، ولم تعد مساعدة الصليبيين ضد المسلمين بالشام مجرد منحة يتكرم بها آل لوزجنان إن شاءوا أعطوها وإن أرادوا منعوها . وهكذا أصبح واجباً لزاما على ملوك قبرس أن يحشدوا الجيوش ويسخروا القوى ويجمعوا المؤن للذود عن مملكتهم الجديدة بعد أن أصبح الدفاع عنها والاحتفاظ بها أمانة فى عنقهم .

عكف عمورى على شئون مملكته الجديدة ، وكان فى خصومته مع المسلمين متزناً بعيداً عن التطرف حتى لقد وصفه ابن الأثير بأنه « رجل عاقل يحب السلامة والعافية » [٤] . لكن تساهله لم يصل إلى حد التفريط فى حقوق الفرنجة فطلب إلى العادل أن يضع حداً للإعتداءات البحرية التى قام بها والى صيدا على سفن الفرنجة ، ثم أرسل سفنه المسلحة فى البحر لمقابلة المثل بالمثل حين لم يجد أذنا صاغية من العادل ، فاعترض للقبارسة سبيل عشرين سفينة مصرية محملة بالمؤن فى طريقها

(1) Stevenson ; op. cit. p. 295.
(2) Grousset ; Vol. III; pp 155—164.
(3) Stubbs ; p. 196. وكذلك ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ج ١٢ ص ٨٢
(٤) ابن الأثير من (Rec. Hist. Cr. Orient, Tome II, p. 88).

إلى بلاد الشام ، وصادرتها وساقتها إلى عكا حيت قدرت الغنيمة بما يقرب من ستين ألف بيزانت ومائتى رجل[١] . ثم فكر عمورى فى شفاء غليله بالإغارة على أكثر أجزاء الإمبراطورية الأيوبية حساسية وهى مصر . فأبحر من عكا سنة ١٢٠٤ م على رأس أسطول مكون من عشرين سفينه ، ودخل فرع رشيد ، ونهب بلده فوه ، ثم عاد إلى عكا محملا بالغنائم[٢] . وفى تلك الأثناء علم عمورى بما آل إليه أمر الحملة الصليبية المعروفة بالرابعة ؛ كما علم بالصداقة التى بين السلطان العادل والبنادقه أصحاب النصيب الأكبر فى تلك الحملة ، فأسرع تلك السنة إلى معاهدة العادل على صلح مدته ست سنوات[٣] . ثم مات عمورى سنة ١٢٠٦ م فخسر الصليبيون فى شخصة مرشدا أميناً وسياسياً حازماً وقائداً عاقلا بذل ما فى وسعه لتقوية مركز الصليبيين بالشرق على الرغم مما صادفه من صعاب[٤] .

وأعقب موت عمورى الثانى انفصال تاج مملكة بيت المقدس عن تاج مملكة قبرس لعدة سنين ، إذ عادت المملكة الصليبيه إلى صاحبتها إيزابلا ثم إلى مارى كبرى بناتها من هنرى شامبنى[٥] ؛ وآل عرش قبرس إلى هيو الأول ابن عمورى وهو طفل لم يبلغ العاشرة من العمر . على أن ذلك الإنفصال لم يقطع من نشاط القبارسه ضد الشواطىء المصرية ، مما يدل على أن الروح الصليبية القديمه أخذت تجنح إلى القرصنة . ففى شتاء سنة ١٢٠٧ م استولى القبارسه على عدة قطع من الأسطول المصرى ، فأثار ذلك السلطان العادل ، وخرج من مصر على رأس عساكره يريد عكا ، علما منه بأن حنا بريَن – الذى أصبح وصيا على

---

(1) Grousset ; Tome III, pp. 180—181.

(2) De Methoum (Rec. Hist. Cr. Arm. Tome I, p. 480).

وكذلك أبو شامه : الروضتين فى أخبار الدولتين من

(Rec. Hist. Cr. Orient. Tome 5, p.159).

(3) Grousset ; Tome III, p. 184.

(4) King ; The Knights Hospitallers in the Holy Land. ; p. 176.

(5) Stubbs ; p. 197.

مملـكة بيت المقدس ـ هو القوة من وراء جميع الأعمال الصليبيه . وأرسل العادل إلى الوصى يذكره بالمعاهـدة القائمة بين المسلمين والصليبيين ، وأن من واجب حنا إبلين باعتبـاره أكبر شخصية بين الصليبيين فى الشرق أن يوقف القبارسه عنـد حدهم . فأجاب الوصى بأنه لايملك أن يشير على مملـكة قبرس بشىء وأن الفرنجة ببـلاد الشام لا يتحملون بأى حال ما يأتيه قرصان قبرس من أعمال . ثم انتهى الإشكال أخيرا برد الأسرى المسلمين (١) . على أن القبارسة لم يلبثوا أن أغاروا مرة أخرى على الشواطىء المصرية شتاء سنة ١٢١٠ م بقيادة نائب المملـكة ـ وهو المعروف فى المراجع العربيه باسم البال (Bailli) ـ وكان الهدف تلك المره بلده نوره على ساحل النيل غرب دمياط القديمة ، « ونال البال القبرسى بفعلته هذه والتى قبلها عندما أغار على فوه ما لم ينله أحد قبله ولا أقدم إقدامه » (٢) . وبعد ذلك اشترك القبارسه فى بعض الهجمات المحلية التى قام بهـا الصليبيون ببلاد الشام على بلاد الإسماعيلية (٣) .

ثم بلغت مارى صاحبه الحق الشرعى فى مملـكة بيت المقـدس سن الرشد سنة ١٢١٠ م ، فتزوجها حنا برين ، وتوج ملـكا إلى جانب زوجته الصغيرة تلك السنه . ولـكى يتفرغ حنا لشئون مملـكته الجـديدة عقد صلحا مع العادل لمدة ست سنوات (١٢١١ — ١٢١٧) جاءت فى أثنائها حمله صليبيه إلى الشرق بقيادة أندريه الثانى ملك المجر ، وشاركت فيها قبرس برجالها وملـكها هيو الأول الذى توفى عند طرابلس فى فبراير سنـــة ١٢١٨ م . ووافقت تلك الوفاة نهاية الصلح القائم بين حنا برين والسلطان العادل ، ففـكر حنا فى طعن الدولة الأيوبية طعنة نجلاء ووقع إختياره على دمياط مما أدى تلك السنه إلى الحمله الصليبيه المعروفة

(١) ابن الأثير : الـكامل فى التاريخ حـ ١٢ ص ١٨١ .

(٢) أبو شامه : الروضتين فى أخبار الدولتين (Rec. Hist. Cr. Orient, Tome 5, pp. 158—159

(٣) المقريزى : السلوك حـ ١ ق ١ ص ١٧٩ .

بالخامسة . وشاركت قبرس فى تلك الحمله الشهيرة بكثير من الفرسان وعلى رأسهم مطران نيقوسيا الذى أسهم فى الإستيلاء على دمياط بجهد كبير وذلك عدا مواد التموين التى أمدت بها قبرس رجال الحمله من أولها إلى آخرها .[1]

ويبدو أن مطران نيقوسيا كان صاحب الفضل فيما شاركت به قبرس من معونة للحملة الصليبيه المعروفة بالخامسة ، فإن الملك هنرى الأول ابن هيولم يتجاوز عمره وقتذاك تسعة أشهر ؛ ولو كان الأمر بيد أمه لما قدمت قبرس شيئا من تلك المساعدة ، لأنها رأت كما رأى أعمام الملك الطفل ألا فائده لقبرس من المشاركة مع الصليبيين القادمين إلى الشرق [2] . ثم جاء فشل الحمله مصدقا لتلك السياسة فلزمت قبرس جانب الحياد حتى كانت سنة ١٢٢٨ م ووصول الحمله الصليبيه المعروفة بالسادسه وهى حمله الإمبراطور الألمانى فردريك الثانى صاحب المغامرات الطريفة بالشرق .

ذلك أن فردريك أراد قبرس على أن تصبح تابعة للامبراطورية تبعية فعلية لا إسمية كما بدت منذ استعان عمورى لوزجنان بالإمبراطور هنرى السادس فى تتويجه ملكا [3] . وكان الامبراطور فردريك الثانى يعمل منذ أوائل عهده على تحقيق ذلك الغرض، وقام بعدة محاولات آخرها المطالبة بالوصاية على الطفل هنرى الأول بعد موت أبيه هوج الأول سنة ١٢١٨ م . لكن الوصى على هنرى وهو وقتذاك فيلب إبلين عجل بتتويج هنرى فى نيقوسيا سنة ١٢٢٥ قبل أن يقوم فردريك الثانى بحركة ما ، وذلك على الرغم من أن هنرى لم يبلغ سن الرشد . وأيد تلك الخطوة أعضاء بيت لوزجنان والفرسان اللاتين بالشرق الذين خشوا أطماع الأباطره الألمان فى الشرق . [4] ثم مات فيلب سنة ١٢٢٨ م وحل محله

---

(1) Grousset, Tome III ; pp. 208—236.

(2) Stubbs ; p. 198.

(٣) انظر ما سبق ص ٤٣ — ٣٥

(4) Grousset ; Tome III ; pp. 276—277.

فى الوصاية إبنه حنا إبلين على غير رضا الملـكه الوالده ، رغم قرابتها الشديدة لآل إبلين . [1] وصادف ذلك قدوم الامبراطور فردريك الثانى إلى الشرق على رأس الحمله الصليبيه المعروفه بالسادسه ، بعد أن تزوج سنة ١٢٢٥ م من الأميرة يولاند بنت حنا برين الوريثه الشرعيه لمملـكة بيت المقدس [2] .

ولم تـكد الملـكة الوالدة بقبرس تعلم بمجىء فردريك الثانى إلى الشرق حتى أرسلت خمسة من الفرسان لمقابلته فى الموره وطلب مساعدته ضد حنا إبلين [3] . وهنا أدرك فردريك أن الفرصة سانحة لنشر سلطانه الفعلى على الجزيرة وتوسيع نفوذه فى الشرق ، مما سوف يساعـد على تحقيق فـكرة الامبراطورية العالميـة ، ويقوى مركزه عنـد السلطان الـكامل فى مصر . ذلك أن فردريك جاء إلى الشرق مفاوضا لا محاربا ، بدليل قلة ما استصحب من الجند من أوربا ، وهو الامبراطور الذى يستطيع أن يجيش الجيوش الـكبيرة . وكان إهتمامه بقبرس لا من أجـل الجيوش وإنما ليجعل منها سلما لتحقيق بعض أمانيه فى الشرق وكذلك لتغطية نفقات الحمله بعد أن أفهمه رسل الملـكه الوالده أن موارد قبرس كافية لذلك [4] .

ولهـذه الاعتبارات قصـد فردريك قبرس فوصل ليما سول فى ٢١ يوليه سنة ١٢٢٨ حيث استقبله حنا إبلين أحسن استقبال وعقد معه اتفاقية انتقلت بمقتضاها قبرس — وفقا لقانون الاقطاع الجرمانى — إلى الامبراطور فردريك الثانى الذى أسرع بتعيين نائب صقلى عنه فى قبرس ؛ كما بث الحاميات الصقليه فى

---

(1) Stubbs ; pp. 199—200.

(2) Kantorowicz : Frederick the Second ; p. 168.

(3) Stubbs ; p. 200.

(4) Ibid.

مختلف قلاع الجزيرة وعين موظفين ماليين لجمع الضرائب والدخل . [1] و يظهر أن السبب فى رضوخ حنا إبلين هو إعتقاده أن الإمبراطور ينوى القيام بحرب جدية ضد المسلمين وأن الواجب الصليبى يملى عليه أن يضحى من جانبه حتى لا يكون سببا فى إشكالات تؤدى إلى الفشل . [2] ثم ذهب الامبراطور إلى الشام و بصحبته حنا إبلين ولفيف من الفرسان القبارسه ، و بعد أن عقد مع السلطان الكامل معاهدته المشهورة سنة ١٢٢٩ قفل راجعاً إلى بلاده ومر فى طريقه بقبرس حيث قضى عدة أيام بليماسول حضر فيها خطبة للملك الشاب هنرى الأول إلى ألكس دى مونتفرات ، ووكل بالوصاية إلى خمسة من الفرسان القبارسه المعروفين بعدائهم الشديد لبيت إبلين [3] . ولما توالت الأخبار على فردريك بتحرج الأحوال فى بلاده إضطر إلى مغادرة قبرس مسرعا ، فوصل برنديزى فى يونيه سنة ١٢٢٩ . [4] على أن قبرس لم تظل على تبعيتها للامبراطورية أكثر من ثلاث سنوات ، إذ تحالف الفرسان اللاتين تحت زعامة آل إبلين وتمكنوا بعد سلسلة من الحروب الداخلية من هزيمة القوات الامبراطورية وطردها من الجزيرة سنة ١٢٣٢ م . [5] وهكذا انتهت محاولة فردريك الثانى فى قبرس بالفشل .

وفى تلك السنه نفسها بلغ هنرى الأول لوزجنان سن الرشد ، ومن ثم دخلت قبرس فى عصر من أزهى عصورها وأكثرها رخاءاً وعظمة ومشاركة فى الحروب الصليبية [6] .

---

(1) Kantorowicz ; op cit p. 181.

(2) Stubbs ; op. cit. p 200.

(3) Grousset ; Tome III, p. 322.

(4) Kantorowicz ; op. cit. p. 206

(5) Idem ; p. 389 & Grousset, Tome III, pp. 331—347.

(6) Cambridge Mediaeval History ; Vol. 4, p. 469.

ففى سنة ١٢٣٩ دعا البابا جريجورى التاسع لحملة صليبيه بسبب إعتداء المسلمين على بيت المقدس ، ومرت تلك الحمله بقبرس وقام هنرى الأول فيها بدور مازال مجهول التفاصيل فلا يعرف بالضبط مدى مساعداته لتلك الحمله . (١)

ثم كانت حملة لويس التاسع ملك فرنسا إلى الشرق ، وهى الحمله المعروفة بالسابعة وكان مجيؤها استجابة للنداء الذى أرسله البابا إنوسنت الرابع بعد إستيلاء الخوارزميه على بيت المقدس سنة ١٢٤٤ . (٢) ووصل لويس ميناء ليماسول فى ٢١ سبتمبر سنة ١٢٤٨ ، حيث رحب به هنرى الأول واصطحبه إلى نيقوسيا وسط هتاف الفرسان ورجال الدين وسائر سكان الجزيرة(٣) .

ولا غرو ، فإن حملة لويس التاسع إمتازت بطابعها اللاتينى الفرنسى ، فلا أقل من أن يرحب بها الشرق اللاتينى ترحيبا عظيما ويؤيدها تأييدا قوياً ، ولا سيما قبرس التى أصبحت فرنسا الجديدة تحت حكم آل لوزجنان(٤) .

وفى قبرس تم الاتفاق على أن تكون مصر هى الموضع المختار لهجوم الصليبيين ، حتى اذا إنتهى الشتاء والربيع قصد لويس الى الشواطىء المصرية بعد أن انضمت اليه معظم القوات الصليبيه بالشرق ومنها هنرى الأول على رأس ألف من الفرسان (٥) . وأبلى القبارسه الذين اشتركوا فى تلك الحملة بلاءاً حسناً ودخل ملك قبرس مع ملك فرنسا دخول المنتصر إلى دمياط سنة ١٢٤٩ ، ولكنه لم يشارك ملك فرنسا سوء حظه فى الأسر ، إذ قدر له أن ينجو من أيدى المسلمين ، وأن يعود إلى قبرس حيث مات سنة ١٢٥٣ تاركا العرش لابنه هيو الثانى الذى لم يبلغ من العمر عندئذ سوى بضعة أشهر(٦) .

---

(1) Stubbs ; p. 202.
(2) Grousset, Tome III, p. 412.
(3) Michaud ; Tome III, p. 107.
(4) Grousset ; Vol. 3, p. 429.
(5) Idem ; pp. 430—437.
(6) Stubbs ; pp. 202—203.

الباب الثالث

قبرس ودولة المماليك الأولى

(١٢٥٠ — ١٣٨٢ م)

سقوط الدولة الأيوبية وقيام دولة المماليك الأولى بمصر والشام — سلاطين المماليك والصليبيون — قبرس وزعامة القوى الصليبية بالشرق — غضب سلاطين المماليك على قبرس — محاولة السلطان بيبرس فتح قبرس سنة ١٢٧٠ م — أسباب فشله — آخر أيام الصليبيين بالشام — حصار الأشرف خليل عكا سنة ١٢٩١ — جهود القبارسة فى الدفاع عنها — سقوط عكا فى أيدى المسلمين — أثر ذلك فى قبرس — المشروعات البابوية لاسترداد الأراضى المقدسة ومساهمة ملوك قبرس فى هذه المشروعات — تولية بطرس الأول لوزجنان عرش قبرس سنة ١٣٥٩ م — حملته على الإسكندرية سنة ١٣٦٥ م — إغاراته على طرابلس وغيرها من الموانى الشامية والأرمينية سنة ١٣٦٧ — مقتله سنة ١٣٦٩ م .

وافق انتهاء الحملة الصليبية المعروفة بالسابعة انقلاب هام فى تاريخ مصر والشرق الأدنى كله ، وهو الانقلاب الذى بدأ بسقوط الدولة الأيوبية وانتهى بقيام دولة المماليك الأولى بمصر والشام سنة ١٢٥٠ م . وتطلّع العالم الإسلامى إلى الدولة الجديدة لتقوم بالدور الذى قام به الأيوبيون ضد الصليبيين . على أن خطراً آخر هدد المسلمين عامة فى أواسط القرن الثالث عشر الميلادى وهو الخطر المغولى ، فانصرف إليه المماليك دفاعا عن كيانهم الجديد ، ثم ما لبثوا أن أثبتوا أنهم زعيمون بتحمل الأعباء الملقاة على عواتق دولتهم الجديدة ، وذلك حين أنزلوا بالمغول هزيمة منكرة عند عين جالوت سنة ١٢٦٠ م . وهكذا استمدت دولة المماليك من ذلك النصر المبكر قوة رهيبة برزتها فى نظر المسلمين كافة ،

ولا سيما أن ذلك النصر جاء بعد أن عجزت القوى الإسلامية الأخرى أن توقف التيار المغولى أثناء طريقه الطويل من جوف آسيا إلى أطراف الشام .

و بعد ذلك كان على المماليك أن يتحولوا إلى الخطر الصليبى القديم ، لأن الدولة الأيو بيـة انتهت ، والدولة المملوكية قامت ، والموقف بين المسلمين والصليبيين يكاد يكون هو بعينه عند قيام الأيو بيين ، من حيث الخشية مما عساه يأتى من أوربا من الحملات الصليبية على غرار حملة لويس التاسع . ولم يدر سلاطين المماليك أو غيرهم من المسلمين أن الحدة الصليبية الأولى قد خفت ، وأن النعرة الدينية قد ضعفت ، بل ظلوا يظنون أسوأ الظنون ، لأن اقتحام السواحل المصرية ابتغاء الوصول إلى القاهرة جعلهم يتخيلون الصليبيين أقرب إليهم من ذى قبل . ثم إن المشكلة الكبرى بين المسلمين والصليبيين ظلت فى جوهرها كما هى ، فلا زال الصليبيون يحتلون عدداً لا يستهان به من مدن الشام ، ولا زالوا يحلمون باستخلاص الأراضى المقدسة من أيدى المسلمين .

هكذا ظل العداء مستحكما والنزاع قائماً بين الفريقين ، وأظهر سلاطين المماليك أثناء ذلك الصراع ثباتاً عظيما يسترعى الإعجاب ، فناضلوا الصليبيين دون أن تثبط لهم همه حتى تمكنوا من القضاء فى صورة تامة على كل البقايا الصليبية بالشام . ذلك أنهم رأوا فى الصراع مع الصليبيين امتحانا ثانياً لدولتهم ، وفيه يكرمون أو يؤولون إلى الفناء والإهمال ، بله السقوط فى أعين المسلمين .

وفى أثناء ذلك النضال تزعمت الدولة المملوكية قوات المسلمين بالشرق الأدنى ، كما تزعمت قبرس قوات الصليبيين — ومشروعاتهم . وآية ذلك أن معظم الحملات الصليبية فى العصور الوسطى المتأخرة لم يأت من الغرب بل قام عليه ملوك اللوزجنان[1] .

---

(1) Atiya : The Crusade in the Later Middle Ages ; p. 44.

والفضل الأول فى ذلك يرجع إلى موقع الجزيرة الذى جعلها تمتع بقسط وافر من الأمان والطمأنينة بحكم حماية البحر لها ، وجعل من ملوكها حماة للمسيحية ضد الإسلام [١] ، بخلاف مملكة أرمينيا الصغرى وملوكها الذين جاوروا المماليك ودولتهم من ناحية البحر . ذلك أن الناحية البرية غلبت على دولة المماليك ، فلم تلبث البقايا الصليبية بالشام أن ضاعت فى أواخر القرن الثالث عشر الميلادى ، وتلتها مملكة أرمينيا الصغرى فى أقل من عشرين سنة ؛ على حين بقيت قبرس وملوكها يحملون لواء الصليبيين ويدعون إلى وجوب إرسال الحملات الصليبية من أوربا .

على أن قبرس لم تستطع القيام بذلك الدور إلا بعد سنين ، إذ كان قيام هيو الثانى ملكا سنة ١٢٥٣ م ولما يبلغ بضعة أشهر كفيلا بأن يصرف الدولة كلها إلى مشاكل الوصاية . فقامت الملكة الوالدة بلاكنتيا (Placentia) وصية حتى العام التالى عندما ذهبت إلى فلسطين حيث تزوجت باليان إبلين (Balian) صاحب أرسوف فأسندت الوصاية على الملك هيو الثانى الطفل إلى قريبة هيو الأنطاكى. وحدث أثناء وصاية هيو الأنطاكى أن قام السلطان بيبرس بهجومة العظيم على القوى الصليبية بالشام سنة ١٢٦٣ م ، وهو الهجوم الذى أعقب تخلصه من خطر الملك المغيث الأيوبى صاحب الكرك [٢] ، فأسرع الوصى هيو الأنطاكى سنة ١٢٦٥ م إلى نجده الصليبيين بقوة كبيرة من قبرس ، قدرها المقريزى بنحو ألف وخمسمائة فارس [٣] . ولكن يبدو أنه وصل متأخراً فلم يستطع القيام بشىء ضد إستيلاء بيبرس على قيسارية وحيفا وأرسوف ، مما أدى إلى إشتداد الخلاف بين البنادقة والجنوية من ناحية ، والداوية والاستبارية من

---

(1) Idem ; p. 322.

(٢) المقريزى : السلوك حـ ١ ق ٢ ص ٤٨٣ .

(٣) المقريزى : السلوك حـ ١ ق ٢ ص ٥٥٤ .

ناحية أخرى ، كما أدى بكثير من الفرنجة إلى بيع أقطاعاتهم والرحيل إلى الغرب فراراً من تلك الحيـــاة القلقة المهددة (١) . وظل هيو الأنطاكى وصيا حتى سنة ١٢٦٧ م . ولا شك أنه من سوء حظ الصليبيين أن يظل عرش قبرص على تلك الحال القلقة فى الوقت الذى قبل المغول التحالف مع الصليبيين للقيام بحملة مشتركة ضد مصر (٢) . ثم تغير الموقف حين مات الملك هيو الثانى سنة ١٢٦٧ فخلفه الوصى باسم هيو الثالث الذى لم يلبث أن توج أيضا فى صور ملكا على بيت المقدس سنة ١٢٦٩ ، و بذلك تم توحيد المملكتين تحت تاج واحد من جـــديد (٣) . وكان هيو الثالث رجلا نشيطا صالحا للقيام بأعباء المهمات التى ألقيت على عاتقه باعتباره ملك الدولتين الصليبيتين بالشرق (٤) . ودلّ على ذلك حين قبض على رسل السلطان بيبرس الأول وهم فى طريقهم إلى سلاجقة الروم عن طريق قبرس رغم الأمان المعطى لهم ؛ و إن كان بيبرس عندئذ فى شغل بتوطيد سلطته ، فاكتفى بدعوة بعض الزعماء الصليبيين وعاتبهم أشد العتاب لغدر صاحب قبرس (٥) . ومن ذلك الخطاب الطويل الذى ألقاه بيبرس على ممثلى الهيئات الصليبية بالشام يتضح مدى حنقة على هيو الثالث لإعتداء رعيته على المسلمين من جهة ولمساعدتهم للصليبيين من جهة أخرى ، إذ تعرض فيه الملك هيو الثالث بالنقد القوى والتحقير الشديد والتهديد والوعيد . ثم أتلى بيبرس تهديده ووعيده بالتفكير فى غزو قبرس ، فأخذ يعد العدة لذلك ، وسرعان ما سنحت له الفرصة سنة ١٢٧٠ م عندما علم أن هيو الثالث جاء إلى عكا لتفقد شئون مملكة بيت المقدس فرأى أن يدهم الجزيرة فى غيبته (٦) .

---

(1) Stubbs ; p. 203.

(2) Grousset, Tome III ; p. 532.

(3) Idem ; p. 618.

(4) Stubbs ; p. 204.

(٥) المقريزى : السلوك ص ٨٤ : — ٨٦ : .

(6) Grousset ; p. 658.

وسارت الشوانى المملوكية — وعدتها سبع عشرة — فى سرعة إلى الجزيرة [١]، بعد أن أعدّ المقدم ابن حسون خدعة حربية كان المظنون أنها من اختراع العقل الحديث، وهى أنه طلى ظاهر السفن بالقار مثلما كان يعمل الصليبيون فى سفنهم، ورسم عليها الصلبان حتى تنسبك الحيلة على القبارسة [٢]. غير أن ريحا عاصفة هبت والسفن على مقربة من ميناء ليماسول فانكسر منها أحد عشر شينيا، وعرف القبارسة من صياح البحارة أنها سفن إسلامية فأسروا جميع من فيها من الرجال [٣]، وعدتهم ألف وثمانمائة [٤]. أما الشوانى الستة الباقية فإنها نجت وعادت سالمة وعليها الرئيس ابن حسون [٥]. وشمت هيو الثالث وأرسل إلى بيبرس يخبر بانكسار سفنه وأسر رجالها قبل وصول ابن حسون، فلما تحقق السلطان الخبر لم يشأ إلا أن يجعل من الهزيمة نصراً ومن الانكسار ظفراً، إذ قال « الحمد لله ! منذ ملكنى الله تعالى ما خذلت لى رايه، وكنت أخاف إصابة عين، فبهذا ولا بغيره [٦] » ثم إنه كتب رسالة — بذلك الأسلوب التهكمى اللاذع الذى اشتهرت به رسائله — يرد بها على هيو، وصادف ذلك استيلاء بيبرس على حصون القرين بالشام، فوازن بين فتح القرين وما يدعيه هيو من نصر زائف مرجعه الريح لا الشجاعة فقال : «وما العجب أن يفخر بالاستيلاء على حديد وخشب، الإستيلاء على الحصون الحصينة هو العجب ... وما النصر بالهواء مليح وإنما النصر بالسيف هو

---

(١) قدر أبو المحاسن (النجوم ح ٧ ص ١٥٤) عدد السفن التى تألفت منها هذه الحملة بسبعة عشر شينيا . أما العينى فقال أنها ستة عشر (Rec. Hist. Cr. Orient. Tome. II, p. 239).

(٢) العينى : عقد الجمان من (Rec. Hist. Cr. Orient. Tome II, p. 240).

(٣) المقريزى : السلوك ح ١ ق ٢ ص ٥٩٣ .

(٤) العينى : عقد الجمان من (Rec. Hist. Cr. Orient, Tome II, p. 239).

(٥) أبو المحاسن : النجوم ح ٧ ص ١٥٤ .

(٦) المقريزى : السلوك ح ١ ق ٢ ص ٥٩٤ .

المليح . ونحن ننشىء فى يوم واحد عدة قطايع ولا يُنشىء لكم من حصن قطعة ، ونجهز مائة قلع ولا تجهز لكم فى مائة سنة قلعة . وكل من أعطى مقدافا قدف وما كل من أعطى سيفا أحسن الضرب به أو غرف . . . وأنتم خيولكم المراكب ونحن مراكبنا الخيول . . . ولو أن فى الملك سكوتا كان الواجب عليه (هيو الثالث) أن سكت وما تكلم [1] » . ثم بعث بيبرس الأمير فخر الدين الحاجب إلى صور لابتياع الأسرى ، لكن الفرنج تغالوا فى ثمن الرؤساء مغالاة أعجزت المماليك عن شرائهم ، فظل هؤلاء — وعددهم ستة — عند الفرنج وحبسوا فى قلعة عكا حتى تمكن المسلمون من رشوة الحراس المكلفين بهم وتهريبهم إلى القاهرة [2] .

أما هيو الثالث فإنه ظل معظم تلك السنوات بعكا (١٢٦٩ — ١٢٧٦) ، لأن حركات بيبرس أخافته على البقية الباقية من مملكة بيت المقدس [3] . وفى أثناء إقامته وصلت إلى عكا (مايو سنة ١٢٧١) حملة صليبية صغيرة بقيادة الأمير ادوارد الإنجليزى ، الذى صار فيما بعد ادوارد الأول ملك انجلترا . وهى فى الواقع جزء من الحملة الصليبية التى تعرف بالثامنة ، والتى سار على رأسها لويس التاسع وأرسى بها على شواطىء تونس حيث تفرقت شيعا بسبب وفاة لويس . واجتمع الأمير ادوارد بالملك هيو الثالث فى عكا وتم الاتفاق بينهما على أن استرداد الأراضى المقدسة لا يكون إلا بالإستيلاء على مصر ، وأن تأمين الصليبيين بالشام يتطلب الإستيلاء كذلك على القسطنطينية وذلك بعد اتمام فتح مصر والشام [4] . وليس فى ذلك كله جديد ما عدا أن الأمير ادوارد اتفق

(١) العينى : عقد الجمان من
(Rec. Hist. Cr. Orient. Tome II, pp. 240—242).

(٢) المقريزى : جـ ١ ق ٢ ص ٦١٥ .

(3) Grousset, Tome III ; p. 669.
(4) Stubbs ; op. cit. pp. 205—206.

ذلك الإتفاق العريض وليس لديه من الجيوش إلا القليل ، حتى أن حملته لم تتمخض فى النهاية إلا عن مفاوضة بيبرس وعقد هدنة بين الطرفين مدتها عشر سنوات وعشرة أشهر وعشرة أيام (سنة ١٢٧٢ م) [١] . وفى العام التالى عاد هيو الثالث إلى الشام حيث دارت معركة بين المسلمين والفرنجة قرب بيروت باء فيها الفرنجة بفشل ذريع [٢] . هذا وإن كان يبدو أن ذهاب هيو إلى الأراضى المقدسة هذه المرة لم يكن بقصد مناوأة المسلمين أو حربهم وإنما لاسترداد حقوقه فى مملكة بيت المقدس من مغتصبيها من الصليبيين [٣] . وظل هيو يعمل على إصلاح حال الفرنجة بالأراضى المقدسة ويزيل ما بين الجماعات والهيئات الصليبية المختلفة من تنافس إلى أن أعيته الحيلة فانسحب نهائياً إلى قبرس سنة ١٢٧٦ دون أن يعين نائباً عنه يرعى شئون مملكته الشامية ؛ واكتفى بأن أرسل من قبرس إلى البابا جريجورى العاشر يخبره بسوء حال الصليبيين بالشام [٤] .

وقد قضى هيو الثالث بقية عمره فى إصلاح أحوال جزيرة قبرس ، إلى أن توفى فى صور سنة ١٢٨٤ فخلفه على عرش قبرس ابنه حنا الأول ؛ ثم مات حنا سنة ١٢٨٥ فخلفه أخوه هنرى الثانى الذى صارت إليه مملكة بيت المقدس كذلك سنة ١٢٨٦ م وامتد حكمه فى قبرس حتى سنة ١٣٢٤ م . وشهد هنرى الثانى أواخر عصر قلاون ، كما شهد عصر خليل صاحب الفضل فى إخراج الصليبيين نهائيا من الشام ، فضلا عن جزء كبير من عصر الناصر محمد . ففى السنة التى تولى فيها هنرى الثانى عرش قبرس استولى قلاون (١٢٧٩ — ١٢٨٩) على المرقب آخر الحصون التابعة للاسبتارية بالشام ، واضطر هؤلاء إلى الانتقال

---

(1) Stevenson, op. cit. p. 345.

(٢) المقريزى : السلوك حـ ١ ق ٢ ص ٧١٦ .

(3) Stubbs, op. cit. pp. 206—207.

وكذلك المقريزى : السلوك حـ ١ ص ٧١٦ حاشية رقم ١ .

(4) Grousset ; op. cit. pp. 669—670.

إلى عكا . ثم استولى قلاون على طرابلس وقضى بذلك على إحدى الإمارات الصليبية الأولى ، كما قضى بيبرس على انطاكية من قبل . ولم يبق للصليبيين فى الواقع من المدن الكبرى بعد ذلك سوى عكا مركز مملكة بيت المقدس ، والتى أصبحت بعد فتوحات بيبرس وقلاون مأوى لجميع الصليبيين من اسبتارية وداويه و بيازنة وجنويين و بنادقة وانجليز [1] .

وقد حدث أثناء حصار قلاون لمدينة طرابلس أن أرسل هنرى الثانى ملك قبرس أربعة شوانى لنجدتها [2] ، ولكن هنرى لم يستطع الإقامة ببلاد الشام فى ذلك الوقت العصيب بسبب معارضة فرسان الفرنجة له من جهة وضعفه وتردده من جهة أخرى حتى سماه بعض المؤرخين « لويس السادس عشر القبرسى » . ولهذا قنع هنرى الثانى بالبقاء فى قبرس مكتفيا بإرسال النجدات بين حين وآخر إلى الصليبيين كلما دعت الحاجة إلى ذلك [3] .

ولكن هنرى الثانى أدرك أن قلاون سوف يحاول الاستيلاء على عكا ، التى على الرغم من سهولة تموينها من قبرس وقوة تحصينها ، لم يكن لها ضمان كاف لتحقيق سلامتها بعد أن أصبح المسلمون يحيطون بها إحاطة السوار بالمعصم . لذا أسرع هنرى الثانى عقب سقوط طرابلس إلى مفاوضة السلطان قلاون فى الصلح ، وعقد معه هدنة مدتها عشر سنوات وعشرة أشهر (أغسطس سنة ١٢٨٩) وبذلك أعطى هنرى — وهو آخر ملوك مملكة بيت المقدس — ملوك الغرب فرصة كافية يستطيعون فيها تصفية مشاكلهم وتوجيه جهودهم نحو شئون الشرق إن كانوا فاعلين [4] .

---

(1) Stubbs ; op. cit. p. 207.

(٢) والمقريزى : السلوك ج ١ ق ٢ ص ٧٤٧ .

(3) Grousset ; Tome 3, pp. 731—732.

(4) Stubbs ; p. 208 & Grousset ; Tome III, p. 747.

ولم تمهل المنيه قلاون حتى ينتزع عكا من أيدى الصليبيين ، إذ مات فى نوفمبر سنة ١٢٩٠ م ، فأخذ ابنه خليل (١٢٩٠ — ١٢٩٣ م) يعمل من بعده لتحقيق تلك الغاية ، فأعد العدة الكافية من مصر والشام ، وسار بنفسه إلى عكا وألقى عليها الحصار . وجاء هنرى الثانى بنجدة من قبرص للدفاع عن مملكته الثانية بالأراضى المقدسة[1] ، ففرح الصليبيون بعكا فرحاً شديداً لمجيئه بتلك القوة العظيمة حتى أنهم أوقدوا النيران إحتفالا به[2] . على أن هنرى حاول أولا فتح باب المفاوضات مع السلطان خليل لعقد الصلح ، فلما أخفقت محاولته عزم على الدفاع عن عكا حتى النهاية ؛ ولكنه سرعان ما فقد الأمل فى انقاذ المدينة بسبب إنحلال أمر الصليبيين واختلاف كلمتهم فى الوقت الذى رابطت الجيوش المملوكية على الأبواب ، ولذا قرر هنرى الثانى العودة إلى قبرص ومعه كل قواته وفرسانه فكان لذلك أسوأ الأثر فى نفوس المدافعين[3] . ولم تلبث عكا أن سقطت فى اليوم الرابع للهجوم الإسلامى عليها (١٨ مايو سنة ١٢٩١م) وهكذا دالت دولة الصليبيين ببلاد الشام إلى حيث لا رجعة[4] .

ولكن إذا كان سقوط عكا قد ترتب عليه زوال دولة الصليبيين اللاتينية نهائيا من قارة آسيا ، إلا أن تلك الدولة عاشت فى جزر البحر المتوسط، فغدت قبرص أكبر ملجأ للاتين بالشرق ، ومنها استمرت وسرت قوانين الإقطاع التى انتقلت

---

(1) Michaud, op. cit. Tome III ; p. 323.

(٢) أبو المحاسن : النجوم ح ٨ ص ٦ وكذلك
Schlumberger : Prise de Saint-Jean d'Acre, p. 23, 36 ... etc.

(٣) أبو المحاسن : النجوم ح ٨ ص ٦ وكذلك Michaud ; Tome III, p. 327.
وفى رواية أخرى أن هنرى اشترك فى الدفاع عن عكا حتى النهاية وأنه لم يتخل عنها إلا عندما اشتدت وطأة الهجوم الأسلامى وأخذ من فيها من الصليبيين يفرون نحو البحر ، فكان من الهاربين الملك هنرى . أنظر Grousset, Tome, III, p. 758. وكذلك Stevenson: Op. Cit. p. 354.

(4) Stubbs ; p. 209.

إليها من مملكة بيت المقدس[١] . وهكذا فإن قبرس التى كانت قبل سقوط عكا معقلا هاما من معاقل المسيحية اللاتينية بالشرق ، غدت الآن بعد سنة ١٢٩١ م أهم المعاقل وأقواها[٢] ؛ بما فى ذلك مملكة أرمينيا الصغرى التى كانت تسير نحو الإنحلال والفناء فى خطى سريعة ، فضلا عما حاط إخلاصها وولاءها للبابا والكنيسة الغربية من شكوك[٣] . ونتيجة أخرى لسقوط عكا فى أيدى المسلمين أن قبرس أصبحت الجبهة الرئيسية فى الحروب الصليبية ، وأضحى ملوك اللوزجنان وسلاطين المماليك وجها لوجه ، والصراع بينهما مباشراً دون واسطة . ويوضح ذلك تماما أن قبرس فتحت أبوابها للاجئين والمشردين من الصليبيين الفارين من بلاد الشام ، وهم الذين خسروا بسقوط عكا آخر مكان يمكن أن يلجأوا إليه بالأراضى المقدسة ، فلم يبق أمامهم سوى قبرس القريبة المنيعة . وهكذا أخذ الصليبيون ينزحون إلى الجزيرة فرادى وجماعات ومعهم عائلاتهم وما أمكن نقله من ثروتهم[٤] . وهناك فى قبرس رحب بهم الملك هنرى الثانى[٥] ، كما آوى هيئات الفرسان المشردة من بلاد الشام ، فظل الاسبتارية فى ليماسول إلى أن تم لهم انتزاع جزيرة رودس من الدولة البيزنطية سنة ١٣٠٨ م فاتخذوها مقراً لهم[٦] .

ولسقوط عكا أثر كبير فى أحوال قبرس الاقتصادية ؛ إذ انتقلت إليها الجاليات التجارية التابعة للبندقية وجنوا وبيزا ومرسيليا ؛ وتأسست بها المؤسسات التجارية لتكون على إتصال دائم بفنادق هذه المدن فى مصر وآسيا الصغرى ،

---

(١) باركر : تراث الإسلام ص ٩٧ — ٩٨ .

(2) Megaw : The Antiquities of Cyprus (Great Britain & the East, p.7)

(3) Atiya ; op. cit. p. 322.

(4) Schlumberger, p. 53. & Les Gestes des Chiprois (Rec. Hist. Arm. Tome II, p. 818).

(5) Stubbs ; op. cit. p. 215.

(6) Atiya ; op. cit. pp. 286—290.

كما عين بها القناصل لرعاية تلك المصالح التجارية[1] . ولما كانت سفن المدن التجارية من الدرجة الثانية تخشى الذهاب مباشرة إلى الشواطئ المملوكية بعد سقوط عكا ، فإنها جعلت من الموانى القبرسيه مثل فاماحوستا وليماسول محطات لتجارتها[2] .

وصفوة القول أن قبرس أضحت بعد سقوط عكا قلعة البقايا الصليبية ومحطة التجارة للذين لا يريدون التجارة مع مصر والشام مباشرة ، ولذا لم يكن عجبا أن يكون الملك هنرى الثانى صاحب أحد المشاريع التى تقدم بها المتحمسون أملا فى عودة أوربا إلى الحروب الصليبية . وتقدم هنرى بمشروعه إلى البابا كليمنت الخامس ، ونص فيه على أن أول خطوة يجب إتباعها لضمان نجاح الصليبيين هى العمل على إضعاف قوة السلطان المملوكى اقتصاديا بضرب حصار بحرى على مصر والشام مدة سنتين أو ثلاثة سنين على شرط أن يكون الأسطول الصليبى المكلف بالحصار مستقلا تمام الاستقلال عن الجمهوريات الإيطالية التجارية التى تشكك هنرى الثانى فى إخلاصها للغرض الصليبى . ورأى هنرى أن ذلك الحصار كفيل بإضعاف دولة المماليك إلى درجة تجعلها عاجزة عن مقاومة حملة صليبية تنزل بأراضى مصر نفسها ؛ حتى إذا ما تم ذلك أصبح فتح الشام والإستيلاء على الأراضى المقدسة أمراً هينا ، ما دامت قبرس تتولى امداد القوات الصليبية بالرجال والمؤن إلى النهاية . واختتم الملك هنرى تقريره ببعض المعلومات عن مقدرة مصر الحربية ومدى قوة السلطان ، وأكد ضعف السلطنة المملوكية كثيراً عن ذى قبل بسبب غارات التتار والمنازعات الداخلية[3] .

هـذا ملخص التقرير الذى بسط فيه الملك هنرى الثانى مشروعه بصدد الحروب الصليبية . ومع أنه لم يأت بثمرة سريعة حاسمة ، إلا أننا لا نستطيع بأى

(1) Heyd . Histoire du Commerce. Vol. 2, pp. 3—4.

(2) Mas Latrie : L'île de Chypre, p. 225.

(3) Atiya ; op. cit pp. 58—60.

حال أن ننكر أهميته فى تاريخ القرن الرابع عشر[١] . ويظهر أن ذلك المشروع وغيره من المشروعات الصليبية المتعددة كانت تصل إلى مصر كأنها حوادث توشك أن تقع فعلا فيأخذ السلاطين فى اعداد العدة للقتال ، ومن أمثلة ذلك الخبر الذى وصل السلطان الناصر محمد سنة ١٣٠٨ م (٧٠٨ هـ) بأن ملك قبرس يستعد لغزو دمياط مما جعل المماليك يقومون بإجراءات واسعة لمواجهة الغزو المنتظر[٢] .

غير أن هنرى الثانى لم يعش طويلا ليرى ثمرة مشروعه الصليبى ، إذ مات سنة ١٣٢٤ وخلفه على عرش قبرس هيو الرابع الذى تبدأ بعهده صفحة من الصفحات البارزة فى التاريخ القبرسى[٣] . وعمل هيو الرابع طوال حكمه البالغ ٢٥ سنة (١٣٢٤ — ١٣٥٩) على تكوين حلف حربى بين البنادقة والبابوية والاسبتارية ، وشارك فيما قام به ذلك الحلف من حملة صليبية على أزمير سنة ١٣٤٤ ، مما أضفى على جزيرة قبرس كثيراً من الثروة المادية والمجد الحربى حتى وصف الرحالة لودلف سنة ١٣٤٩ فرسانها بأنهم أغنى فرسان العالم[٤] . وقام هيو الرابع كذلك بعده حملات محلية على سواحل آسيا الصغرى حيث كان الأتراك السلاجقة ، وعلى سواحل مصر حيث كانت الدولة المملوكية . وإذا كان معظم الحملات التى قام بها هيو الرابع تعتبر فى نظر الكثيرين مجرد غارات تغلب عليها صفة القرصنة ، فإننا ينبغى ألا ننسى حقيقة هامة وهى أن الحروب البحرية — لا فى العصور الوسطى الأولى فحسب بل حتى القرن السابع عشر — يكسوها ويغلب عليها طابع القرصنة حتى أنه ليصعب فى كثير من الأحيان التفرقة بين تلك الحروب وأعمال القرصنة[٥] .

---

(1) Idem ; p. 60.

(٢) المقريزى : السلوك حـ ٢ ق ١ ص ٤٨ .

(3) Stubbs ; op. cit. p. 215.

(4) Lucas ; op cit. p. 51.

(5) Stubbs ; p. 218.

ثم مات هيو الرابع سنة ١٣٥٠ م وخلفه ابنه بطرس الأول ، الذى جعلته شخصيته الفذة وحماسته الدينية نموذج الفروسية فى العصور الوسطى[1] . ذلك أن بطرس صمم منذ أوائل عهده على أن يجعل من نفسه البطل المدافع عن المسيحية ضد الإسلام ، وأن يكرس جهوده ونشاطه لخدمة الغرض الصليبى وحرب المسلمين ومن ثم امتلأ عهده بسلسلة من الحروب المتصلة ، حتى اعتبرت سنة ارتقائه العرش بداية لمرحلة جديدة فى تاريخ الحروب الصليبية المتأخرة[2] . وترجع بعض الحماسة الصليبية التى طفحت بها نفس بطرس الأول إلى ظروف اعتلائه العرش . فإنه لم يكن أكبر أبناء أبيه ، ولم تصبح له أحقية فى الملك إلا بعد وفاة أخيه الأكبر جاى عن طفل صغير ، وصار بطرس الأول ملكا وفى نفسه خشية من منافسة ذلك الطفل ، فاتخذ من الحماسة الصليبية وسيلة لاكتساب رضاء البابا وتأييده . ووجد بطرس الأول من يغذى تلك الحماسة طول حكمه فى شخص وزيريه فيلب ميزيير و بطرس توماس وهما من كبار دعاة الحرب الصليبية فى العصور الوسطى المتأخرة[3] .

استهل بطرس حكمه بمهاجمة شواطىء آسيا الصغرى وانتزاع عدة قواعد هامة من السلاجقة الأتراك كما سنرى فى الباب الخامس . على أن بطرس لم يقنع بهذا القدر فى حربه مع المسلمين ، بل فكر فى القيام بحملة صليبية كبرى يطعن بها المسلمين طعنة نجلاء . وعندما أدرك أن تنفيذ هذا المشروع يحتاج إلى استعدادات ضخمة تتطلب أموالا كثيرة ورجالا عديدين ، عزم على القيام برحلة إلى غرب أوربا ليقنع ملوكها وأمراءها بأهمية مشروعه ويطلب منهم تأييده . واستغرقت هذه الرحلة نحواً من ثلاث سنوات[4] ،فأبحر بطرس الأول من قبرص فى ٢٤ اكتوبر

(1) Orr ; p. 30.

(2) Atiya ; p. 319.

(3) Atiya ; op. cit. pp. 321—323.

(4) Machaut ; pp. 21—47 & Atiya ; pp. 330—337.

سنة ١٣٦٢ ومر برودس حيث أحسن استقباله روجر رئيس الاسبتاريه ، ومن رودس قصد البندقية حيث قضى ما يزيد على الثلاثة أسابيع فى إقناع لورنزو كلسى دوق الجمهورية بإمداد الحملة بالسفن اللازمة . و بعد ذلك قصد بطرس أفينون مارا بجنوا حيث مكث حوالى الشهر لتصفية الخلافات بين الجنوية والقبارسة من جهة وطلب مساعدة جنوا من جهة أخرى . وفى أفينون اجتمع بطرس بالبابا إربان الخامس كما اجتمع بملك فرنسا حنا الثانى ، وأعلن البابا أمام الملكين حملة صليبية جديدة (١٤ إبريل سنة ١٣٦٣) . و بعد ذلك أكمل بطرس رحلته فطاف بفلاندر و برابانت و بعض المقاطعات والمدن الألمانية[1] ، ثم قفل راجعاً بعد ذلك الى باريس للاجتماع مرة ثانية بحنا الثانى . و بعد زيارة نورماندى و بريتاني أبحر بطرس من كاليه الى انجلترا لمقابلة ملكها ادوارد الثالث الذى أحسن استقباله وقدم اليه كثيراً من الهدايا . و بينما بطرس فى طريق العودة من انجلترا سمع بوفاة صديقه حنا الثانى ملك فرنسا فأسرع الى باريس لحضور تتويج الملك الجديد شارل الخامس ؛ ثم اتجه بعد ذلك الى وسط أوربا لطلب مساعده الامبراطورية الرومانية المقدسة .[2] وفى براغ رحب به الامبراطور شارل الرابع وأشار عليه بعقد اجتماع كبير فى كراكاو يحضره كازمير الثالث (Casimir III) ملك بولندا ولويس الكبير ملك هنغاريا . وقد تم ذلك الاجتماع فعلا وأبدى الحاضرون إستعدادهم التام لمساعدة بطرس الأول فى مشروعه[3] . ثم قفل بطرس راجعاً إلى البندقيه مارا بالنمسا فوصلها فى ١١ نوفمبر سنة ١٣٦٤ ومنها أرسل إلى حنا — أخيه ونائبه بقبرس — يطلب إليه إعداد السفن والرجال والمؤن و إرسال كل ذلك إلى رودس لانتظاره

(1) Machaut ; op. cit pp. 27–29.

(2) Idem ; p. 30

(3) Idem ; pp. 40–42.

هناك [١] . ونفذ حنا ما طلب إليه من إستعدادات وأرسل إلى الملك بطرس يخبره بذلك ، فغادر البندقية ووصل جزيرة رودس فى أغسطس سنة ١٣٦٥م [٢] . غير أنه يلاحظ أن أحداً من ملوك الغرب أو أمرائه لم يشترك شخصيا فى الحملة رغم الوعود العديدة التى حصل عليها بطرس منهم ، وأنه لم يخرج من رحلته هذه سوى بعدد كبير من المغامرين والأنصار [٣] .

وفى رودس اجتمعت السفن والرجال ، فبلغ عدد السفن مائة وخمس وستون سفينة [٤] ، وأخذ بطرس الأول على قول المعاصرين يفكر فى اختيار المكان الذى يتوجه إليـــه لطعن المسلمين فى مقتلهم ، فنصحه أحد خاصته واسمه بارسفل الكولونى (**Percevel de Cologne**) بالتوجه إلى الاسكندرية وأن يهاجمها فى يوم جمعة والمسلمون فى المساجد [٥] .

وتردد الملك فى قبول هـــذه النصيحة وخشى مهاجمة مدينة عظيمة مثل الإسكندرية ، ثم اقتنع أخيرا بوجهة نظر بارسفل ، وعقد النية على أن تكون الإسكندرية هدفه [٦] .

هنا يقف محمد بن قاسم النويرى وهو قريب النويرى الكبير صاحب نهاية الأرب — فيذكر الأسباب التى دفعت بطرس إلى اختيار الإسكندرية هدفا لحملته ويحدد لذلك سبعة أسباب : أولها أن السلطان صالح بن الناصر محمد أنزل بالمسيحيين وأهل الذمة أنواع الظلم سنة ٧٥٥ هـ (١٣٥٤ - ١٣٥٥ م) فرأى بطرس أن ينتقم لأبناء دينه من المماليك وسلطنتهم . وثانيها أن بطرس أرسل غداه ارتقائه العرش

(1) Makhiaras ; p. 145.
(2) Idem, p. 149.
(3) Machaut ; p. 25 & p. 58.
(4) Makhiaras ; p. 151.
(5) Machaut ; p. 61.
(6) Idem ; p. 64.

إلى السلطان حسن يستأذنه فى التوجه إلى صور ليتوج بها من باب الذكرى لمملكة بيت المقدس الصليبية فرفض السلطان ذلك . وثالثها أن العامة من أهل الإسكندرية تعدوا على الفرنج وتجار البنادقة بالمدينة . أما الأسباب الأربعة الباقية فخلاصتها أن بطرس علم من بعض القبارسة الذين طالما أغاروا على الشواطئ المصرية أن الإسكندرية ورشيد و بقية الموانى المصرية تكاد تكون خالية من وسائل الدفاع والمقاومة مما جعل بطرس يستخف بأمر المماليك ومقدرتهم على الدفاع عن موانيهم[١] .

هذه هى الأسباب التى اعتقدها النويرى المعاصر أصلا لاختيار بطرس ميناء الإسكندرية لحملته . غير أن تفكير الصليبيين فى الإسكندرية بوجه خاص وفى مصر بوجه عام ليس بالأمر الجديد ، فمنذ أيام الحملة الصليبية الأولى والصليبيون يدركون أهمية مصر لما هم بصدده . هذا إلى أن محاولة الصليبيين الإستيلاء على مصر لاتقف عند حملة لويس التاسع سنة ١٢٤٩ — ١٩٥٠ ، بل إن الفكرة وجدت أيام جود فرى دى بو يون (Godfrey de Bouillon) أول حكام الدولة الصليبية فى بيت المقدس سنة ١٠٩٩ ، ثم لم تلبث تلك الفكرة أن اتخذت صبغة عملية فى عهد بلدوين الأول سنة ١١١٦ م وهو الذى مات بمصر ، ولا تزال سبخة بردويل غربى بورسعيد الحالية تعرف باسمه[٢] . هذا كله فضلا عن أن دعاة الحروب الصليبية فى القرن الرابع عشر الميلادى أمثال بيتوتى (Pitoti) عرفوا ما لمصر من أهمية فى مشروعاتهم الصليبية ، ونادوا بوجوب الإستيلاء على الإسكندرية بالذات ، تلك المدينة ذات المركز التجارى الفريد والموقع الحربى العظيم[٣] . والواقع أنه وجد من ملوك قبرس من سبق أن فكر فى ضرورة فتح

---

(١) النويرى : الإلمام بالأعلام فيما جرت به الأحكام والأمور المقضية فى واقعة الاسكندريه من ص ٢٨٦ إلى ص ٢٩٤ .

(٢) محمد مصطفى زيادة : مصر والحروب الصليبية (من رسائل الثقافة الحربية رقم ٣٩) .

(3) Atiya, pp. 349—351.

مصر بصفة عامة كخطوة أولى لاستخلاص الأراضى المقدسة ؛ كما رأينا فى المشروع الذى تقدم به هنرى الثانى لوزجنان للبابا كليمنت الخامس[١] ؛ والذى يقال إن بطرس تأثر به إلى حد كبير فى حملته على الإسكندرية[٢] .

ولم يفت بطرس قبل رحيل الحملة من رودس أن يتخذ الاحتياطات اللازمة لمنع تسرب أخبارها إلى المسلمين ، لا سيما وأنه لم يثق بالإيطاليين الذين اشتركوا فى الحملة . ولذا أرسل إلى أخيه حنا بقبرس يطلب إليه أن يمنع أية سفينة من مغادرة الجزيرة إلى بلاد الشام حتى يظل أمر الحملة سرا مكتوما[٣] . ولم يعلن الملك لجنوده وجهة الحملة إلا بعد أن أبحرت السفن من رودس فى ٢٨ سبتمبر سنة ١٣٦٥ وأصبحت فى وسط البحر[٤] .

ولكن على الرغم من هذه الإحتياطات وصلت أخبار الحملة إلى مسامع المصريين ، فيقول المقريزى إن أهل الإسكندرية بلغهم قبل وصول الحملة بعده أشهر أن الفرنجة عازمون على غزوهم[٥] . وذكر النويرى أن أخبار الاستعدادات الحربية بقبرس لغزو الأسكندرية وصلت إلى مصر قبل الحملة نفسها بمدة طويلة[٦] . والغالب أن هذه الأخبار إنما وصلت عن طريق التجار الذين ترددوا على الإسكندرية حين بعد آخر ، كما يستفاد من بعض القصص الشعبى المعاصر[٧] .

(١) أنظر ما تقدم ص ٥٤

(2) Atiya ; op. cit, p 60.

(3) Makhiaras ; p. 151.

(4) Machaut ; op. cit p. 64.

(٥) المقريزى : السلوك حـ ٤ ص ٤٦ ب .

(٦) النويرى : الإلمام حـ ١ ص ٢٩٥ .

(٧) بول كالا : منارة الإسكندرية فى خيال الظل المصرى . وهى مجموعة قصص شعبية كانت تمثل فى خيال الظل فى ذلك العصر نشرها وقدم لها المستشرق بول كالا وتناولت طرفا من إغارة بطرس على الإسكندرية .

ولكن يبدو أن الدولة المملوكية استخفت بتلك الأخبار ، وعلى حد تعبير المقريزى « لم يكن من الدولة اهتمام[١] » ؛ ولعل أصحاب الأمر كانوا لا يتصورون أن يجرؤ أحد على الإغارة على الاسكندرية ، وهى ذلك الثغر العظيم الذى رجع كل من قصده بالخيبة والفشل[٢] . يضاف إلى ذلك تحقير المماليك من شأن قبرس وملكها ، وحسبنا أن النويرى أفرد صفحات للكلام فى ضآلة ملكها بين ملوك النصرانية وضعف مملكته بين ممالكهم[٣]. على أن الأمير زين الدين خالد نائب الإسكندرية كان من الأقلين الذين رأوا ضرورة الإحتياط عندما سمع بخبر استعداد بطرس لغزو الثغر ، فاهتم بزيادة تحصين المدينة ورفع سورها القصير من جهة الباب الأخضر ، وأرسل إلى القاهرة يطلب من يلبغا الخاصكى مقدم العساكر[٤] المساعدة فى تحصين المدينة ؛ غير أن يلبغا سخر من تلك الأخبار وقال « إن القبرسى أقل وأذل من أن يأتى إلى الإسكندرية[٥] » . وما أشبه هذا

= وقد جاء فيها (ص ٢٣) على لسان الرسول الكتيلانى:

يلزمكم تتجهزوا للقتال	وحضروا أرواحكم للجهاد
إن الملك جا عاهد الكتيلان	طالب لأخذ المسلمين والبلاد
وإسكندرية وأراضى مصر	قاصد ليأخذهم كذا فى العناد
ما عليا غير أقول دا فى الكلام	اصغوا إلى قولى وهذا الخطاب
أنا رسول مرسول من الكتيلان	إن الرسول ما يلزموشى عتاب

(١) المقريزى : السلوك حـ ٤ ص ٤٦ ب .

(٢) النويرى : الإلمام ج ١ ص ٢ .

(٣) النويرى : الإلمام حـ ١ ص ٨٠ — ٨٨ .

(٤) كان الأمير يلبغا الخاصكى مملوكا للسلطان حسن بن محمد بن قلاوون ، وتولى نيابة السلطنة فى أيامه وصار صاحب الأمر فى الدولة . ثم قتل السلطان حسن بعد ست سنوات لحكمه ، فأقام يلبغا بعده فى السلطنة الملك صلاح الدين محمد ابن أخى السلطان حسن سنة ١٣٦١ م (٧٦٢ هـ) . ثم خلعه بعد سنتين وأقام بعده شعبان سنة ١٣٦٣ م (٧٦٤ هـ) فبقى تحت وصاية يلبغا إلى أن تخلص منه بالقتل سنة ١٣٦٧ م (٧٦٨ هـ) [انظر لويس شيخو : تاريخ بيروت لصالح بن يحيى ص ٣٤] .

(٥) النويرى : الإلمام حـ ١ ص ٥١٥ .

القول بما ذكره الجبرتى بعد ذلك عن كبرياء المماليك واستخفافهم بأمر الفرنسيين عندما سمعوا بأن حملة بونابرت فى طريقها إلى مصر !

أما عن حال الدولة المملوكية فى ذلك الوقت ، فكان السلطان شعبان طفلا فى الحادية عشرة من عمره ، وكان المتحكم فى البلاد — وهو يلبغا الخاصكى مقدم العسكر — جائرا عسوفا ، ولذا امتلأت القاهرة بمظاهر القلق والاضطراب الناشئة عن قيام سلطان قاصر ووصى متغطرس. ولم تكد الإسكندرية أحسن حالا من القاهرة ؛ ففى سنة ١٣٦٥ م ذهب نائبها الأمير خليل صلاح الدين بن عوام لإداء فريضة الحج [١] ، فناب عنه أمير يسمى جنغرا وصفة النويرى بأنه « سىء التدبير عديم المعرفة » [٢] ، وأنه حوّل الإسكندرية إلى شبه مسرح للألعاب النارية ، إذ دأب على استعراض الجنود وهم بملابسهم الزاهية وأعلامهم الملونة ليلة بعد ليلة ، ويجلس هو بدار النيابة يتفرج عليهم وهم يطلقون النفط الملتهب فى السماء ، على حين تلهى الإسكندريون بهذه المناظر الخلابة ، وقضوا لياليهم فى الإختلاف إلى سوق فيه أصناف المأكولات وألوان الطعام [٣]. وهكذا كانت الإسكندرية تقضى أيامها ولياليها عندما ظهرت أمامها الحملة الصليبية بقيادة بطرس الأول لوزجبان فى ٨ أكتوبر سنة ١٣٦٥ (٢٨ من المحرم سنة ٧٦٧ هـ) .

وعندما لاحت فى الأفق السفن الصليبية ظنها الإسكندريون أولا سفن البنادقة وقد أتوا على عادتهم للتجارة كل سنة ، ففرحوا لرؤيتها وأخذوا يعدون عدتهم للموسم السنوى . ولكن السفن لم تدخل الميناء على غير العادة ، فأوجس الناس خيفة ، واستولى الرعب عليهم ، وقضوا ليلتهم وهم فى خوف وفزع [٤] .

---

(١) النويرى ﺣ ١ ص ٣٠٧ .

(٢) النويرى : الإلمام ﺣ ١ ص ٥١٥ .

(٣) النويرى : الإلمام ﺣ ١ ص ٣٠٨ .

(٤) نفس المرجع ص ٣١٠ .

وأصبح يوم الخميس (٩ أكتوبر) فأقبلت السفن وقد ملأت البحر لكثرتها ورست بظاهر بحر السلسلة[١]، وهنا أدركت الإسكندرية حقيقة الموقف، فأغلق جنغرا أبواب المدينة، وأخذ فى شحن القلاع التى من جهة البحر بالرجال والرماة واستدعى عربان البحيرة فأقبلت جموعهم ليلة الجمعة للدفاع عن الثغر[٢]، وخرجت طائفة من المقاتلين إلى الأسوار حيث باتوا يتحارسون طوال الليل، كل ذلك والعدو ساكن لا يتحرك[٣]، مما جعل العامة والدهماء يستهزئون بشأن عدوهم فخرج الباعة والصبيان وصاروا فى لهو « وليس لهم اكتراث بالعدو[٤] » .

وفى صباح الجمعة ١٠ أكتوبر أنزل بطرس الأول رجالة وخيله إلى الشاطىء وأمرهم بالهجوم، فوجدوا أبواب المدينة محكمة الإغلاق، قوية التحصين بحيث تعذر عليهم اقتحامها . وعندئذ عقد الملك مجلساً للمشورة فنصحه أحد الفرسان بالعدول عن مشروعه لأن الإسكندرية أقوى من أن تؤخذ وفتحها يتطلب مجهوداً طويلا[٥] . ولكن بطرس لم يكن بالرجل الذى يتراجع عن غرضه بمثل هذه السهولة، فلم يستمع لقول ذلك الفارس، وإنما أمر بمعاودة الهجوم ومواصلة القتال[٦] . وعندما شدد الصليبيون هجومهم أنزلوا بالمسلمين هزيمة خارج الأبواب،

---

(١) امتازت معظم الموانى البحرية والنهرية فى العصور الوسطى بسلاسل ضخمة من الحديد تعترض الميناء وتحده من جهة البحر خوفاً من دخول سفن معادية . ويطلق فى اللغة على هذه السلاسل لفظه (المآصر) . انظر ميخائيل عواد : المآصر فى بلاد الروم والاسلام ص ٥، ٦، ٤٨ .

والمقصود ببحر السلسله هنا ميناء الإسكندرية الشرقى وكان فى تلك الأزمنة مخصصاً لرسو السفن المسيحية . (انظر Atiya, p. 353) .

(٢) المقريزى : السلوك حـ ٤ ص ٧ ٤ أ .

(٣) نفس المرجع والصفحة . وكذلك النويرى حـ ١ ص ٣١١ .

(٤) المقريزى : السلوك حـ ٤ ص ٧ ٤ ا وكذلك Makhairas; op. Cit. p. 151.

(5) Machaut ; op. Cit. p.p. 80–81.

(6) Ibid.

وأمطروا العربان بسهامهم « فطاروا كطيران الحمام »[١] ، وانهزموا إلى ناحية السور . وأثر انهزامهم على هذه الصورة فى نفوس بقية المقاتلين ، فتقهقروا عن السور وصار جيش المسلمين بهزيمة العربان مكسوراً على حد تعبير النويرى[٢] . ثم أدرك الصليبيون ضعف سور المدينة من جهة الميناء الشرقى بعد تراجع الجنود ، ولم يجدوا أحداً يصدهم عنه أو يقف فى سبيلهم ، فتقدموا حتى باب الديوان (الجرك) وأحرقوه ، ثم عبروا السور على سلالم خشبية وأخذوا يدخلون المدينة جماعات[٣] .

ومن الواضح أن هزيمة المسلمين إنما ترجع إلى استهزائهم بعدوهم واستصغارهم لشأنه ، هذا فضلا عن أنهم كانوا دون الصليبيين عدة واستعداداً ، فبينما ارتدى الصليبيون الدروع الحديدية والخوذ اللامعة وبأيديهم السيوف القاطعة ، كان المسلمون « لحماً على وضم . . . فكيف يقاتل اللحم الحديد وكيف يبرز العارى لمن كسى بالزرد النضيد ؟ ! »[٤] . وأصيب جنغرا فى تلك المرحلة الأولى من القتال بسهم من سهام الفرنج[٥] ، فأتى بيت المال وحمل ما كان فيه من ذهب وفضة ، كاقبض على تجار الفرنجة وقناصلهم بالثغر وكانوا نحو خمسين وقادهم إلى جهة دمنهور وهم مقيدون بالسلاسل[٦] . ثم أخذ الصليبيون ينتشرون فى أرجاء المدينة ، فجفل الناس ، وتركوا « المدينة بما فيها للفرنج » ، حتى ضاقت الأبواب على الفارين

---

(١) النويرى : الإلمام حـ ١ ص ٢٩٨ .

(٢) النويرى : الإلمام حـ ١ ص ٢٩٨ .

(3) Machaut ; op. Cit. p.p. 85—88· النويرى حـ ١ ص ٣٢٢

(٤) النويرى : الإلمام حـ ١ ص ٣١٦ . ويلاحظ أن معظم المؤرخين أرجعوا السبب فى هزيمة المسلمين إلى العربان . فالنويرى يتهكم عليهم قائلا إنه لم يكن مع كل منهم سوى « سيفه الأجرب » . وابن أبى حجلة — وهو أحد المعاصرين — يقول فى مقامته التى نظمها فى تلك المناسبة « وحضر من العربان كل عريان ، أضر من السوس وأشأم من البسوس فكانوا سبب الكسرة وعدم النصرة » (انظر ابن حبيب : درة الأسلاك فى دولة الأتراك حـ ٣ ص ١٣ ب) .

(٥) النويرى : الإلمام حـ ١ ص ٣٢١ .

(٦) النويرى : الإلمام حـ ١ ص ٣٢٢ .

لكثرتهم فهلك منهم مئات من شدة الزحام[١] ، وا كتظت الحقول والقرى المجاورة بالأسكندريين . وهكذا استطاع بطرس أن «يشتت شملهم أجمعين»[٢]. وفى وسط تلك الطامة الكبرى افترص العربان الفرصة للنهب والسلب ، فوقع الإسكندريون بين نارين ، كما ساءت حالتهم بسبب قلة الطعام ، إذ استغل الباعة والتجار اضطراب الأحوال وعمدوا — كعادتهم — إلى رفع أسعار المأكولات حتى اضطر كثير من الإسكندريين إلى بيع ملابسه لشراء ما يمسك به رمق أهله[٣].

هكذا سقطت الإسكندرية العظيمة فى يد بطرس الأول ملك قبرس ، « فدخلها باطمئنان »[٤] ، وهكذا حل المقدور بأهل الثغر فقتل منهم من قتل وأسر من أسر وهام الكثيرون على وجوههم .

ويعجب النويرى كيف تسقط الإسكندرية بهذه السرعة العجيبة ويقول إن العادة جرت بأن المدن تظل تقاوم الحصار عاما وعامين ، فما بال الإسكندرية بحظها العاثر تؤخذ من المسلمين فى ساعتين ؟ ثم ينحى باللائمة على أهل الثغر ويتهمهم بالتفريط وعدم الثبات فى المقاومة ، إذ لو بقى كل واحد منهم بداره ورمى الفرنج من أعلاه بالطوب والحجارة لسلمت للمسلمين ما بالدور على الأقل[٥].

---

(١) المقريزى : السلوك ح ٤ ص ١٤٧ . وكان النويرى من الذين غادروا الإسكندرية عندئذ فرارا بحياته وقد خرج من باب برها (النويرى ح ١ ص ٣٦٧) .

(٢) النويرى : الإلمام ح ١ ص ٣٠٨ .

(٣) نفس المرجع والصفحة .

(٤) نفس المرجع والصفحة .

(٥) ولا عجب أن يحزن النويرى على الإسكندرية كل هذا الحزن ، فهى المدينة التى شب بها واختصها بعجبته وتزوج بها كما نسخ لأعيانها كتبا كثيرة ؛ حتى إذا ما بتليت بحملة بطرس أثر ذلك فى نفسه فألف كتابه الإلمام الذى يعتبر بحق مرجعنا الأول عن تلك الحملة (النويرى : الإلمام ح ١ ص ٣٦٦ — ٣٦٨) .

دخل بطرس المدينة يوم ١٠ أكتوبر سنة ١٣٦٥ «فاستلم الناس بالسيف»[١].
وفعل رجاله بها مايضيق المقام عن شرحه ، إذ نهبوا الحوانيت والفنادق وأحرقوا القصور والخانات ، واعتدوا على النساء والبنات ، وخربوا الجوامع والمساجد ، وقتلوا كل من صادفوه من الناس فى الشوارع والمنازل والجوامع والخانات والحمامات[٢] . وبلغ من وحشية الفرنج ورغبتهم فى التشفى أنهم كانوا يقتلون المرأة ويذبحون إبنها على صدرها . وظل الصليبيون على هـذه الحال عدة أيام تعتبر من أسود الأوقات فى تاريخ الإسكندرية[٣] ، ولم يفرّق الصليبيون بين مسلم ومسيحى ويهودى ؛ وبين ما هو للمسلمين وما هو لغير المسلمين ، فأحرقوا فنادق الكتيلانيين والجنويين والمارسيليين وغيرهم[٤] ، واستعانوا فى التعرف على أماكن الثروة ودور الأغنياء بسكان الثغر من الفرنجة الذين دلوهم على الخبايا والمكنونات فنهبوها[٥] . أما البضائع والنفائس والأنهاب فإنهم أرسلوها إلى مراكبهم على ظهور الإبل والخيل والبغال والحمير حتى إذا ما انتهت الدواب من إداء مهمتها طعنوها بالرماح وتركوها ملقاة بالميناء حتى عاد المسلمون إلى الثغر فأحرقوا جثثها المتعفنة[٦] ، وبذلك يكون الفرنج قد أتوا على كل مابالمدينة من « صامت وناطق »[٧].

---

(١) المقريزى : السلوك حـ ٤ ص ٤٧ .

(٢) النويرى : الإلمام حـ ١ ص ٣٢٦ — ٣٣٥ .

(٣) ابن حبيب : درة الأسلاك حـ ٣ ص ١٣ ب .

(٤) النويرى : الإلمام حـ ١ ص ٣٣١ .

(٥) المقريزى : السلوك حـ ٤ ص ٤٧ ب .

(٦) النويرى : الإلمام حـ ١ ص ٣٣٣ .

(٧) المقريزى : السلوك حـ ٤ ص ٤٧ ا وقد ذكر النويرى كثيراً من الحكايات والأمثلة الطويلة التى تشهد بوحشية الصليبيين وعظم ما أتوه من منكر مع أهل المدينة ونسائها (انظر الإلمام حـ ١ ص ٧٤٣ — ٧٤٧ ، ص ٨٠٠ — ٨٣١).

ويقول ماشو إن المسلمين حاولوا اقتحام المدينة مساء الجمعة، ولكن الملك بطرس اضطرهم صباح السبت (١١ أكتوبر) إلى مغادرتها وطاردهم فى الحقول المجاورة[1]. ولما كانت جموع المماليك بقيادة يلبغا الخاصكى لم تصل الإسكندرية حتى ذلك الوقت، فإنه يصعب تفسير رواية ماشو إلا على أساس ماذكره النويرى من أن جموع العربان كانت تغير على المدينة أثناء الليل، لا لقتال الإفرنج وإنما لنهب ما يتركونه. ذلك أن الإسكندرية اتسعت على الصليبيين فكانوا يحملون إلى سفنهم ما هو جليل القدر، وما دون ذلك كانوا يتركونه مبعثرا فى الطرقات فكان العربان يدخلون المدينة أثناء الليل لنهب تلك المتروكات[2].

وفى صباح السبت ١١ أكتوبر عقد الملك بطرس اجتماعا من كبار فرسانه وأعوانه لأخذ رأيهم فى الخطوة التالية، فنصحه أحد رجاله وهو الكونت دى توران بمغادرة المدينة فوراً قبل أن تأتى الجيوش الإسلامية ويتعذر على الصليبيين الخلاص، وأيد رأى الكونت دى توران معظم الصليبيين الأوربيين[3]. ولكن الملك رفض ذلك الرأى وأشار بالتمسك بالإسكندرية والإحتفاظ بها حتى تأتي النجدة من أوربا، وكان بطرس توماس وفيلب دى ميزيير يؤيدان الملك بشدة ويريان عدم تخلى الصليبيين عن الإسكندرية بأى حال من الأحوال[4]. وأصر الصليبيون الأوربيون على رأى دى توران وأجمعوا على العودة بسرعة وهبوا فى وجه الملك قائلين « لقد مكثنا هنا أكثر من اللازم، وهذا ليس فى صالحنا بتاتاً إذ يجب أن نعود مباشرة إلى قبرص»[5]، وفعلا ترك عدد كبير من الصليبيين أماكنهم وذهبوا إلى السفن (١١ أكتوبر)، بل إن جماعة من

---

(1) Machaut ; p.p. 96—98.

(٢) النويرى : الإلمام حـ ١ ص ٤٠٥ — ٤٠٦ .

(3) Machaut ; pp 101—102.

(4) Idem ; pp. 103—106.

(5) Makhiaras ; p. 155.

الصليبيين الإنجليز أبوا قضاء الليل فى المدينة وأبحروا سراً إلى قبرس[١] ، فاضطر الملك فى النهاية إلى التفكير فى الجلاء لا سيما بعد أن ظهرت طلائع الجيوش المملوكية التى أقبلت بقيادة يلبغا الخاصكى — بعد فوات الأوان — لتخليص الإسكندرية[٢] .

ذلك أن خبر استيلاء بطرس على الإسكندرية وصل إلى القاهرة يوم السبت ١١ أكتوبر ، فتوهم الأمير يلبغا وظن أن الأمر لا يعدو أن يكون مكيدة دبرها له خصومه . ثم تحقق الخبر بعد أن شاهد بعينه بعض اللاجئين الذين وصلوا القاهرة[٣] ، فنادى بالإسراع لانقاذ الاسكندرية وخرج الجند « من غير ترتيب ولا تعبيه »[٤] . ولما كان النيل فى فيضانه والمياه تغمر الأراضى اضطر الجند إلى اتباع الطريق الصحراوى الطويل مما أخر وصولهم الاسكندرية إلى يوم الخميس ١٦ أكتوبر سنة ١٣٦٥[٥] ؛ والصليبيون فى مرحلة الاقلاع بسفنهم نحو قبرس، بعد أن أخذوا معهم نحوا من خمسة آلاف أسير منهم «المسلم والمسلمة واليهودى واليهودية والنصرانى والنصرانية[٦]» . هذا عدا ما شحنت به المراكب من البضائع المنهوبة والنفائس المسلوبة حتى ضاقت السفن بما فيها وثقلت بما عليها فترك الصليبيون على الساحل فضلات البهار التى لم يجدوا لها موضعا بسفنهم، كما

---

(1) Stubbs, op. cit. p. 223.

(٢) ابن حبيب : درة الأسلاك فى دولة الأتراك حـ٣ ص١٣ ب، Machaut ; op. Cit. p.p. 107—108.

(٣) المقريزى : السلوك حـ ٤ ص ٤٦ ب .

(٤) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٥ ص ١٩٥ .

(٥) النويرى : الإلمام حـ ١ ص ٣٠٩ . هذا وإن كان من الصعب اتباع ما يقوله النويرى من أن بطرس إنما قصد أن يختار لهجومه وقت الفيضان حتى يعوق ذلك مجيء النجدة من القاهرة . والغالب أن ذلك جاء من باب المصادفة وتوافق الحوادث .

(٦) النويرى : الإلمام حـ ١ ص ٣٦٦ ، المقريزى حـ ٤ ص ٤٧ ب .

أخذوا يلقون ببعض حمولة السفن فى البحر لتخف من كثرة الوسق[١]. والحاصل أن يلبغا وصل الاسكندرية فى جند كثيف «كالجراد المنتشر» عقب إخلاء الفرنجة لها ، فشهد ما حل بهـا من دمار وخراب ، ورأى جثث القتلى وقد انتفخت وجافت ، فأمر بدفن من استشهد من المسلمين وترميم ماخرب وأحرق، كما أمر بحمل تجـار الفرنجة الذين بقوا بالإسكندرية فسيقوا إلى القاهرة مشاة حفاة[٢] . ثم قبض يلبغا على كثير من النصارى بمصر والشام وألزمهم بتقديم أموالهم لفداء أسرى المسلمين[٣] .

على أن ذلك كله لم يمسح عار الإستيلاء على الإسكندرية فى ساعتين ؛ حتى حق للمؤرخ أن يقول «يا لها من رزيه عظم أمرها و بليه شوى القـلوب جمرها وحارت فيها أحلام الأقوام واختلفت فيها الأقوال . . .[٤] » فلا عجب إذا تركت هذه الحادثة أثراً بليغا فى نفوس المسلمين كافة والمصريين خاصـة ، ويكفى لـكى نقف على مبلغ ذلك أن نلقى نظره على المرثيات العديدة التى رثى بها المعاصرون الثغر ومنها مرثية للنويرى نفسه[٥] .

أما بطرس الأول لوزجنان فعاد إلى قبرص حيث أقيمت له الإحتفالات العظيمة ، بينما أخذ هو فى كتابة الرسائل إلى البابا وملوك الغرب يخبرهم بما أحرزه الصليبيون من نجاح على يده ، ويوضح لهم أنه اضطر إلى الجلاء عن الأسكندرية لقلة مالديه من الوسائل الحربية ، ويؤكد لهم عزمه على معاودة الـكرة إذا وجد

---

(١) النويرى : الإلمام حـ ١ ص ٣٣٣ .

(٢) نفس المرجع ص ٤٦٣ .

(٣) المقريزى : السلوك حـ ٤ ص٤٧ ب .

(٤) ابن حبيب : درة الأسلاك فى دولة الأتراك حـ ٣ ص ١٣ ب .

(٥) النويرى : الإلمام حـ ١ ص ٣٦٠ — ٣٦٦ وهناك مرثيات أخرى ذكرها النويرى منها مرثية التستراوى (حـ١ ص ٧٣٨) ومرثيتين للشاطبى (٨٥٧ — ٨٩٥) . كذلك ذكر ابن حبيب (درة الأسلاك حـ ٣ ص ١٣ب) مقامه طويله لابن أبى حجلة رثى فيها الإسكندرية .

معيناً[١]. ويبدو أن الإستيلاء على الاسكندرية أحدث دوياً شديداً فى الغرب ، فلم يكد البابا يسمع الخبر حتى أرسل إلى بطرس مهنئاً كما أرسل إلى ملوك أوربا وأمرائها يناشدهم أن يسرعوا فى تقديم المساعدة إلى ملك قبرس «الأسد الشجاع» على حد التعبير البابوى[٢]. ودبت الحماسة فى نفس شارل الخامس ملك فرنسا ، فأرسل إلى بطرس يخبره بأنه سوف يبعث إليه بجيش كبير يحطم به قوة المسلمين[٣]؛ كما سمع كثير من المغامرين من فرسان أوربا بكثرة الغنائم التى غنمها الصليبيون من الإسكندرية فنزحوا إلى قبرس للدخول فى خدمة ملكها ، وقالوا غداة وصولهم أنهم لا يستطيعون صبراً أو انتظاراً لوصول إمدادات جديدة من الغرب وأنهم يريدون العمل فوراً لخدمة الدين[٤]. غير أن الأمر وقف عند ذلك الحد أو كاد ، لأنه فيما عدا زمرة هؤلاء المغامرين لم يلب أحد من أصحاب التيجان نداء البابا تلبية جدية ، بل إنهم لاموا بطرس على إخلائه الاسكندرية وتخليه عنها ، وقالوا إنه من الصعب تعويض تلك الفرصة بعد أن تنبه المسلمون وأخذوا حيطتهم ، وكان الواجب على بطرس الإحتفاظ بالمدينة حتى تأتيه النجدة . والواقع أنه على الرغم من كثرة الغنائم التى غنمها الصليبيون من الإسكندرية وعظم الخسارة التى ألحقوها بالمسلمين ، فإن حملة بطرس لوزجنان تعتبر فاشلة حيث أنها لم تستطع الاحتفاظ بالثغر . ويبدو أن القبارسة أنفسهم اعترفوا بذلك فندم بطرس على إخلائه الإسكندرية ندما أثار الكمد فى قلبه بقية حياته[٥] . ولا عجب فإن النويرى قال بأن الصليبيين لو تمسكوا بالأسكندرية وأقاموا بها لتعب المسلمون فى اخراجهم منها لحصانة أسوارها[٦] ، ولكن بطرس « دخلها لصاً وخرج منها لصاً »[٧] .

---

(1) Makhiaras ; p. 155.
(2) Mas Latrie ; L'ile de Chypre, p. 280.
(3) Makhiaras ; p. 157.
(4) Mas Latrie ; op. cit p. 280.
(5) Stubbs ; op. cit. p. 244.

(٦) النويرى : الإلمام حـ ١ ص ٣٠٠ .
(٧) نفس المرجع ص ٥١٦ .

هذا ما كان من أمر المساعدات المنتظرة من بعض ملوك أوربا ، أما البندقية وغيرها من الجمهوريات الإيطالية ذات العلاقات التجارية الكبيرة مع مصر والسلطنة المملوكية ، فقد وقع عليها نبأ ما فعله بطرس بالإسكندرية وقع الصاعقة ، وخشيت ما سوف يقع على تجارها وغيرهم من التجار الأوربيين فى أعظم موارد ثروتهم . ولذا أرسلت البندقية (إبريل سنة ١٣٦٦) رسلا إلى السلطان شعبان تؤكد له أن السفن التى أغارت على الإسكندرية لا تمت إلى البندقية بصله وأن البنادقه لم يساعدوا بطرس ولم يشتركوا معه[1] ، ولا بد أن الرسل طلبوا إلى السلطان إطلاق سراح التجار البنادقة على الأقل . فرد السلطان بأنه لن يسمح للبنادقة أو غيرهم بالمتاجرة فى بلاده إلا إذا صفى حسابه أولا مع ملك قبرس . ولذا غادر الرسل مصر إلى فاماجوستا حيث طلبوا من الملك بطرس إيقاف الأعمال العدائية ضد السلطان كما طلبوا إليه مفاوضته فى الصلح[2] .

وكان الملك بطرس ووقتذاك يعد العدة للقيام بحملة ضد بيروت فألح البنادقة عليه إلحاحاً شديداً بالكف عن كل عمل عدائى ضد السلطان ، وتعهدوا بدفع الأموال التى أنفقها الملك فى الاستعداد لحملة بيروت[3] . وتذكر بطرس مساعدة البنادقة إبان إعداده حملة الاسكندرية ، فأمر بالعدول عن مهاجمة بيروت والتحول إلى شواطىء آسيا الصغرى للاغارة على الأتراك السلاجقة[4] . ثم تبادل السلطان شعبان والملك بطرس الهدايا تمهيداً للصلح[5] . وفى هذه المرحلة — وقبل أن يجتمع الطرفان للمفاوضة — طيّر البنادقة نبأ الصلح بين ملك قبرس والسلطان بأنحاء الغرب ، فكان ذلك مخيباً لآمال الملوك والأمراء الذين كان بعضهم — فيما يقال — يستعد للذهاب إلى الشرق لحرب المسلمين؛ ففترت هممهم وعدلوا

(1) Makhiaras ; p. 157 & Machaut ; p 115.
(2) Machaut ; p. 118 & Makhiaras, p. 157.
(3) Makhiaras, pp. 157—159.
(4) Makhiaras ; op. cit. pp. 159—161 & Machaut ; pp. 119—120.
(5) Makhiaras ; 161—163.

عن رأيهم[١] . وهكذا قضى البنادقة على مشروع الحملة الصليبية الجديدة التى نادى بها بطرس والبابا .

لكن مفاوضات الصلح طالت بين الملك والسلطان دون الوصول إلى نتيجة ما ، إذا تمسك السلطان برد أسرى الإسكندرية أولا[٢] ، وظل متمسكا بذلك الشرط حتى وافق الملك بطرس ، وتم تبادل الأسرى وسمح لأسارى الإسكندرية بالعودة إلى بلادهم فعم الفرح المصريين لوصولهم[٣] . ثم لم تلبث المفاوضات أن توقفت بعد ذلك لأنه وصل إلى علم السلطان أن هم ملوك الغرب قد فترت عن مساعدة بطرس فى المستقبل ، ولأن الأسرى الذين اهتم لهم عادوا سالمين ، ولم تعد هناك ضرورة للصلح[٤] . وأدرك بطرس أنه خدع فأخذ يسىء الظن بالسلطان وبالبنادقة الذين صرفوه عن القتال ، وأرسل إلى فاما جوستا يأمر جميع سفنه بالاستعداد لاستئناف الحرب[٥] . وما زال الملك يجمع السفن حتى اكتملت لديه مائة وستون سفينة أمده فرسان رودس ببعضها[٦] . وبلغت أخبار هذه الإستعدادات الإسكندرية ، فظن أهلها أن بطرس سيقصد الإسكندرية مرة أخرى ، فاستعدوا وأقامو المتاريس ونصبوا المدافع[٧] . غير أن بطرس قصد طرابلس هذه المرة وخرج إليها على رأس أسطوله فى ٧ يناير سنة ١٣٦٧ . ولم يكد بطرس يبرح قبرس حتى هبت عاصفة عنيفة مزقت سفنه فعاد هو إلى الجزيرة طلبا للسلامة ، على حين وجدت خمس عشرة سفينة من سفنه نفسها أمام طرابلس ، فهاجمت الميناء ، وظلت منتظرة مجىء بقية الأسطول اثنى عشر يوما ، فلما لم يأت وطال إنتظارها عادت أدراجها[٨] . ويبدو أن تلك الحملة الفاشلة لم تخل من

---

(1) Idem ; p. 163.

(٢) النويرى : الإلمام حـ ٢ ص ١٢٥ ب .

(٣) وقد وصف ماشو فرح المصريين بعودة الأسرى وصفاً رائعاً بليغاً . Machaut, p. 189

(4) Mahkiaras ; op. cit. p 165. (5) Ibid.

(6) Idem ; p. 169.

(٧) النويرى : الإلمام حـ ١ ص ٥٢٤ .

(8) Makhiaras ; p. 171 & . النويرى : الإلمام حـ ٢ ص ٢٧ ب

فائدة إذ أدت على الأقل إلى موافقة السلطان شعبان على فتح باب المفاوضات من جديد . ولم يكد بطرس الأول عندئذ أقل رغبة فى الصلح بعد أن ذهبت حملة طرابلس سدى و بدأ القبارسة يسخطون عليه لما جرته عليهم سياسته الصليبية العنيفة من مصائب وخسائر فى المال والبنين[١] . هذا إلى أن بطرس أنفق الكثير من الأموال فى حروبه مع المسلمين حتى اضطر إلى الاستدانة واقتراض الأموال من الكنائس والأديرة بعد أن وعد رجال الدين بأنه سيرد تلك الأموال من غنيمته من المسلمين [٢] . غير أن السلطان ظل مترددا حتى أنه وافق أكثر من مرة على بعض شروط الصلح ثم عدل عنها[٣] . وكيفما كانت الظروف والأسباب فالمهم هو أن المفاوضات أخفقت وأن بطرس أخذ يفكر فى حملة أخرى على طرابلس . ولم يلبث بطرس أن غادر قبرس فى ٢٧ سبتمبر سنة ١٣٦٧ م على رأس أسطول أختلفت المراجع فى تقدير عدد سفنه [٤] ، فوصل طرابلس فى اليوم التالى[٥] . ولم يلبث القبارسة أن دخلوا المدينة ونهبوا أسواقها وحملوا منها ما قدروا عليه من البضائع والأموال ، وذلك بعد أن أخلى الطرابلسيون البلد واعتصموا بجبل قريب [٦] .

ثم أتت النجدة من الجهات المجاورة إلى المسلمين فحملوا على القبارسه وهم لاهون بالأسلاب والأنهاب ، واشتدوا فى قتالهم حتى هزموهم وأخرجوهم من

---

(١) النويرى : الإلمام حـ ٢ ص ٢٧ ب .

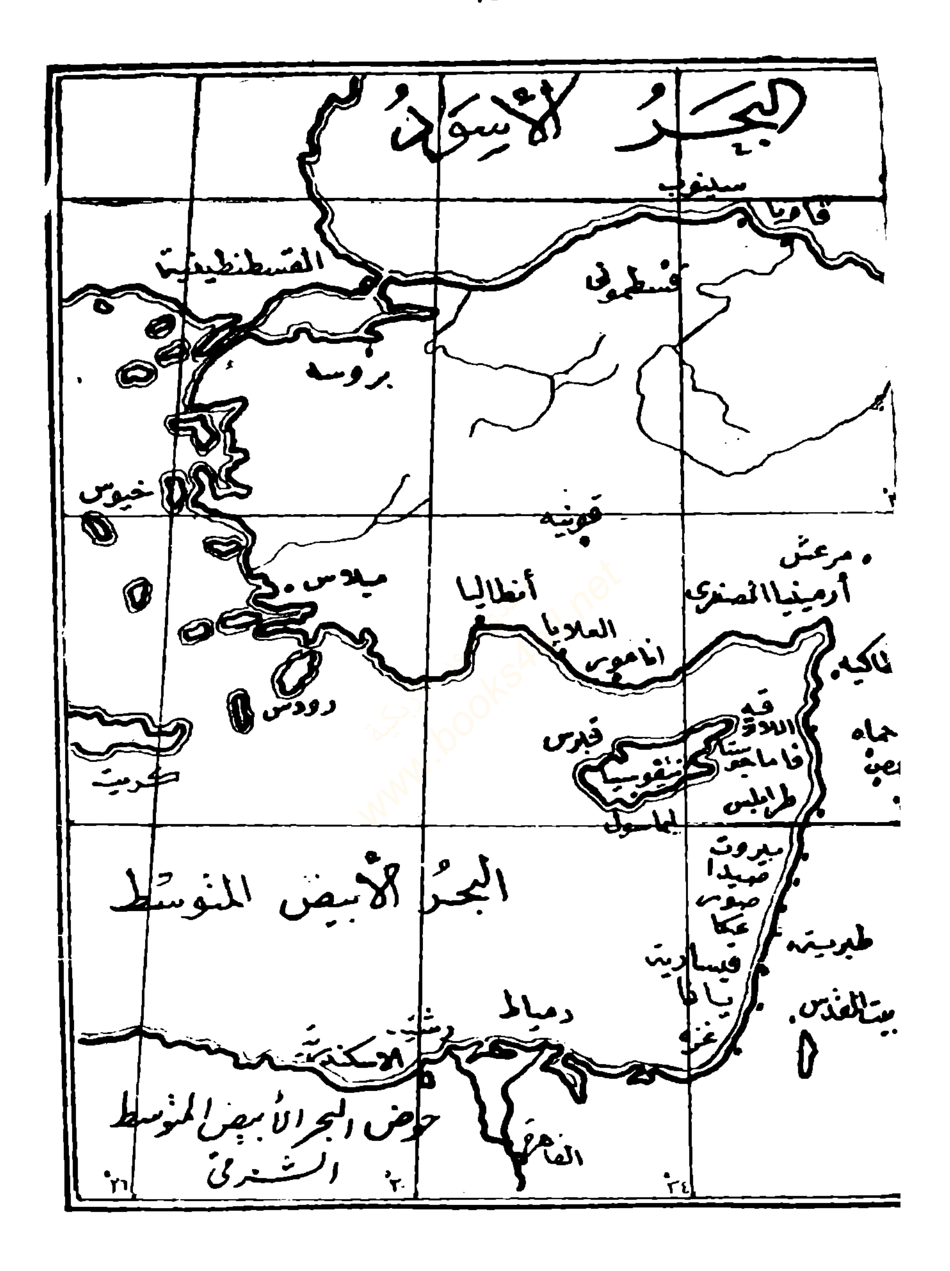
(٢) نفس المرجع والصفحة .

(3) Makhiaras, p 163, 165, 169, 173.

(٤) حدد المقريزى (السلوك حـ ٤ ص ١٦٠) عدد سفن ملك قبرس فى تلك الحملة بمائة وثلاثين سفينة وكذلك أبو المحاسن (النجوم حـ ٥ ص ٢١٢) . أما النويرى (حـ ٢ ص ٣٠ ب) فقال إنها مائة وواحد وسبعين سفينة وأن أغلبها مراكب صيادين أتى بها بطرس لتخيف بكثرتها المسلمين .

(٥) هـذا وفقا لمخايراس (p. 191) أما ماشو فقد حدد ذلك التاريخ بالتاسع والعشرين من سبتمبر (p. 206) .

(٦) المقريزى حـ ٤ ص ٦٠ ب ، النويرى حـ ٢ ص ٣٠ ب .


البحر الأسود
سينوب
القسطنطينية
قسطموني
بروسة
خيوس
قونيه
مرعش
أرمينيا الصغرى
ميلاس
أنطاليا
العلايا
انامور
رودس
قبرص
اللاذقية
فاماجوستا
نيقوسيا
حماه
طرابلس
كريت
ليماسول
بيروت
صيدا
صور
عكا
طبرية
قيسارية
يافا
بيت المقدس
غزة
دمياط
رشيد
الاسكندرية
القاهرة
البحر الأبيض المتوسط
حوض البحر الأبيض المتوسط الشرقي
٢٦
٣٠
٣٤

من طرابس، بعد أن قتلوا منهم نحوا من ألف نفس ، عدا فئه من الجرحى بينهم بطرس نفسه ، على حين استشهد من المسلمين أربعون رجلا . [(١)]

وهكذا خرج القبارسه من طرابلس على وجوههم يبتغون سفنهم فى جماعات صغيره [(٢)] ، فاستغل المسلمون بعد المدينة عن الميناء ، وقعدوا لهم كل مرصد حتى فتكوا بعدد عظيم منهم [(٣)] . وقد استطاع بعض القبارسه عند خروجهم أن يحملوا معهم باب مدينة طرابلس ، وهو الباب الذى جعله بطرس لقلعه جورهيجوس على شاطىء أرمينيا الصغرى . [(٤)]

غير أنه عز على بطرس أن يعود إلى بلادة فاشلا بعد أن خسر عدداً كبيرا من رجاله ، ولم يحصل من طرابلس على شىء ، مما طمع فيه من غنائم يسدد منها بعض ديونه للقسيسين ورجال الدين فى قبرس ؛ لذلك عزم على أن يقوم بإغارات أخرى على ساحل الشام وأرمينيا الصغرى ليعوض بها ما فاته [(٥)] . فأغار على جبله حيث هبت على سفنه ريح عاصفة اضطرته إلى الخروج إلى البحر سريعا ، فنزح إلى اللاذقية حيث ارتطمت بعض سفنه بسلسلة الميناء فكسرت اثنتان وأسر المسلمون سفينة ثالثة [(٦)] ، وكان ذلك كافيا لخروج بطرس من ميناء اللاذقية بغير نتيجه ، فأقلع إلى بانياس فوجد أن أهلها أخلوها خوفا منه وفروا فى الجبال . وعندئذ نزل القبارسه إلى البر ونهبوا البلد وأحرقوها، كما أحرقوا ما وجدوه من السفن الإسلاميه

---

(١) المقريزى : السلوك حـ ٤ ص ٦٠ ب ، أبو المحاسن : النجوم حـ ٥ ص ٢١٢ .

(2) Makhiaras ; p. 191.

(٣) المقريزى : السلوك حـ ٤ ص ٦٠ ب ، Makhiaras ; p. 191.

(٤) وكان بطرس قد استولى على هذه القلعة فى أوائل حكمه ويظهر أنها كانت بلا بوابه كما وصفها ما شو Grande, puissant, ferme, fortes (p. 20) Mais il n'i ot ne mur ne porte.

(٥) النويرى : الإلمام حـ ٢ ص ٥٣ ب ، ٥٤ ا .

(٦) النويرى : الإلمام حـ ٢ ص ٥٦ ب .

بالميناء وثمانية آلاف مجداف من مجاديف السفن . [١] وقصد بطرس بعد ذلك إياس على شاطىء أرمينيا الصغرى وكانت قد أصبحت مأهوله بعـــدد كبير من الأتراك والماليك فضلا عن أهلها من الأرمن المسيحيين [٢] ، فهاجم الملك قلعتها الخارجية واستولى عليها وأخذ يتجهز لمهاجمة قلعتها الداخلية . غير أنه اضطر إلى الجلاء عن تلك المدينة كذلك خوفا من الإشتباك مع الحمله التى أرسلها نائب حلب لنجدتها من الماليك والعربان والتركمان [٣] .

وأخيرا عاد بطرس الى فاماجوستا فى ٥ أكتوبر سنة ١٣٦٧ حيث أصدر بيانا دالاً على شعور عميق بخيبه آماله وباستحالة القيام بعمل صليبى كبير بغير معونه عظيمه من أوربا ؛ إذ أعلن أنه سوف لايقوم بمحاولة جديدة على شواطىء الماليك، ولـكنه مستعد لمساعدة الراغبين من رعاياه فى الإغاره على بلاد السلطان . وهكذا تطورت الحروب الصليبية إلى نوع من القرصنة ، فخرج أحـد القبارسـه المغامرين و إسمه حنا الصورى إلى سواحل الشام حيث أغار على بلدة الصرفند فقتل من أهلها ثلاثين وأسر ثلاثة عشر . وقد اختار حنا الصورى تلك البلدة بالذات لـكثرة تردده عليها أيام أن كان تاجراً و إحاطته بموارد ثروتها [٤] كذلك أغار اخوان جنويان على صيدا ثم قصدا الاسكندرية حيث وجدا سفينه إسلاميه موسوقة بالبضائع ومستعده للسفر إلى طرابلس الغرب ، فأسراها وعادا بها الى فاماجوستا (أول ابريل سنة ١٣٦٨) [٥] وقد استاء السلطان شعبان من

---

(١) النويرى : الإلمام حـ ٢ ص ٥٦ ب ، Makhiaras, p. 193.

(٢) النويرى : الإلمام حـ ٢ من ٥٩ ب إلى ٦١ ا ، Makhiaras, p. 193.

(٣) النويرى : الإلمام حـ ٢ ص ٦٢ ا ، ب ، المقريزى : السلوك حـ ٤ ص ٦٠ ب .

(٤) النويرى : الإلمام حـ ١ ص ٩٩ ب ، Makhiaras, p. 201.

(٥) النويرى : الإلمام حـ ١ ص ٩٨ ا ، ٩٨ ب ، Makhiaras ; pp. 195—201.

ويلاحظ أن مخيراس يخالف النويرى فى نقطتين : الأولى أن السفينة التى أسرها القبارسة كانت آتية من طرابلس لا ذاهبه إليها . والثانية أن الأخوين الجنويين هما اللذان أغارا على الاسكندرية لا حنا الصورى الذى يسميه النويرى إبراهيم ابن الحبازة وينسب إليه الإغارة على صرفند والاسكندرية .

تلك الأعمال ورأى أن يرد عليها بالمثل ،فأرسل أحد رجاله و إسمه الرايس ابراهيم التازى للرد على أعمال القبارسة بعد أن جهزه بسفينتين كبيرتين بهمامائة وخمسون مقاتل . وغادر التازى الإسكندرية فى مارس سنة ١٣٦٨م (رجب سنة ٧٦٩هـ)[١]، فاستطاع أن يأسر سفينة بندقية أرسلها إلى الاسكندرية بعد أن حجز معه رجالها من الفرنجة ، كما حاول الإغارة على فاما جوستا ولكن السفن القبرسية تكاثرت عليه فركن إلى الفرار[٢] . و بعد غيبة ثلاثة وعشرين يوما عاد ابراهيم التازى إلى الإسكندرية ومعه خمسة وثلاثون أسيراً من الفرنجة بينهم راهب طاعن فى السن وكميات كبيرة من الغنائم ، فاستقبل بالاسكندرية استقبالا حافلا[٣] .

و يبدو أن بطرس الأول لم يقنع بذلك النوع من الحرب ، بل ظل متمسكا بفكرة الحملة الصليبية الكبرى ضد المسلمين ، فأبحر إلى إيطاليا ليطلب إلى البابا أن يستنهض ملوك أوربا وأمرائها للقيام بالحملة المرجوه . لكن بطرس لم يجد من البابا إربان الخامس ماتوقعه من تأييد إذ أحاطت بالبابويه وقتذاك ظروف اضطرتها إلى عدم مشاركة الملك بطرس رأيه ، وأهم هذه الظروف انشغالها بالأوضاع السياسية المعقدة فى إيطاليا ، فضلا عن تقريرها النزول على رغبة جمهورتى البندقية وجنوا فى وقف الأعمال العدائية ضد المسلمين[٤] . وكان البنادقة والجنوية على حق فإن مافعله بطرس بدولة المماليك لم يؤثر فى تجارتهم مع الدولة المملوكية فحسب ، بل وفى علاقتهم مع بقية الأقطار الإسلامية . ومن أمثلة ذلك أن بعض الجنوية والبنادقة قصدوا بلاد العراق براً بعد واقعة الإسكندرية للتجارة كعادتهم . فمنعهم السلطان أويس من دخول بغداد والمتاجرة بها وقال لهم « ارجعوا أولا إلى سلطان مصر واستدركوا ما أفسدتم فى الإسكندرية ، وأتونى

(١) النويرى : الإلمام حـ ١ ص ٩٧ ب ، المقريزى : السلوك حـ ٤ ص ٦٣ ب .
(2) Makhiaras ; op. cit. p. 203.
(٣) النويرى : الإلمام حـ ١ ص ١٠٠ ب — ١٠٣ ا .
(4) Machaut ; op. cit pp. 219-220. & Makhiaras ; op. cit. pp. 199-201.

بخط ملك مصر بدخولكم تحت طاعته وحينئذ تبيعون ببلدى وتبتاعون منه »[١]
ولهذا كله رجع بطرس من عند البابا بغير نتيجة ، ماعدا أنه وعد بفتح باب المفاوضات مع السلطان من جديد[٢] ، ورضى أن تقوم البندقية وجنوا بذلك نيابة عنه . وقامت من أجل ذلك جماعة من البنادقة والجنوية قاصدة مصر بعد أن زودها الملك بطرس بتعليماته (٢٤ يونية سنة ١٣٦٨)[٣] . ودل بطرس على حسن نيته واستعداده للصلح بإطلاق سراح الأسرى المسلمين بقبرس وتسليمهم للبنادقة والجنوية عند حضورهم إلى الجزيرة[٤] .

على أن الصلح لم يتم أيضا تلك المرة ؛ إذ طال الأخذ والرد بين الفريقين وعاد السلطان شعبان إلى سياسة التسويف والمماطلة ، لاسيما بعد أن علم أن بطرس رجع من إيطاليا بغير نتيجة . وهنا ضاق بطرس ذرعاً ، فأرسل إلى السلطان خطابا هدده فيه وجرحه وعرض بأصله المملوكى وتوعده بالثأر العاجل[٥] . ولكن الأجل عاجل بطرس قبل أن ينفذ وعيده ، إذ أثار سخط فرسانه ورجال دولته بأعمال مزرية تتنافى مع الأخلاق ، لم يكن من المنتظر منه ارتكابها وهو الصليبى التقى القديم ، فدبرت مؤمرة لقتله ، وقتل يوم الأربعاء ١٧ يناير سنة ١٣٦٩[٦] .

---

(١) النويرى : الإلمام حـ ٢ ص ١٨٢ .

(2) Makhiaras ; p. 201. & Machaut ; p. 220.

(3) Machaut ; p. 221.

(4) Makhiaras ; p. 205.

(5) Idem ; p. 213.

(6) Machaut ; pp. 246—274 & Makhiaras ; pp. 215—269.

وقدرثى ماشو الملك بطرس رثاءاً بليغا يعبر عما يكنه له المعاصرون من تقدير ؟ جاء فيه :

Mors est li bons roys, c'est damages,

Plourez honneurs & vasselages,

Plourez enfans, plourez pucelles,

Plourez dames & damoiselles,

Plourez aussi toutes gens d'armes,

Plourez sa mort à chaudes larmes.

وهكذا مات بطرس لوزجنان ، فانتهت بموته حياه بطل صليبي ظل يبث فى الأوربيين فى القرن الرابع عشر الميلادى روح أسلافهم فى القرن الحادى عشر دون جدوى ، فشن الحرب عواناً على المسلمين ما استطاع إلى ذلك سبيلا دون أن تزوده الدول الأوربية بشيء سوى كلمات من التشجيع الأجوف ، وبموت بطرس الأول انقضت أيام آل لوزجنان الذهبية ، وانتهى عصر الرخاء الذى عم قبرس فى ظل تلك الأسرة ، وبدأ دور جديد هو دور الضعف والإنحلال الذى غدت فيه الجزيرة فريسة لمنافسات الجنوية والبنادقة[١] .

وخلف بطرس الأول ابنه بطرس الثانى (سنة ١٣٦٩ — ١٣٨٢) قبل أن يبلغ سن الرشد ، فتوصى عليه عمه حنا الذى طالما حكم قبرس نائباً عن أخيه أثناء غيباته الكثيرة ، وربما كان ذلك بعض السر فى نشاط أعمال القرصنة القبرسية على الشواطىء المصرية والشامية ولما يمض على وفاة بطرس الأول سوى بضعة أشهر . والواقع أن حنا اتبع خطة أخيه فى هذه الناحية ، علما منه أن قبرس لن تستطيع أن تقوم بما هو أكثر من ذلك ما دامت الدول الأوربية غير راغبة فى حرب صليبية على الطراز القديم . ولذا دأب حنا على تشجيع القبارسة على مهاجمة الشواطىء المملوكية والسفن الإسلامية فى عرض البحر . على أن حنا لم يقنع بأعمال القراصنة الفردية أمثال ما قام به بعض القبارسة من اعتراض الكثير من السفن الإسلامية وإقتيادها إلى فاما جوستا[٢] ؛ بل رأى أن تشارك المملكة فى تلك الأعمال، فأنفذ بعض السفن الحربية للإغارة على صيدا (يونية سنة ١٣٦٩) حيث دارت معركة بحرية عنيفة بين القبارسة والمسلمين ، انسحبت السفن القبرسية عقبها شمالا ، فأغارت على بعض المدن والقرى حتى وصلت

---

(1) Cambridge Mediaeval History, Vol. 4, pp 468-470 & Lucas, p.52.

(2) Makhiaras ; p. 273.

إلى إياس فأنطالية ومنها إلى قبرس [١] . ثم عادت السفن القبرسية فى يولية سنة ١٣٦٩ فأغارت على السواحل المصرية ، وهاجمت سفينة مراكشية كبيرة فى ميناء الإسكندرية ، واتجهت بعد ذلك نحو رشيد فبيروت ومنها إلى قبرس [٢] .

أما البنادقة والجنوية فظلوا على أملهم فى الصلح بين السلطان وملك قبرس ، ووسطوا البابا من جديد لحمل الوصى على السعى فى الصلح ، فقبل وأرسل بعثة لذلك الغرض إلى السلطان ، فوصلت الإسكندرية فى أغسطس سنة ١٣٧٠ م . ويقول النويرى أن البنادقة والجنوية ألحوا على السلطان فى الصلح وقالوا له إن بطرس الذى كان السبب فيما حل بالإسكندرية قد قتل وانتهى أمره ولا يصح إثارة الماضى وأن الوصى مستعد لترضية السلطان [٣] . وإنتهى الأمر بعقد معاهدة بين الطرفين (ديسمبر سنة ١٣٧٠) ، فبدأت التجارة تعود إلى ما كانت عليه بين قبرس والبندقية وجنوا من ناحية ومصر والشام من ناحية أخرى ، وأخذت سفن الفرنجة تفد إلى الإسكندرية بكثرة « واطمأنت الناس وما فات فات [٤] » .

على أن الصلح مع مصر لم يكن المشكلة التى واجهت قبرس فى أواخر القرن الرابع الميلادى ، وإنما ظهرت تلك المشكلة فى سياسة البنادقة والجنوية الذين لم يكتفوا بالإمتيازات التجارية العديدة التى حصلوا عليها تدريجيا فى قبرس ، وإنما طمعوا فيما هو أكثر — أى فى إمتلاك قواعد ثابتة فى الجزيرة لتكون مراكز لنشاطهم التجارى فى ذلك الجزء الهام من حوض البحر المتوسط . واتخذ التنافس التجارى بين جنوا والبندقية طريقة إلى السياسة الداخلية فى قبرس ، حين تبيّن للجنوية ميل الوصى إلى جانب البنادقة ، فرد الجنوية على ذلك الموقف

---

(1) Idem ; p. 275.

(2) Idem ; p. 277.

بإرسال حملة إستطاعت أن تستولى على فاما جوستا ، وأن تأخذ بطرس الثانى وعمه حنا أسيرين . ثم أطلقت جنوة سراح الملك والوصى نظير الإعتراف باحتلالها فاما جوستا فضلا عن فدية كبيرة (أكتوبر سنة ١٣٧٤ [١]) . غير أن تلك الحال لم تؤد إلى شىء سوى إزدياد المنافسة بين جنوا والبندقية [٢] .

وهكذا أصبحت الجزيرة مسرحا للفتن والمنازعات والمنافسات ، و بدأت الحوادث تدل على أن العصر الذى كانت فيه قبرس قاعدة للهجوم قد مضى واندثر وجاء عصر آخر أصبحت فيه الجزيرة فريسة للطامعين وهدفا للمغرضين .

---

(1) Makhiaras ; pp. 309—511.

(2) Idem ; pp. 581—585.

الباب الرابع

قبرس ودولة المماليك الثانية

(١٣٨٢ — ١٥١٧ م)

عودة القبارسة إلى تهديد التجارة المملوكية ومحاولتهم استعاضة الموانى بآسيا الصغرى عن الموانى المملوكية — تفكير المماليك فى غزو قبرس — اشتداد غارات القبارسة على السواحل المملوكية أوائل القرن الخامس عشر — السلطان برسباى وجزيرة قبرس — حملته الأولى على قبرس سنة ١٤٢٤ — حملته الثانية سنة ١٤٢٥ — حملته الثالثة سنة ١٤٢٦ — فتح قبرس وأسر ملكها جانوس — تبعية قبرس للدولة المملوكية الثانية — وفاة جانوس وولاء حنا الثانى للسلطان المملوكى — النزاع بين أبناء حنا الثانى على عرش قبرس — تحكيم السلطان وإعلان چيمس الثانى ملكا — طرد الجنوية من فاماجوستا سنة ١٤٦٤ — إزدياد نفوذ البندقية فى جزيرة قبرس — حكم البنادقة للجزيرة — استمرار دفع الجزية لسلطان المماليك .

لم يكتف ملوك قبرس بمهاجمة أراضى الدولة المملوكية وشن حرب سافرة عليها بين حين وآخر ، و إنما لجأوا أيضاً إلى مهاجمة تلك الدولة فى أعظم مصادر غناها وقوتها ، وهى التجارة ، استناداً إلى القرارات والمراسيم البابوية التى تمنع التجارة مع المسلمين منعاً باتاً . وعلى الرغم من أن بعض التجار الأوربيين أطاعوا تلك الأوامر مكرهين ، خوفا من البابوية أو بدافع شعورهم الدينى ، إلا أن غالبية التجار الأوربيين — وهم من قوميات وأجناس مختلفة — اعتبروا التجارة مع الدولة المملوكية مسألة حياة أو موت نظراً لما أدرته عليهم من أرباح طائلة . وهنا نجد ملوك قبرس يستغلون موقع جزيرتهم فى شن حرب شعواء دائبة على ذلك النفر الذين ظلوا يتاجرون مع بلاد السلطان المملوكى ، فكانت السفن

القبرسية تتربص طريق ذهابهم أو عودتهم وتفتك بهم أشد فتك[1] . وزيادة على ذلك عمد ملوك قبرس إلى تشجيع التجارة بين جزيرتهم وموانى آسيا الصغرى منذ أوائل القرن الثالث عشر ، وذلك بغية تحويل أنظار التجار الأوربيين عن موانى مصر والشام واجتذابهم إلى الموانى القبرسية للحصول على ما يريدونه من توابل وحاصلات أسيوية . وكان ما هنا لك من صلة بين أرمينيا الصغرى وموانى آسيا الصغرى كفيلا بأن يضمن لقبرس وصول البضائع الأسيوية إلى موانيها فى سهولة ليحملها التجار الأوربيون إلى بلادهم[2] . وطبيعى أن هذه المحاولة كانت أمراً لا يمكن أن يسكت عنه أو يغفره سلاطين المماليك لملوك قبرس . وكفى أنه يصيب الدولة المملوكية فى أول موارد ثروتها وغناها . وقد فطن السلطان الظاهر بيبرس إلى ذلك الخطر وغزا قبرس لاستدراك الخطر قبل أن يستفحل[3] ، ولكن عدم قيام بيبرس بغزو الجزيرة مرة أخرى بعد إخفاقه الأول ، وانصراف خلفائه من سلاطين دولة المماليك الأولى عن قبرس لم يكن معناه زوال ذلك الخطر ، بل يرجع إلى عوامل خارجة عن إرادتهم . ذلك أن بيبرس غزا قبرس وهى فى أوج مجدها وذروة قوتها والمماليك فى شغل ببقايا الصليبيين بالشام ، ولذا لم يستطع أن يحاول غزوها مرة أخرى . ويقال مثل ذلك بصدد السلطان قلاون وابنه خليل ، كما يقال أيضاً بصدد السلطان الناصر محمد وبقايا الخطر المغولى . ثم طغت الأحوال الداخلية والتنافس والشجار المستمر بين الأمراء من أجل الفوز بكرسى السلطنة مما صرف الدولة المملوكية الأولى عن التفكير فى القبارسة أو غيرهم ممن يهددون متاجرها فى البحر الأبيض المتوسط بل جعلها عرضة لهجوم صليبى قبرسى خطير[4] .

---

(1) Heyd : Hist. du Commrce du Levant au Moyen Age ; Vol. II, p. 29.

(2) Mas Latrie : L'ile de Chypre ; Ps. 232, 235, 237.

(٣) أنظر ما سبق ص ٤٧ — ٤٩ .

(٤) أنظر ما سبق ص ٦١ — ٦٨ .

لكن الباحث فى أحوال قبرس أواخر القرن الرابع عشر وأوائل القرن الخامس عشر ، يلمس فى وضوح أن تلك الأحوال اختلفت كثيرا عما كانت عليه من قبل . ففى تلك الحقبة وضحت آثار السياسة الصليبيه العنيفة التى اتبعها ملوك لوزجنان واستنزفوا فى سبيل تنفيذها معظم جهد مملكتهم ، وعندئذ بدت الجزيرة ضعيفة منهكة . ثم أخطأ بطرس الأول خطيئة ثانية بإثارة الحرب بينه و بين جنوه ، مما زاد الجزيرة ضعفا على ضعف و إنهاكا فوق إنهاك . بل إن الطبيعة أبت إلا أن تتحالف مع تلك العوامل لتزيد الطين بله ، فابتليت قبرس بالوباء والجراد عدة مرات فى سنوات متقاربة ، أولها أوائل سنة ١٣٩٢ حين انتشر الوباء بأجزاء الجزيره وظل يعمل فيها حتى نهاية العام التالى ومات بسببه أناس كثيرون[1] . وفى سنة ١٤٠٩ عاد الوباء فانتشر بشكل فظيع ، كما أغار الجراد على الجزيرة فأتى على اليابس والأخضر واستمرت قبرس فى تلك المحنه حتى سنة ١٤١٢[2] . ثم عاد الوباء إلى الظهور مرة أخرى سنة ١٤١٩ — ١٤٢٠ فهلك بسببه كثير من السكان[3] ؛ وهكذا أخذت المصائب تنزل تترى على جزيرة قبرس .

وفى سنة ١٤٢٢ اعتلى عرش الدولة المملوكيه الثانية السلطان برسباى الذى كان من أقوى السلاطين وأكثرهم طموحا ورغبه فى ذيوع إسمه ، فرأى فى الجهاد ضد قبرس وسيلة لتحقيق مآربه وصرف منافسيه من الأمراء عن خلق المشاكل والفتن الداخلية[4] . على أنه ليس من التاريخ الواقعى أن نرجع بدء تصميم الدول المملوكية على غزو قبرس إلى السلطان برسباى بالذات ، إذ المعروف أن التصميم بله الاستعداد

(1) Makhiaras ; op. cit. p. 611.

(2) Idem ; p. 623.

(3) Idem ; p. 627.

(4) Ziada : The Mamluk Conquest of Cyprus in the Fifteenth Century ; Part I, p. 29.

لغزو قبرس قديم يرجع على الأقل إلى سنة ١٣٦٥ م وهى السنة التى قام فيها بطرس لوزجنان بحملته الشهيرة على الإسكندرية . فالمصريون لم يغفروا للقبارسة مافعلوه بالإسكندرية تلك السنه ، ولم ينسوا ما حل بثغرهم وأهله على أيدى المغيرين الذين دمروا مدينة من أعظم مدن الإسلام[1]. ومن الأدلة على ذلك أن بطرس لوزجنان لم يكد يجلو عن الإسكندرية سنة ١٣٦٥ حتى أمر يلبغا الخاصكى ـ وهو صاحب الكلمة النافذة فى شئون الدولة وقتذاك ـ ببناء المراكب والسفن لغزو قبرس ، فجمع البحارة والنجارين والمقاتلين ، كما أرسل إلى سائر البلاد الشاميه يأمر بتسخير كل من يعرف يمسك منشاراً فى قطع الأخشاب وبناء السفن « برسم غزو قبرس »[2]. وظل الأمير يلبغا يجد فى بناء السفن والمراكب الحربية فى موانى مصر والشام حتى تم له إعداد مائة وخمسين سفينة « منها طرائد للخيل وشوانى للغزو[3] »

وجد السلطان شعبان (١٣٦٣ — ١٣٧٧) فى التفكير فى غزو قبرس حتى أنه عندما استدعى الرايس ابراهيم التازى الإسكندرى — وهو من المعروفين بالشجاعة والدراية بفنون القتال ضد الفرنج فى البحر — سأله « تقدر تفتح جزيرة قبرس ؟ » قال « نعم » . فقال له السلطان « بكم من غراب » قال « بمائة غراب » فأخبره السلطان أن الغربان جاهزه وأمره أن يسافر بها لغزو قبرس . لكن ابراهيم التازى رأى أن يخرج أولا بسفينتين لكشف أحوال الجزيرة ، فخرج على النحو السابق شرحه.[4] وبذا شفى التازى قلوب المسلمين ونجح فى « بعض أخذ الثأر من الفرنج »[5] هذا مايقوله النويرى المتوفى سنة ١٣٧٣ ، أى خمسين سنة تقريبا قبل مشروع برسباى فى غزو قبرس ، وهو بلا شك يعبر بقوله

---

(1) Aliya : The Crusade in the Later Middle Ages ; p. 471.

(٢) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ ١١ ص ٣٠ ، العينى جـ ٢٤ ق ١ ص ١٣٩ .

(٣) النويرى : الإلمام جـ ١ ص ٥٩٦ .

(٤) أنظر ما سبق ص ٧٦ .

(٥) النويرى : الإلمام بالإلام جـ ٢ ص ١٠٣ أ — ١٠٣ ب .

هذا عن رغبه جامحه تعتلج بها قلوب معاصريه من المسلمين . فغزوه التازى إذاً كانت بعضا فقط من أخذ الثأر ، لأن الثأر لا يتم إلا بالإستيلاء على قبرس وتخريب ميناء من موانيها على الأقل كما فعل القبارسه بالإسكندرية .

ومما أجج تلك الرغبة الجامحه فى أخذ الثأر أن أعمال القراصنة فى شواطىء الدولة المملوكيه وضد سفنها استمرت على مقياس مزعج . ولم تكن تلك القرصنه كلها من عمل القبارسه ، لكن القراصنه من مختلف القوميات استخدموا خلجان جزيرة قبرس وتعاريجها أوكاراً لهم . (١) ومن أمثلة ذلك ما حدث من إعتداء بعض القراصنه من البسقاويه سنة ١٤٢٣ على مركب لأحد تجار دمياط ، إذ أسروه وساقوه إلى قبرس (٢) . حقيقة إن تلك الغارات على سواحل الدوله المملوكيه لم تكن بالشىء الجديد ، لكنها اتخذت فى القرن الخامس عشر شكلا خطيرا أقلق سلاطين المماليك أشد القلق . (٣)

وهكذا بقى أهل قبرس « يفسدون فى البحر » ويقطعون الطريق على المراكب الآتية إلى دمياط والإسكندرية (٤) . وكل ذلك بعلم وتشجيع جانوس لوزجنان ملك الجزيرة (١٣٩٨ — ١٤٣٢ م) (٥) ولم تجد محاولات السلطان برسباى فى عقد معاهدة تضمن عدم التعدى على متاجر المسلمين بتجديد معاهدة قائمة بين الفريقين منذ سنة ١٤١٤ ؛ بل اعتقد القبارسه أن حرص الدولة المملوكيه على تجديد تلك المعاهدة ليس معناه سوى ضعف السلطان وخوفه . ولذا سخر القبارسه من محاولات برسباى ، واستمروا يعيثون فى البحر فساداً وعز عليهم

---

(1) Ziada : The Mamluk Conquest of Cyprus ; Part I, pp. 90—91.

(٢) صالح بن يحي : تاريخ بيروت ص ٢١٩ — ٢٢٠ ويريد بالبسقاوية أهل أقليم الباسك (Basques) بالشمال الغربى من أسبانيا (أنظر تعليق لويس شيخو فى نفس الصفحة) .

(3) Atiya ; p. 471.

(٤) العينى : عقد الجمان حـ ٢٥ ق ٣ ص ٥٧٢ .

(5) Makhiaras ; p. 523.

أن يتركوا القرصنه بعد أن اغتنى منها كثير منهم وعلى رأسهم بعض الحكام[١]. ففى ربيع سنــة ١٤٢٢ هجم غرابان قبرسيان على ميناء الاسكندرية حيث اعتدوا على مركب للتجار قيمة حمولته مائه ألف دينار . ثم اتجه القراصنة إلى برقه ؛ و بعد أن نهبوا ما قدروا عليه عادوا الى بلادهم ومروا بالأسكندرية ؛ فغضب الملك الأشرف برسباى لذلك أشد الغضب .[٢] وحوالى ذلك الوقت من العام التالى وردت الأخبار الى مصر بقرب حركة الفرنج على بلاد المسلمين ، فاتخذ السلطان الإحتياطات اللازمه وأرسل الأجناد الى دمياط والاسكندرية وغيرهما من الموانى ولــكن القراصنه لم يقوموا بهجومهم المزعوم[٣] . وطبيعى أن كل ذلك من شأنه أن يثير حقد السلطان وغضبه ، فضلا عما فيه من نقض صريح للصلح المعقود مع القبارسه منذ سنــة ١٤١٤ . وهكذا ظل السلطان يتميز غضبا حتى اذا ما كانت سنة ١٤٢٣ ورد إليه الخبر بان الفرنج أخذوا مركبين من مراكب المسلمين قرب ثغر دمياط فيهما بضائع كثيرة وعــدة من الناس يزيدون على مائه رجل ، و بأن ملك قبرس جانوس استولى على سفينة محملة بالهدايا مرسلة من برسباى إلى الســلطان مراد العثمانى[٤] . وعند ذلك ثارت ثائرة السلطان ، فأمر بالإستيلاء على أموال التجار الفرنج المقيمين بالثغور المملوكيه ومنعهم من السفر إلى بلادهم[٥] ، كما أخذ يجهز الســفن لغزو قبرس .[٦] و بذلك بدأت حملات برسباى لغزو الجزيرة ، وهى حملات ثلاث تعتبر من أهم الأحداث التى شهدها الشرق الأدنى فى القرن الخامــس عشر .

---

(1) Makhiaras ; pp. 623–629.

(٢) المقريزى : السلوك حـ ٤ ص ٣٥٢ ب ، أبو المحاسن : النجوم حـ ٦ ص ٥٦١ .

(٣) السيوطى : غزوات قبرس ورودس ص ٢ .

(٤) خليل بن شاهين : زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك ص ١٣٨ .

(٥) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة حـ ٦ ص ٥٧٨ .

(٦) نفس المرجع ص ٥٧٩ .

أما الحملة الأولى من تلك الحملات التى كانت سنة ١٤٢٤ م فلم تبلغ مبلغاً كبيراً فى السفن والرجال ، والأقرب إلى الصواب إنها لم تعد حملة اكتشافية غرضها الوقوف على أمر ذلك النفر من الفرنج « الذى كان يتحرم فى البحر »(١).

وتفصيل تلك الحملة الصغيرة أنه فى السابع من أغسطس سنة ١٤٢٤ م غادرت بولاق سفينتان كبيرتان بهما ثمانون مملوكا، ثم لحقت بهما عند دمياط سفينة أخرى صغيرة فسارت السفن الثلاث إلى بيروت حيث انضمت إليها سفينة رابعة ، ثم إلى طرابلس حيث أصبح المجموع خمس سفن ، منهـا ثلاث كبار بكل واحدة مائة وثمانين مجدافاً واثنتان صغيرتان بكل منهما دون المائة ؛ ومن ثم اتجهت تلك الحملة إلى قبرس(٢) . واشتدت الريح قرب شواطىء الجزيرة ، فتفرقت السفن ولكنها عادت واجتمعت(٣) فاتجهت إلى رأس الياق جنوبى ليماسول(٤) ، حيث أرسى مركب فرنجى مشحون بالبضائع . فلما رأى بحارته السفن الإسلامية فروا تاركين المركب بما فيه للمسلمين فنهبوه وأشعلوا فيه النيران(٥) . بعد ذلك اتجهت السفن المصرية إلى ليماسول ، فلما علم أهلها بقدوم المسلمين أخرجوا النساء والأطفال من المدينة لئلا يتعرضوا لتنكيلهم(٦) . وعند ليماسول وجد المسلمون ثلاث سفن معدة للإغارة على بلاد المسلمين فأخذوا ما بها وأشعلوا فيها النار(٧) . ثم لم تلبث أن ظهرت طلائع القوات القبرسية التى أتت لقتال المسلمين ، وهى مؤلفة من سبعين فارساً وثلثمائة راجل بقيادة حاكم ليماسول ، ولكن الهزيمة حلت بهم ففروا بعد

---

(١) المقريزى : السلوك حـ ٤ ص ٣٦٢ ب ، أبو المحاسن حـ ٦ ص ٥٨٠ .

(٢) صالح بن يحيى : تاريخ بيروت ص ٢٢٠ .

(٣) نفس المرجع والصفحة .

(٤) خليل شاهين : زبدة كشف الممالك ص ١٣٨ . ويلاحظ أن هذا يختلف عما رواه المقريزى (حـ ٤ ص ٣٦٣ ب) وأبو المحاسن (حـ ٦ ص ٥٨٢) من أن المسلمين قصدوا أولا فاما جوستا حيث أضافهم صاحبها .

(٥) خليل بن شاهين ص ١٣٨ .

(٦) أبو المحاسن : النجوم حـ ٦ ص ٥٨٢ ، المقريزى حـ ٤ ص ٣٦٣ ب .

(٧) خليل بن شاهين : ص ١٣٨ .

أن قتل منهم فارس وعدة رجال[١] . وبعد ذلك هاجم المسلمون ليماسول ، فاستطاعوا الاستيلاء على جانب واحد منها ، وعندما اتضح لهم أن الجانب الآخر شديد المناعة يطول حصاره[٢] ، اكتفوا بنهب كل ما وصلت إليه أيديهم من ظروف العسل والسمن وأعدال الجوخ والصوف وأثاث البيوت وغير ذلك[٣] . ثم أشعل المماليك النار فى عدة جهات من ليماسول ، وغادروها إلى منطقة كوكليا حيث التقوا بسفينتين قادمتين من جورهيجوس على ساحل أرمينية الصغرى ، فأشعلوا النار فى إحداهما وأسروا الأخرى[٤] . وفى أواخر سبتمبر سنة ١٤٢٤ م أقلعت السفن المصرية من السواحل القبرسية فوصلت إلى مصر فى اكتوبر من نفس العام وفيها ما استطاع المماليك حملة من الغنائم فضلا عن عدد من الأسرى اختلفت المراجع فى تقديره[٥] . ولما عاد المجاهدون إلى مصر قدموا ما غنموه إلى السلطان فتصرف فيه طبقاً لأصول الشريعة ، ولو أنه آثر نفسه بمائة وثلاثين قطعة من الجوخ باعها للتجار ولم يعط المجاهدين من ثمنها شيئاً[٦] .

هذه هى غزوة قبرس الأولى ، أو « الغزوة الصغرى » على قول العينى[٧] ؛ على أن هذه الغزوة كانت على جانب عظيم من الأهمية بالقياس إلى نتائجها .

(١) المقريزى ﺣ ٤ ص ٣٦٣ ب ، أبو المحاسن ﺣ ٦ ص ٥٨٢ .

(٢) صالح بن يحيى : تاريخ بيروت ص ٢٢٠ ، خليل بن شاهين ص ١٣٨ .

(٣) المقريزى : السلوك ﺣ ٤ ص ٣٦٣ ب ، أبو المحاسن : النجوم ﺣ ٦ ص ٥٨٢ ، العينى : عقد الجمان ﺣ ٢٥ ق ٣ ص ٥٧٢ ، صالح بن يحيى تاريخ بيروت ص ٢٢٠ .

(4) Makhiaras ; op. cit. p. 633.

(٥) حدد المقريزى (ﺣ ٤ ص ٣٦٣ ب) وأبو المحاسن (ﺣ ٦ ص ٥٨٠) عدد الأسرى بثلاثة وعشرين أسيراً . أما ابن حجر (ﺣ ٢ ص١٠٦١) فقد حددهم بألف والسيوطى (ص ٢) بألف وسبعمائة ولا شك أن التقديرين الأخيرين مبالغ فيهما لأن كل سفن الغزاه كانت خمسة .

(٦) المقريزى : السلوك ﺣ ٤ ص ٣٦٣ ب .

(٧) العينى : عقد الجمان ﺣ ٢٥ ق ٣ ص ٥٧٢ .

فالسلطان تحقق من مدى مسؤلية قبرس وملكها عن أعمال القرصنة بعد أن أخبره رجاله بأنهم شهدوا سفن القرصان بالجزيرة معدة للإغارة على شواطىء المسلمين ، كما شهدوا بموانى قبرس كثيراً من البضائع الإسلامية المنهوبة[1] . ثم إن هذه الحملة دلت على مبلغ ضعف قبرس وانحلال أمورها وعجزها عن مقاومة المسلمين مما حدا بالسلطان إلى التفكير جدياً فى فتح قبرس . وصفوة القول فى هذه الغزوة ما قاله العينى وهو أنها السبب الذى أنتج « الغزوتين اللتين حصلتا بعدها »[2] .

ولم يشأ برسباى أن يضيع الوقت فيعطى خصمه فرصة للاستعداد ، فأصدر الأمر بعد رجوع الحملة الأولى لبناء سفن جديدة[3] ، واستمر العمل يجرى فيها تحت إشراف السلطان الذى أخذ على نفسه زيارة دار الصناعة ببولاق كل يوم تقريباً ليتفقد سير العمل[4] . ويبدو أن برسباى أراد أن يجعل الحرب مع قبرس جهاداً تشترك فيه القوى الإسلامية المجاورة على الأقل ، فأمده حاكم تونس بعدد من السفن[5] . ومما زاد من حماسة السلطان وتصميمه ، أن أعمال القرصنة لم تنقطع بل استمرت على ما هى عليه ، فهاجمت أربع سفن قبرسية قرب اللاذقية مركباً مشحوناً بالمجاديف المرسلة إلى مصر ، واستولت على المجاديف التى أمر السلطان بصنعها من أجل السفن التى تصنع فى بولاق ، ثم قتلت بحارتها وأشعلت النار فيها[6] .

ولما اكتملت عمارة السفن ، أخذ السلطان يعد الجند والغزاة فدعا الناس

---

(1) Makhiaras, p. 631

(٢) العينى : عقد الجمان حـ ٢٥ ق ٣ ص ٥٧٢ .

(٣) المقريزى : السلوك حـ ٤ ص ١٣٦٥ ، أبو المحاسن : النجوم حـ ٦ ص ٥٨٢ .

(٤) العينى : عقد الجمان حـ ٢٥ ق ٣ ص ٥٧٢ .

(5) Wiet : Histoire de la Nation Egyptienne ; Tome IV, p. 555.

(٦) المقريزى : السلوك حـ ٤ ص ١٣٦٧ ، Makhiaras, p. 633 .

للجهاد وعندئذ تتطوع كثيرون[١] ، هـذا عدا ستمائة محارب جهزهم السلطان وأنفق عليهم ، وثلثمائة رجل جهزهم الأمراء على نفقتهم[٢] . وسارت الخيول — وعدتها نحو ثلاثمائة فرس — براً إلى طرابلس ليحملها الغزاة معهم من هناك (٧ يونيو)[٣] . وبعد أن عين السلطان على الغزاة الأمير جرباش الكريمى ، بدأت السفن فى الرحيل يوماً بعد يوم ، فنزل السلطان إلى ساحل بولاق وشاهدها وقد شحنت بالرجال والمقاتلين[٤] .

وكثرت الإشاعات وقتذاك بحركة الفرنج وتأهبهم ، فأرسل برسباى المماليك والأمراء لحراسة الثغور[٥] . كما أرسل إلى طرابلس وبيروت والإسكندرية ودمياط يأمر بتركيز الجند بالسواحل حفظا لها من الفرنج[٦] . والواقع أن تلك الإشاعات لم تخل من الحقيقة ، وكان برسباى محقا فى اتخاذ الأهبة والاحتياطات اللازمة للدفاع ، لأن أخبار الاستعدادات التى قام بها السلطان بلغت مسامع الملك جانوس[٧] ، فرأى أن يقف على حقيقة الأمر ويفسد على برسباى خطته ، فأرسل سفينتين للإغارة على شواطىء سوريا « وإفساد مايقدرون عليه »[٨] ، كما أرسل عدة سفن أخرى لمراقبة الشواطىء المصرية ومنع خروج الحملة إلى البحر[٩] . أما السفينتان اللتان قصدتا بلاد الشام فأخذتا فى التنقل من جهة إلى أخرى دون أن تستطيع إحداهما أو كلاهما تحقيق شىء بسبب يقظة الحراسة

---

(١) أبو المحاسن : النجوم حـ ٦ ص٥٨٨ ، ابن حجر : إنباء الغمر حـ ٢ ص١٠٦ب .

(٢) أبو المحاسن : النجوم حـ ٦ ص ٥٨٨ .

(٣) المقريزى : السلوك حـ ٤ ص ١٣٦٧ ، أبو المحاسن حـ ٦ ص ٥٨٨ .

(٤) العينى : عقد الجمان حـ ٢٥ ق ٣ ص ٥٧٣ ، أبو المحاسن حـ ٦ ص ٥٨٨ .

(٥) المقريزى : السلوك حـ ٤ ص ١٣٦٦ .

(٦) ابن حجر : إنباء الغمر حـ ٢ ص ١٠٦ ب .

(7) Makhiaras, p. 633.

(٨) ابن حجر : إنباء الغمر حـ ٢ ص ١٠٦ ب .

(9) Makhiaras ; op. cit. pp. 633—635.

المملوكية فى كل الجهات[١] . ثم نفذ ما بالسفينتين من ماء فقصدتا نهر الكلب وهناك رآهما جند المسلمين فكمنوا لهم وأطلق القبارسة مدفعا ليتأكدوا من عدم وجود عدو[٢] ، فلما لم يخرج إليهم أحد اطمأنوا ودخلت إحدى السفينتين النهر حيث أطبق عليها المسلمون وأحرقوها بعد أن أسروا رجالها على حين لاذت السفينة الأخرى بالفرار[٣] . وأما السفن القبرسية التى قصدت شواطىء مصر فقد وقفت عند مصب دمياط لمنع سفن المسلمين من دخول البحر المتوسط ، ولكنها ولت الأدبار وفرت بلا قتال حين شهدت السفن المصرية مقبلة من الإسكندرية[٤] .

ثم غادرت الحملة الشواطئ المصرية (٢١ يولية ١٤٢٥ م) فاتجهت إلى بيروت حيث انضمت إليها السفن التى أمر السلطان بصنعها فى بلاد الشام ، وكان صالح بن يحيى صاحب تاريخ بيروت مقدما على إحدى هذه السفن[٥] . وقبل أن تبرح السفن الإسلامية بيروت رأى الأمير جرباش مقدم الحملة أن يعطى جانوس فرصة أخيرة للصلح ، فأرسل إليه رسولا يطلب منه الإذعان والدخول فى طاعة السلطان وأمر ذلك الرسول بأن يعود بالرد على طرابلس؛ ولهذا الغرض غادر الرسول بيروت إلى قبرس على حين قصدت الحملة طرابلس ؛ حيث مكثت ثمانية أيام فى الاستعداد النهائى للحرب إذا لم يأت الرسول بنبأ الصلح[٦] . وأبطأ الرسول فى العودة فاستقر الرأى على الابحار إلى قبرس بالحملة كلها بعد أن أصبحت مكونة

---

(١) ابن حجر : إنباء الغمر حـ ٢ ص ١٠٦ ب ، خليل بن شاهين : زبدة كشف الممالك ص ١٣٩)

(٢) خليل بن شاهين : زبدة كشف الممالك ص ١٣٩ .

(٣) ابن حجر : إنباء الغمر ص ١٠٦ ب .

(٤) نفس المرجع والصفحة .

(٥) صالح بن يحيى تاريخ بيروت ص ٢٢١ .

(٦) نفس المرجع و لصفحة ، ابن حجر : إنباء الغمر حـ ٢ ص ١٠٦ ب ، العينى : عقد الجمان حـ ٢٥ ق ٣ ص ٥٧٣ .

من نحو أربعين سفينة . ولم تكد السفن تغادر طرابلس (٣٠ يوليو) حتى لحق بها الرسول قادما من قبرس معلنا رفض الملك جانوس للصلح[١] .

ثم وصلت السفن الإسلامية ميناء قرباص (Korbass) على ساحل قبرس الشمالى الشرقى[٢] ، ومنه تحركت جنوبا حتى رست بالقرب من فاماجوستا حيث نزل المشاة وأكثر الفرسان إلى البر . ولما علم حاكم فاماجوستا الجنوى بوصول المسلمين أسرع بإرسال رسول من عنده يطلب منهم الأمان ويخبرهم بدخوله فى طاعتهم ويقول إنه مملوك للسلطان وأن المدينة مدينته ، فأعطاه المسلمون أمانا بعد أن رفع الراية السلطانية على قلعة المدينة[٣] ، ودلهم حاكم فاماجوستا الجنوى بعد ذلك على عورات الجزيرة وأرشدهم إلى نواحى الضعف فيها ومبلغ استعداد ملك قبرس للقائهم[٤] . وخلال الأيام الأربعة التى مكثها المسلمون فى منطقة فاماجوستا شنوا الغارات على الضياع القريبة وأوسعوها نهبا وأسراً وتحريقا[٥] ، وقبل أن يبرحوا المكان التقى بعض كشافتهم بجيش قبرسى على رأسه أخو الملك فهاجمه المسلمون وقتلوا منه خمسة عشر فارسا وجرحوا أكثر من خمسين على حين لم يقتل من المسلمين سوى مملوكين[٦] .

بعد ذلك أقلعت السفن إلى الملاحة تاركة نحواً من أربعمائة من الجنود المشاة يسيرون فى البر بحذاء السفن لمراقبة العدو ، فقتلوا وأسروا وأحرقوا ثم لحقوا

---

(١) صالح بن يحي : ص ٢٢٢ ، خليل بن شاهين ص ١٤٠ ، المقريزى ص ٣٦٨ب .

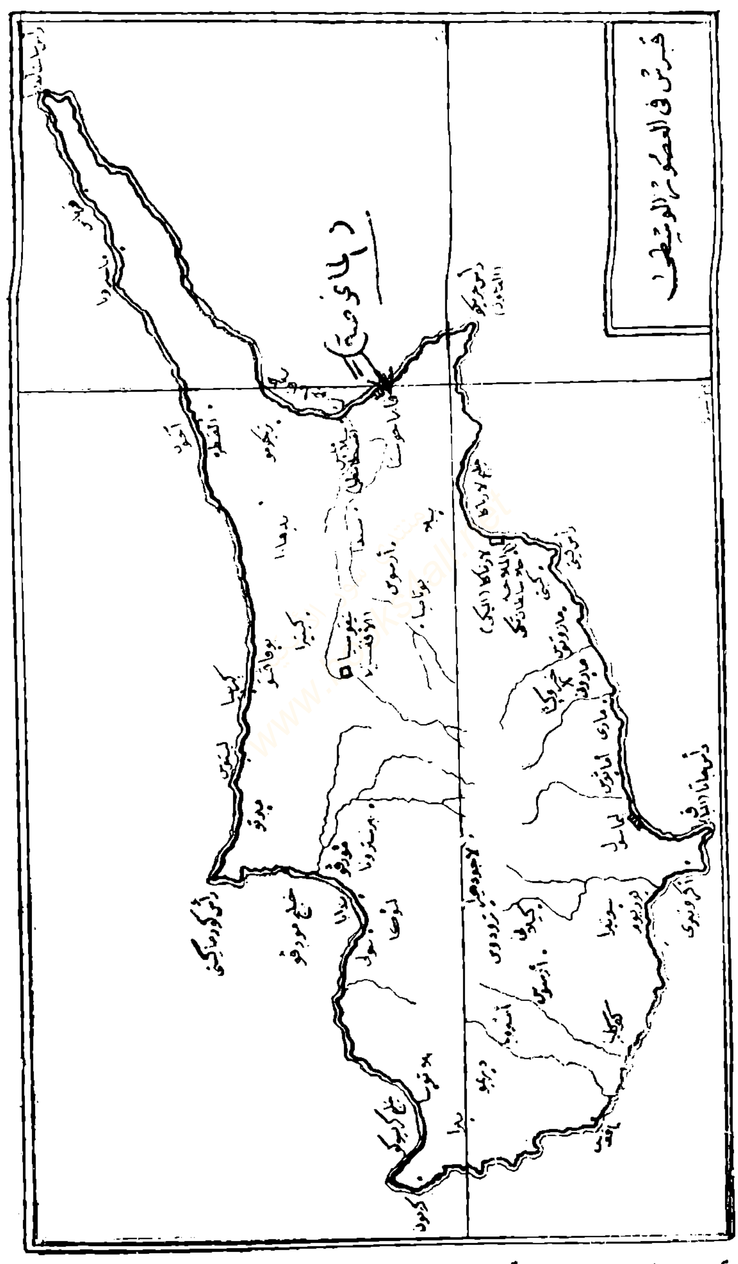
(٢) العينى : عقد الجمان حـ ٢٥ ق ٣ ص ٥٧٣ .

(٣) ابن حجر : إنباء الغمر حـ ٢ ص ١٠٦ ب ، خليل بن شاهين ص ١٤٠ .

(٤) أبو المحاسن : النجوم حـ ٦ ص ٥٩١ .

(٥) ابن حجر : إنباء الغمر ص ١٠٦ ب ، صالح بن يحي ص ٢٢٢ ، المقريزى : السلوك حـ ٤ ص ٣٦٨ ب .

(٦) العينى : عقد الجمان حـ ٢٥ ق ٣ ص ٥٧٣ — ٥٧٤ .


قبرس في العصور الوسطى

بالسفن صباح اليوم التالى عند مكان يسمى رأس العجوز ومعهم ثلاثون أسيرا[١].
على أن السفن الإسلامية سرعان مافوجئت بأسطول قبرسى مكون من ثلاثة عشرة سفينة[٢] ، فتظاهرت السفن القبرسية بالفرار والهزيمة من غير حرب لتستدرج السفن الإسلامية إلى عرض البحر ، ولكن المسلمين لم تجز عليهم تلك الخدعة فأرسوا سفنهم على ساحل الملاحة[٣].

وكانت خطة جانوس ملك قبرس ترمى إلى توزيع قوى المسلمين بين البر والبحر ، فبينما أرسل أسطوله ليهاجم السفن الإسلامية ، بعث أخاه على رأس جيش عدته ثلثمائة فارس لمناوشة المسلمين وليحول دون نزولهم إلى البر[٤]. فلما وجد المسلمون أنفسهم أمام أعدائهم برا وبحراً استعجلوا أمرهم وكان الأمر «أعجل من ذلك» على قول صالح ابن يحيى[٥] ، فبادروا بإنزال مايقرب من ألف رجل إلى البر كلهم مشاة لصعوبة إنزال الخيل فى سرعة . وأسرع هؤلاء إلى قتال خيالة الفرنج فقتلوا منهم كثيرين وقطعوا رؤوسهم وعلقوها فى أسنة الرماح حتى يراها زملاؤهم بالسفن فيطمئنوا وتقوى هممهم . وبذلك استطاع مشاة المسلمين أن ينزلوا الهزيمة بفرسان الفرنج[٦]، ثم تقدمت السفن نحو مراكب القبارسة التى عادت إلى الظهور من جديد بعد أن فشلت فى استدراج السفن الإسلامية إلى عرض البحر ، وتبادل الفريقان إطلاق المدافع حتى اضطر القبارسة إلى الفرار ،

---

(١) صالح بن يحيى : تاريخ بيروت ص ٢٢٢ ، المقريزى : السلوك حـ ٤ ص ٣٦٨ ب ، العينى ص ٥٧٤ .

(٢) هـذا حسب قول صالح بن يحيى الذى كان شاهد عيان (ص ٢٢٢) . أما العينى (ص ٥٧٤) فقال إنها إحدى عشرة سفينة .

(٣) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة حـ ٦ ص ٥٩١ .

(٤) ابن حجر : إنباء الغمر حـ ٢ ص ١٠٦ ب .

(٥) صالح بن يحيى : تاريخ بيروت ص ٢٢٣ .

(٦) نفس المرجع والصفحة .

على حين كان المسلمون أحرص من أن يغريهم النصر فيطاردوهم فى عرض البحر تاركين بقية الجند فى البر [١] .

و بعد هذه الانتصارات السريعة الموفقة ، أمر الأمير جرباش بإنزال الخيل إلى البر ، فشن المسلمون الغارات على الضياع ، وأخذوا يحرقون القرى و يقتلون و يأسرون أهلها حتى ضاقت مراكبهم عن حمل الأسرى وامتلأت أيديهم بالغنائم [٢] . واستطاع المسلمون أن يقبضوا على أمير الملاحة واسمه «عين الغزال» فقتلوه إنتقاما لما أنزله بالكثيرين من أسرى المسلمين [٣] ؛ ثم إستولوا على مخزن كبير للذخيرة [٤] .

و بعد ذلك توجه المسلمون إلى ليماسول فوصلوها فى ١٥ أغسطس سنة ١٤٢٥م الموافق آخر رمضان سنة ٨٢٨ هـ ، وهناك نزل إلى البر ما يقرب من بمائة وخمسين من المقاتلين ومعهم بعض المماليك السلطانية . فلما أصبح الصباح وصلوا صلاة العيد ، بذلوا كل ما أوتوا من جهد فى الإستيلاء على حصن المدينة ، وهو ذلك الحصن الذى لم يوجد له نظير فى الجزيرة كلها من حيث قوة المناعة ومتانة التحصين [٥] . واستطاع المسلمون بعد جهد عنيف الإستيلاء عليه فى نفس اليوم « وهو الأمر الذى لم يكد فى حسبانهم [٦] » ، فأسروا وقتلوا كثيرين ثم رفعوا الراية السلطانية عليه بعد أن هدموا وأحرقوا جزءاً كبيراً منه [٧] . وفى تلك الأثناء وصل إلى معسكر المسلمين خمسة من الأسرى إستطاعوا الفرار من يد

---

(١) نفس المرجع والصفحة .

(٢) المقريزى : السلوك حـ ٤ ص ٣٦٨ ب ، أبو المحاسن : النجوم حـ ٦ ص ٥٩٢ .

(٣) ابن حجر : إنباء الغمر حـ ٢ ص ١٠٦ ب ، خليل بن شاهين ص ١٤١ .

(٤) صالح بن يحيي : تاريخ بيروت ص ٢٢٤ ، ابن حجر ص ١٠٦ ب ، العينى حـ ٢٥ ق ٣ ص ٥٧٥ .

(٥) العينى : عقد الجمان حـ ٢٥ ق ٣ ص ٥٧٥ ، خليل بن شاهين ص ١٤١ .

(٦) صالح بن يحيي : تاريخ بيروت ص ٢٢٤ .

(٧) العينى : حـ ٢٥ ق ٣ ص ٥٧٥ ، خليل بن شاهين ص ١٤١ .

العدو فأخبروا الأمير جرباش بأن صاحب البندقية أرسل نجدة إلى جانوس كما أرسل إليه ثلاثة وأربعين صندوقاً بها سيوف وخوذ ... عدا سبعمائة رمح وكمية كبيرة من القلاع والسروج وغير ذلك[١]. فلما سمع المسلمون ذلك بدأوا يفكرون في العودة ورأى الأمير جرباش أن « الأمر قد أخذ حده[٢] » . لا سيما بعد أن بلغه الشيء الكثير عن إستعدادات جانوس[٣] . كذلك خشي جرباش ضجر العساكر الإسلامية لطول إقامتهم[٤] ، فجمع رجاله وسفنه وترك ليماسول ، ولكن لا إلى مصر مباشرة بل إلى جهة الباف بغية الإغارة عليها ؛ غير أن الرياح لم تساعد على تحقيق ذلك الغرض ، فأبحرت السفن إلى مصر[٥] .

وظل السلطان طوال تلك المدة يترقب الحملة ، وفي يوم ٢٤ أغسطس سنة ١٤٢٥ وصلته رسالة كتبها الأمير جرباش إلى نائب طرابلس ليبلغها إلى السلطان مبشرا إياه بالفتح . ففرح برسباى أشد الفرح ودقت البشائر بالقلعة وقرئ الكتاب الوارد بالنصر في جامع عمرو وزينت القاهرة وأرسلت البشائر إلى الاسكندرية والبحيرة والوجه القبلي[٦] .

وبينما الناس مستبشرون ، وقد عمهم الفرح وشملهم السرور، إذا بالأخبار تأتي بعد أربعة أيام من ورود البشارة بقدوم المسلمين إلى الطينة[٧] ؛ فوقع الخبر على الجميع وقع الدهشة وكثرت الإشاعات والأقاويل وأخذ الجميع يتساءلون عن السبب

---

(١) العيني : عقد الجمان حـ ٢٥ ق ٣ س ٥٧٦ .

(٢) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة حـ ٦ ص ٥٩٢ .

(٣) المقريزي : السلوك حـ ٤ ص ٣٦٨ ب ، النجوم حـ ٦ س ٥٩٢ .

(٤) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة حـ ٦ ص ٥٩٢ .

(٥) صالح بن يحيى : تاريخ بيروت ص ٥٢٤ . والباف تعريب بافوس في جنوب غرب قبرس .

(٦) المقريزي : السلوك حـ ٤ ص ٣٦٨ ب .

(٧) الطينة بلدة بين تنّيس والفرما بالوجه البحري .

فى رجوع الغزاة بهذه السرعة و بدون سابق تنبيه[١]، ولكن سرعان ماوضحت الحقيقة وعلم الجميع أن الغزاة رجعوا رجوع الظافر المنتصر . ودخلت الجيوش الظافرة القاهرة (٩ سبتمبر) و باتوا ليلتهم بساحل بولاق حتى أصبح الصباح فتوجهوا إلى القلعة و بصحبتهم ما يزيد عن الألف أسير[٢] ، على حين حملت الغنائم على مائة وسبعين جمالا وأربعين بغلا وعشرة جمال مابين خرج وصناديق وحديد وآلات حربية وأوانى[٣]. وكان ذلك يوماً من أبهج الأيام التى مرت بالقاهرة ، إذ خرج جميع الناس لمشاهدة الموكب الرائع الذى لم يسبق لهم أن شهدوا مثله ، فازدحمت الحوانيت والمنازل بالمتفرجين ، وأكتظت الطرقات والشوارع بالمشاهدين[٤] .

ثم أمر السلطان ببيع الأسرى على أن يراعى عند البيع عدم التفرقة بين الأولاد وآبائهم ولا بين القريب وقريبه ، فتولى بيعهم الأمير إينال الششمانى ، وأقبل الناس على اختلاف طبقاتهم من أمراء وتجار وعوام على شرائهم[٥] ، وقوّمت بقية الأصناف من جوخ وصوف وقماش[٦] ، وأنفق السلطان ثمنها على المجاهدين فأعطى لطائفة منهم سبعة دنانير ونصف لكل جندى ولطائفة أخرى ثلاثة دنانير ونصف[٧] .

وهنا يستطيع الباحث أن يقارن بين الحملة القبرسية على الاسكندرية والحملة المملوكية الثانية على قبرس زمن برسباى ، إذ الواضح أن المماليك انتقموا لما حل

(١) أبو المحاسن : النجوم ﺣ ٦ ص ٥٩٠ .
(٢) المقريزى : السلوك ﺣ ٤ ص ١٣٦٩ ، أبو المحاسن : النجوم ﺣ ٦ ص ٥٩٣ ، العينى عقد الجمان ﺣ ٢٥ ق ٣ ص ٥٧٦ .
(٣) المقريزى : السلوك ﺣ ٤ ص ١٣٦٩ ، أبو المحاسن : النجوم ﺣ ٦ ص ٥٩٣ .
(٤) أبو المحاسن : النجوم ﺣ ٦ ص ٥٩٣ .
(٥) نفس المرجع والصفحة .
(٦) العينى : عقد الجمان ﺣ ٢٥ ق ٣ ص ٥٧٧ .
(٧) المقريزى : السلوك ﺣ ٤ ص ١٣٦٩ ، أبو المحاسن : النجوم ﺣ ٦ ص ٥٩٤ .

بالاسكندرية على يد بطرس لوزجنان . فإذا كان القبارسة أعملوا السيف فى كل من صادفوهم بالاسكندرية حتى تركوا المدينة مفروشة بجثث الضحايا على قول النويرى ، فإن جملة من قتلهم المماليك من القبارسة فى غزوتهم الثانية هذه بلغت خمسة آلاف[١] ، وإذا كان بطرس أسر عدداً عظيما من أهل الاسكندرية[٢]. فإن المماليك أسروا فى هذه الغزوة أكثر من ألف قبرصى[٣]، وإذا قرر النويرى أن سفن بطرس لوزجنان امتلأت بالغنائم من الاسكندرية حتى أخذ الصليبيون يلقون ببعض ما تحمله السفن تسهيلا لإبحارها[٤] ، فإن أبا المحاسن قرر كذلك أن كثيراً من المسلمين فى غزوة قبرص الثانية ألقى ما بأيديه إلى الأرض لكثرة المغانم[٥] . وهكذا لم يكد يمضى على حملة الاسكندرية ستون عاما حتى انقلبت الأوضاع ودارت الدوائر فانتقم المسلمون لأنفسهم أشد انتقام .

ولكن برسباى لم يكن يقنع بذلك ، لأنه لم يصب إلى إرسال حملة لمجرد السلب والنهب والعودة ببضع مئات من الأسرى وبعض أكوام من الغنائم . ولو كان برسباى يبغى مجرد الاغارة للسلب والنهب ثم الفرار لانطبق عليه ماقاله النويرى عن بطرس من «أنه فعل فعْل اللصوص لا الملوك ، لأن الملوك إذا ملكوا بلدا صمدوا فيه ودافعوا عنه»[٦]. والحقيقة أن برسباى لم يكن يود أن تعود جيوشه من قبرص قبل أن تخضع الجزيرة نهائيا[٧]. ولذا لم يكن عجباً أن يبدو السلطان على الرغم من عودة رجاله ظافرين غير قانع بتلك النتيجة ، وأن يقرر إرسال حملة ثالثة إلى قبرص فى العام التالى .

---

(١) ابن حجر : إنباء الغمر حـ ٢ ص ١٠٦ ب .
(٢) النويرى : الإلمام بالأعلام حـ ١ ص ٣٦٦ .
(٣) المقريزى : السلوك حـ ٤ ص ١٣٦٩ .
(٤) النويرى : الإلمام حـ ١ ص ٣٢٣ .
(٥) أبو المحاسن : النجوم حـ ٦ ص ٥٩٢ .
(٦) النويرى . الإلمام بالإعلام حـ ١ ص ٥١٦ .
(7) Ziada : The Mamluk Conquest of Cyprus, Part I, p. 99.

على أنه توجد أسباب أخرى دفعت برسباى إلى إرسال حملته الثالثة ، إذ عكف الجنويه على تحريض السلطان ضد قبرس وملكها لأنهم لم يغفروا لجانوس مهاجمة فاما جوستا ومحاولة استردادها منهم أوائل حكمه سنة ١٤٠٣[١] ، بل ظلوا يضمرون له الشر رغم صلحه معهم سنة ١٤٠٩ لخوفهم من سوء نياته إذا أصبح على شيء من القوة فى يوم ما[٢] . ويقال مثل ذلك بصدد أمير العلايا بالشاطىء الجنوبى لآسيا الصغرى إذ ألفى الأمير نفسه هدفاً لأطماع آل لوزجنان وآل قرمان ورأى فى مهاجمه السلطان قبرس تخفيفاً لبعض الضغط الواقع على إمارته من ناحيتين[٣] . يضاف إلى ذلك ما وصل إلى سمع السلطان من أن جانوس راسل ملوك الفرنج يستنصر بهم على المسلمين وأن ملك الكتيلان أرسل ابن أخيه على رأس عدة سفن لمساعدة ملك قبرس فيما عسى يقوم به من حرب دفاعية أو هجومية على دولة المماليك[٤] . والواقع إن جانوس استنجد بملوك أوربا ودولها ولكنه لم يفز بمعونة تذكر . ذلك أن أوان الحماسة الصليبية كان قد مضى وتولى وأخذت الدول الأوربية تتفرغ لمشاكلها العديدة ، بل ذهبت البندقية إلى أبعد من ذلك حين تنحت عن مساعدة جانوس ومنعت رجالها من التطوع فى صفوف القبارسة[٥] . ولم يستطع الإمبراطور حنا الثامن باليولوجس تقديم معاونة مالية إلى ملك قبرس بل اكتفى بالتوسط فى الصلح وأرسل رسولا إلى السلطان برسباى بهديه « ليشفع فى أهل قبرس » فلم يلتفت السلطان لشفاعته وأخذ الهدية[٦] . وبذلك لم يحصل جانوس على مساعدة تذكر اللهم سوى من فرسان رودس الذين

---

(1) Makhiaras ; p. 621.

(2) Idem ; p. 653.

(3) Ibid.

(٤) ابن حجر : إنباء الغمر حـ ٢ ص ١١١ ا .

(5) Ziada : The Mamluk Conquest of Cyprus ; p. 99.

(٦) المقريزى : السلوك حـ ٤ ص ٣٧٤ ا ، أبو المحاسن : النجوم حـ ٦ ص ٥٩٩ .

أمدوه ببعض سفن ورجال وذخيرة كما أمده على بك قرمان ببعض رجال حاربوا فى صفوفه [١] .

وعندما سمع برسباى باستنجاد جانوس بالدول الأوربية وبأنه يجد فى بناء المراكب والسفن بجزيرة قبرص ، خشى أن تكون نيته متجهة إلى محاكاة سلفه بطرس الأول لوزجنان وتكرار مأساة الإسكندرية . ولم يكن برسباى مبالغاً فى ظنه هذا ، إذ من غرائب الأمور أن هذه الفكرة طرأت فعلا لجانوس فى ذلك الوقت [٢] . وأسرع السلطان من جهته فى بناء السفن وجد فى ذلك وبذل الأموال الطائلة [٣] ، كما أرسل إلى البلاد الشامية يأمر بعمارة السفن فأنشئت فى بيروت سفينتان كبيرتان ؛ وكانت الأوامر تصل إلى بيروت تطلب الإسراع فى انجازهما وإحضارهما إلى ثغر دمياط [٤] .

وفى بولاق إجتمعت جموع المجاهدين فعرضهم السلطان ووزع عليهم الأموال فى يوم حافل تجلت فيه الحماسة الدينية ، واشتدت رغبة الناس فى الجهاد حتى اضطر السلطان إلى الإعتذار إلى كثيرين بأن السفن لم يعد فيها متسع لهم [٥] . وعين السلطان عدداً كبيراً من الأفراد للذهاب مع الحملة ، وعهد بقيادة الجيوش البرية إلى الأمير تغرى بردى المحمودى وبقيادة القوات البحرية إلى الأمير اينال الجكمى ، وحدد اختصاصات كل منهما « حتى لا يعارض أحدهما الآخر [٦] » .

---

(١) أبو المحاسن : النجوم حـ ٦ ص ٦٠٦ — ٦٠٧ .

(2) Makhiaras ; p. 639.

(٣) ابن حجر : إنباء الغمر حـ ٢ ص ١١١ ا .

(٤) صالح بن يحيى : تاريخ بيروت ص ٢٢٦ . ويلاحظ فى هـذه الحملة أن السفن التى صنعت بالشام أحضرت إلى مصر ، ومن الشواطىء المصرية توجهت الحملة إلى قبرص مباشرة ، بخلاف ما حدث فى الحملتين السابقتين من مرور السفن المصرية على بلاد الشام لتأخذ معها السفن الشامية .

(٥) أبو المحاسن : النجوم حـ ٦ ص ٦٠٠ .

(٦) السيوطى : غزوات قبرص وردوس ص ٦ .

ولم تكن القوات التى أسهمت فى تلك الحملة مصرية فحسب ، بل اشترك فيها غزاة جاءوا من دمشق وصفد وغزة وطرابلس وغيرها من بلاد الشام[١] .

ثم أخذ الجميع يتوجهون إلى جهة الإسكندرية على دفعات [٢] ، فكان يوم خروجهم من ساحل بولاق يوما مشهوداً تجمع فيه الناس من مختلف النواحى والجهات لمشاهدتهم ، وازدحمت البيوت بالمتفرجين حتى أنه « لم يقدر على بيت فيها إلا من يكون له جاه عريض أو مال كبير [٣] » .

ولما وصل جميع الغزاة إلى الإسكندرية ، وتم إعداد السفن وتزويدها بالمياه العذبة وغيرها من الضروريات ، أقلعت الحملة من الإسكندرية فى أول يونيو وعدتها أكثر من مائة سفينة تحمل نحوا من خمسة آلاف ، منهم ألف من مماليك السلطان ، ومن مماليك الأمراء المصرية نحو ألف آخر والباقى من الجند والمتطوعين [٤] . واتجهت الحملة أولا نحو رشيد لتضم إليها خمس سفن راسية هناك ، ولكن لم تكد الحملة تبرح الإسكندرية حتى فوجئت برياح قوية جعلت السفن تصطدم بعضها ببعض ، فانكسر منها أربع وغرق عشرة أنفس ومائة فرس[٥] . وعندما بلغ ذلك الخبر مسامع السلطان استولى عليه القلق « بحيث أن القلعة ضاقت عليه [٦] » ، وبلغ من تخوفه وقلقه أنه كاد يؤجل الحملة للعام التالى ، ولكنه عاد وأرسل أحد أمرائه ليقف على حقيقة الأمر ويأخذ رأى أمراء الحملة فى السفر ، ويخبر أصحاب المراكب التى كسرت أنهم مخيرون بين

---

(١) العينى : عقد الجمان حـ ٢٥ ق ٣ ص ٥٧٨ .

(٢) أبو المحاسن : النجوم حـ ٦ ص ٦٠١ .

(٣) نفس المرجع ص ٦٠١ — ٦٠٢ .

(٤) العينى : عقد الجمان حـ ٢٥ ق ٣ ص ٥٧٨ .

(٥) ابن حجر : إنباء الغمر حـ ٢ ص١١١١ ، صالح بن يحيى : تاريخ بيروت ص٢٢٧ ، المقريزى حـ ٤ ص ١٣٧٤ .

(٦) أبو المحاسن : النجوم حـ ٦ ص ٦٠٢ .

الرحيل إلى قبرس أو العودة إلى مصر . وعاد ذلك الأمير إلى السلطان وأخبره أن ما حدث بالمراكب يسهل ترميمه ، وأن الأمراء مجمعون على السفر والغزو وعندئذ هدأ السلطان واطمأن[١] . ولكن حدث بعد أن أصلحت السفن المعطوبة وبدأت الحملة سيرها أن هاجمتها خارج الإسكندرية بعض السفن القبرسية التى أرسلها جانوس لتقطع الطريق على المسلمين ، فترامى الفريقان فى عرض البحر بالنشاب ، حتى ركن القبارسة إلى الفرار بعد أن قتل من المسلمين عشرة رجال[٢] .

ثم بلغت الحملة قبرس فرست السفن عند لنديا على بعد عدة أميال من ليماسول[٣] . وفى الحال نزلت القوات البرية إلى البر حيث ضربت خيامها ، على حين بقيت القوات البحرية فى السفن على أتم استعداد لمواجهة أى هجوم بحرى[٤] . واختار المسلمون ألا يضيعوا الوقت فاسرعت فصيله منهم إلى مهاجمة ليماسول حيث وجدوا حصن المدينة المنيع الذى دمروه وأحرقوه فى العام السابق قد حصن من جديد وشحن بالرجال وحفر حوله خندق عميق[٥] . على أن ذلك لم يزد المسلمين إلا إصراراً وعناداً فأحاطوا به من كل جهة ، ونصبوا السلالم واستطاعوا تسلق جدار البرج بفضل شجاعة يشبك قراقوش « وهو من الفرسان المعدودين » . وعندئذ دب الفزع فى قلوب القبارسة ففروا تاركين خلفهم قدور القار الذى غلوه ليصبوه على المسلمين[٦] ؛ فاستولى المسلمون على القلعة ورفعوا عليها الراية

---

(١) أبو المحاسن : النجوم ح ٦ ص ٦٠٢ — ٦٠٣ ، العينى : عقد الجمان ح ٢٥ ق ٣ ص ٥٧٨ — ٥٧٩ .

(٢) ابن حجر : إنباء الغمر ح ٢ ص١١١ ا ، المقريزى : السلوك ح ٤ ص ٣٧٤ب

(3) Makhjaras ; op. cit. p 653.

(٤) العينى : عقد الجمان ح ٢٥ ق ٣ ص ٥٧٩ .

(٥) ابن حجر : إنباء الغمر ح ٢ ص ١١١١ ، العينى : عقد الجمان ح ٢٥ ق ٣ ص ٥٧٩ .

(٦) ابن حجر : إنباء الغمر ح ٢ ص ١١١ ا .

السلطانية[١] ، ثم أوسعوا مدينة ليماسول نهبا وهدما وإحراقا[٢] . وكان لنبأ استيــلاء المسلمين على ليماسول أثر سيء جداً فى نفوس القبارسة عامة والملك جانوس خاصة[٣] . وفى تلك الأثناء دخلت ميناء ليماسول سفينة قبرسية مستعدة للقتال ، فأسرع الأمير تغرى بردى على رأس سفينتين لمطاردتها فولت السفينة القبرسية الأدبار والمسلمون يراقبونها ويتبعونها عن كثب حتى رأوها ترسو وتنزل بعض رجالها عند موضع قريب ، فانطلق فرسان المسلمين إليهم،وقتلوا منهم خمسة علقوا رؤوسهم على جدار قلعة ليماسول[٤] .

وبعد أن قضى المسلمون فى ليماسول ستة أيام « قتلوا فيها كثيراً من الإفرنج »[٥] ، أخذوا يستعدون للزحف براً لمنازلة ملك قبرس فى الميدان ، إذ سمعوا من بعض البنادقة أنه على أهبة للقائهم فى خمسه آلاف فارس وسبعة آلاف راجل[٦] . والواقع إن جانوس جمع ما استطاع جمعه من القوة ورباط الخيل وخرج قاصداً خيروكيتا (Kherokita) الواقعة فى الشمال الشرق من ليماسول ، وعسكر فى سهل متسع استعداداً للقاء المغيرين[٧] . ورأى المسلمون قبل أن يبرحوا ليماسول أن يعطوا جانوس فرصة نهائية للصلح ، فأرسلوا إليه يقترحون المفاوضة ويعرضون عليه أن يأتى إليهم بنفسه حتى يتعهد أمامهم جميعاً بالتخلى عن مساعدة القراصنة وتشجيعهم على الإغارة على بلاد السلطان فى المستقبل ، على أن يتعهدوا له من جانبهم بمغادرة الجزيرة فوراً[٨] . لـكن جانوس « أخذته حمية الجاهلية » ، فقتل

---

(١) العينى : عقد الجمان حـ ٢٥ ق ٣ ص ٥٨٠ .

(٢) المقريزى : السلوك حـ ٤ ص ٣٧٤ ب .

(3) Makhiaras ; op. cit. p. 655.

(٤) العينى : عقد الجمان حـ ٢٥ ق ٣ ص ٥٨٠ .

(٥) المقريزى : السلوك حـ ٤ ص ٣٧٤ ب .

(٦) ابن حجر : إنباء الغمر حـ ٢ ص ١١١ ا .

(7) Makhiaras ; op. cit. p. 655.

(8) Idem ; pp. 655–657.

الرسول الذى حمل إليه تلك المقترحات ، وأخـذ يعرض قواته ويعد نفسه للقتال [١] .

لم يبق أمام المسلمين بعد ذلك سوى القتال ، فأخذوا يتأهبون للمعركة الفاصلة المنتظرة . ويظهر أن النية اتجهت أول الأمر إلى سير القوات البرية صوب الملاحة على حين تظل السفن راسيـــة فى ميناء ليماسول ؛ لـكن الأمير تغرى بردى المحمودى لم يوافق على الفصل بين القوات البرية والبحرية على تلك الصورة ، إذ رأى أن بقاء السفن الإسلامية فى ليماسول يعرضها لهجوم الأسطول القبرسى فى غيبة الجيش ، وأنه إذا انـكسرت السفن الإسلامية يصبح الجيش الإسلامى محصوراً فى الجزيرة [٢] . ثم استقر الرأى أخيراً على أن يسير الأمير تغرى بردى المحمودى بالجيش براً وأن يسير الأمير إينال الجكمى بالسفن بحراً على أن يكون اجتماع الفريقين بميناء الملاحة [٣] ولا شك فى أن هذه الخطة التى ضمنت دوام القرب والإتصال بين الجيش والأسطول « كانت من أكـبر المصالح » ، على قول أبى المحاسن [٤] .

أما القوات البرية فسارت نحو الملاحة فى غير نظام أو أهبة للقتال ظناً أن القوات القبرسية بعيدة تفصلها عنهم مسيرة أيام [٥] . وكان الوقت صيفاً والحرارة شديدة ، والشهر رمضان والمسلمون صيام ، فعانى الجند ألوان المشقات فى سيرهم وامتلأت معداتهم الخاوية بالنقمة على القبارسة ، حتى غـدوا يتمنون لقاءهم فى

---

(١) ابن حجر : إنباء الغمر حـ ٢ ص ١١١ ب ، خليل بن شاهين : زبدة كشف الممالك ص ١٤٢ .

(٢) أبو المحاسن النجوم حـ ٦ ص ٦٠٥ ، العينى: عقد الجمان حـ ٢٥ ق ٣ ص ٥٨١ .

(٣) العينى : عقد الجمان حـ ٢٥ ق ٣ ص ٥٨١ .

(٤) أبو المحاسن : النجوم حـ ٦ ص ٦٠٥ .

(٥) نفس المرجع والصفحة .

سرعة(١). ثم لم يطل بهم السير حتى تحققت تمنياتهم إذ التقوا بطلائع الجيش القبرسي وعدتها نحو ثلثمائة فارس وجمع كبير من المشاة، فلم يستطع القبارسة الثبات وولوا على أعقابهم مدبرين(٢). ووصلت الأخبار إلى جانوس بأن المسلمين أصبحوا قاب قوسين أو أدنى من معسكره فى خيروكتيا، فقسم جيشه إلى وحدات بعضها مائة جندى والبعض الآخر خمسون جندى لتنظيم الإشتباك مع العدو(٣). ولكن جيش جانوس كان مؤلفاً من جند حديثى عهد بشئون الحرب والنظام(٤)، فرفض بعضهم إطاعة أوامر رؤسائهم جهلا بنظم الحرب وأعلنوا أنهم لا يسمعون إلا أوامر الملك وحده(٥).

أما المماليك فلجأوا فى خطتهم إلى محاصرة الجيش القبرسى، فاتجه جزء منهم إلى الناحية الشرقية لإتمام الحصار، على حين ظهرت بقية المسلمين فوق التلال التى تشرف على السهل الواسع حيث معسكر جانوس(٦). ثم تقدم المماليك فى سرعة نحو خصمهم، الذى جمع إليه فضلا عن القبارسة عدداً كبيراً من الكتيلان والروادسة والتركمان الذين أرسلهم على بك قرمان نجده لجانوس(٧)، حتى قدر بعض المؤرخين ذلك العدد بعشرة آلاف نفس(٨). ولكن الكثرة لم تفت فى عضد المسلمين الصائمين، فحملوا على عدوهم حملة ولوا أمامها الأدبار(٩). ودهش المماليك عندما رأوا ذلك الجمع على كثرته يتراجع فى سرعة، وظنوا أن

(١) ابن حجر : إنباء الغمر حـ ٢ ص ١١١ ب .
(٢) العينى : عقد الجمان حـ ٢٥ ق ٣ ص ٥٨١ .

(3) Makhiaras ; op. cit. p. 661.

(4) Idem ; p. 663.

(5) Idem ; p. 661.

(6) Makhiaras ; op. cit. p. 661.

(٧) المقريزى : السلوك حـ ٤ ص ٣٧٤ ب ، أبو المحاسن حـ ٦ ص ٦٠٧ .
(٨) العينى : عقد الجمان حـ ٢٥ ق ٣ ص ٥٨١ .
(٩) ابن حجر : نباء الغمر حـ ٢ ص ١١١ ب .

الأمر خدعة وتطبيق لخطة مرسومة ، فأخذوا يتقدمون فى حذر شديد[1] ؛ حتى إذا تأكدوا أن القبارسة ينهزمون حقيقة لا خدعة اشتدوا فى القتال فحمى وطيس المعركة حتى نهاية اليوم ، وظل السيف يعمل فى صفوف القبارسة « وأسنة الرماح تطعن فى أعضائهم فصارت كثرتهم قلة وقوتهم ضعفا[2] » .

ورأى جانوس ما حل بجيشه ، وأن رجـاله فى إدبار ، فحاول الهروب فلم يتمكن[3] لأنه جرح فى ثلاثة مواضع[4] ، فارتبك وسقط عن فرسه وأركبه أصحابه فـكبا به الفرس ثانيا . ورآه بعض المماليك ، فهجموا عليه يريدون قتله دون أن يعلموا من هو فصاح جانوس بالعربية « أنا الملك[5] » فأسره المسلمون ووضعوه فى حراسة الأمير تغرى بردى المحمودى[6] .

أما القتلى من القبارسة فى هذه الموقعة « فيستحى من ذكرهم لـكثرتهم » وقدر بعض الثقات الذين شهدوا الموقعة من أولها إلى آخرها عدد القتلى بأكثر من ألفى قتيل من الفرنج[7] ، على حين قدر آخرون ذلك العدد بستة آلاف[8] . وممن وقع فى يد المسلمين فى تلك الواقعة شقيق جانوس فقتلوه[9] . ثم وجد الجند

---

(1) Makhiaras ; p. 663

(٢) العينى : عقد الجمان حـ ٢٥ ق ٣ ص ٥٨١ .

(٣) ابن حجر : إنباء الغمر حـ ٢ ص ١١١ ب .

(٤) العينى : عقد الجمان حـ ٢٥ ق ٣ ص ٥٨١ .

(5) Makhiaras ; p. 665.

وهـذه الرواية الغريبة التى يرويها مخايراس — هو شاهد عيان — ذكرها أيضاً ابن حجر (إنباء الغمر حـ ٢ ص ١١١ ب) ووصفها وصفاً ينطبق على وصف مخايراس بدقة . كذلك ذكرها السيوطى (غزوات ص ٩) التى يبدو أنه أخذها عن ابن حجر .

(٦) المقريزى : السلوك ص ٣٧٤ ب ، أبو المحاسن : النجوم ص ٦٠٧ . ويقول خليل ابن شاهين (ص ١٤٣) أن المسلمين أودعوا جانوس بعد ذلك بمراكبهم .

(٧) أبو المحاسن : النجوم حـ ٦ ص ٦٠٧ .

(٨) ابن حجر : إنباء الغمر حـ ٢ ص ١١١ ب ، خليل بن شاهين : زبدة ص ١٤٣ .

(٩) العينى : عقد الجمان حـ ٢٥ ق ٣ ص ٥٨١ .

جثة الرسول المصرى الذى ذهب من عند الأمير تغرى بردى لمفاوضة جانوس فى الصلح معلقة على باب خيروكيتا فأنزلوها ودفنوها [١] .

وعندما جن الليل بات المسلمون على أهبة [٢]، فلما أصبح الصباح شنوا الغارات على الجهات المجاورة فأوسعوها نهبا وسلبا وقتلا ، وصعد بعض الجند على جبل الصليب حيث أشعلوا النار فى الكنيسة [٣] . وأخيرا إتجه الجند نحو الملاحة للإتصال بالسفن حسب الاتفاق ، فزفّوا إلى زملائهم بشرى الظفر المبين [٤] .

غير أن الأخبار ظلت ترد على المسلمين وهم بالملاحة بأن لملك قبرس أخا غير الأخ المقتول ، وأن ذلك الأخ الآخر — وهو أسقف نيقوسيا — حصّن نيقوسيا — عاصمة الجزيرة — وجمع أشتات الجند للأخذ بالثأر . لذلك إعتزم المسلمون القضاء على ذلك الخطر الجديد فى أوائله ، فسار الأمير تغرى برى المحمودى على رأس جنده إلى نيقوسيا على حين ظل الأمير إينال الجكمى على رأس السفن بالملاحة « لحفظ جانب البحر [٥] » . ولم تكد القوات البرية تسير نحو نيقوسيا حتى ظهرت طلائع الأسطول القبرسى على مقربة من الملاحة [٦] . وكانت الخطة التى رسمها الملك جانوس منذ رفض المفاوضة فى الصلح هى أن يهاجم الأسطول القبرسى السفن الإسلامية فى الوقت الذى يشتبك هو مع الجيوش المملوكية براً حتى يقع المسلمون بين نارين . ولكن الأسطول القبرسى تأخر عن الظهور فى الوقت المناسب و إلى ذلك التأخر يعزو مخايراس هزيمة جانوس فى خيروكتيا [٧] .

---

(1) Makhiaras ; op. cit. p. 663.

(٢) ابن حجر : إنباء الغمر حـ ٢ ص ١١١ ب .

(٣) خليل بن شاهين : زبدة ص ١٢٣ ، العينى : حـ ٢٥ ق ٣ ص ٥٨١ .

(٤) ابن حجر : إنباء الغمر حـ ٢ ص ١١١ ب .

(٥) العينى : عقد الجمان حـ ٢٥ ق ٣ ص ٥٨٢ .

(٦) أبو المحاسن : النجوم حـ ٦ ص ٦٠٧ .

(7) Makhiaras ; p. 767 .

وكان الأسطول القبرسى مكونا من نحو خمس عشرة سفينة [١] ، فأرسل الأمير إينال الجكمى إلى الأمير تغرى بردى المحمودى يخبره بظهور الطلائع القبرسية حتى يعود لمساعدته ، وعندئذ بعث تغرى بردى معظم من معه من المشاة والأمراء وهو آمن من ناحية القبارسة ، لإنهيار مقاومتهم بعد أسر الملك واكتفى هو بستين فارسا زحف بهم على نيقوسيا [٢] . وكانت المعركة البحرية التى نشبت أخيراً بين الفريقين عنيفة وطويلة ، إذ يظهر أن السفن القبرسية لم تعلم بما حل بالقوات البرية من هزيمة ولم يصلها خبر وقوع الملك جانوس فى أسر المسلمين فثبتت فى القتال وحاربت فى عزم وإصرار [٣] إلى صباح اليوم التالى (١١ يوليو سنة ١٤٢٦) . أما المسلمون فقد أبلوا فى تلك المعركة بلاءاً حسنا إذ أمطروا سفن القبارسة وابلا من سهامهم حتى إنتهى الأمر بأسر إحدى السفن القبرسية وقتل جميع رجالها على حين فرت بقية السفن إلى عرض البحر بعد أن قتل من رجالها ما يزيد على مائة وسبعين نفسا [٤] . ويقول مخايراس إن سبب تراجع السفن القبرسية هو أن المسلمين حملوا جانوس على كتابة خطاب إلى قائد الأسطول يأمره بالرجوع فرجع [٥] .

أما الأمير تغرى بردى المحمودى فسار على رأس فرسانه إلى نيقوسيا ومر الفرسان فى طريقهم على بوتاميا فأحرقوها [٦] ، كما ظلوا طوال سيرهم يقتلون

---

(١) هـذا ما ذكره العينى (عقد الجمان جـ ٢٥ ق ٣ ص ٥٨٢) ؛ أما أبو المحاسن (النجوم جـ ٦ ص ٦٠٧) والمقريزى (السلوك جـ ٤ ص ٣٧٤ ب) فقد قدرا السفن القبرسية بأربع وعشرين سفينة .

(٢) العينى : عقد الجمان جـ ٢٥ ق ٣ ص ٥٨٢ .

(٣) ابن حجر : إنباء الغمر جـ ٢ ص ١١٢ ا .

(٤) العينى : عقد الجمان جـ ٢٥ ق ٣ ص ٥٨٢ — ٥٨٣ ، أبو المحاسن : النجوم جـ ٦ ص ٦٠٧ — ٦٠٨ .

(5) Makhiaras ; p. 667.

(6) Idem ; p. 669.

ويأسرون وينهبون [١] . وسمع شقيق الملك بتقدم المسلمين نحو العاصمة ، ففر إلى كيرينا ، بعد أن أخذ معه حنا ابن الملك جانوس وابنته وما استطاع حمله من الأموال والتحف الملكية [٢] . كذلك فر كثير من سكان العاصمة إلى كيرينا ، على حين حمل من بقى نساءهم وأطفالهم واحتموا بفندق البنادقة بالعاصمة علما منهم بأن البندقية فى حالة سلم مع المماليك وأنها سوف تمنعهم من دخول المدينة [٣] . ولكن للأسف « علق الرداء الجميل بالشوك » على قول مخايراس ، لأن البنادقة كانوا أول من شجع المماليك على دخول العاصمة القبرسية [٤] .

ودخل المسلمون عاصمة قبرس دخول الفاتح الظافر ، فنهبوا جانباً منها كما نهبوا قصر الملك [٥] . وفى يوم الجمعة صلى المسلمون صلاة الجمعة فى كنيسة المدينة بعد أن أذنوا للصلاة فى أبراجها [٦] . ونزل الأمير تغرى بردى المحمودى بقصر الملك حيث تقدم إليه أكابر المدينة وأساقفتها ورهبانها وقسيسوها ومعهم الإنجيل طالبين الأمان ، فأمنهم وأمر بأن ينادى فى أنحاء البلاد بالأمان وبأن الجزيرة « صارت من جملة بلاد السلطان الملك الأشرف برسباى » [٧] . وشدد الأمير تغرى بردى المحمودى فى طلب الأموال ، فاستدعى إليه موظفى الدواوين وسألهم عن أحوال الجزيرة وماليتها [٨] ، واتفق أعيان نيقوسيا وتجارها على أن يجمعوا

---

(١) المقريزى : السلوك حـ ٤ ص ٣٧٤ ب .

(2) Makhiaras ; p. 667.

(3) Idem ; p. 671.

(4) Ibid ويظهر أن المسلمين ترددوا أول الأمر قبل دخول نيقوسيا ، ويرجع مخايراس ذلك التردد إلى أن عظمة المدينة قد أخذتهم فوقفوا أمامها مذهولين . أما ابن حجر (حـ ٢ ص ١١٢ ا) فيقول أن سبب ترددهم هو قلة عددهم . ويبدو أن هذا الرأى الأخير أقرب إلى الصواب لأن كل المماليك الذين دخلوا نيقوسيا لم يتجاوز الستين كما ذكرنا .

(٥) ابن حجر : إنباء الغمر حـ ٢ ص ١١٢ ا .

(٦) نفس المرجع والصفحة .

(٧) العينى : عقد الجمان حـ ٢٥ ق ٣ ص ٥٨٣ .

(8) Makhiaras ; p. 671.

مالا للسلطان نظير الأمان الذى منحوه ، فقدموا إلى الأمير تغرى بردى بعض الأموال والتزموا بدفع الباقى ؛ هذا فضلا عما استولى عليه من خزانة الدولة فيما يبدو[١] . وصادف بعد قليل أن وصل الأمير تغرى بردى برمش ومعه بعض مماليك السلطان وكانوا لم يسمعوا بالأمان الذى سبق أن أعطاه الأمير تغرى بردى المحمودى للأهالى،فشرعوا فى النهب والأسر والقتل ، وأشعلوا النار فى قصر الملك حتى أن تغرى بردى المحمودى لم ينجح إلا بصعوبة شديدة[٢] . واعتبر المعاصرون من المسلمين ذلك العمل غلطة كبرى، لأن التصرف على ذلك الوجه « بعد الأمان غير جائز وليس شرطاً من شرايط الغزاة » على قول العينى[٣] .

لم يبق بعد ذلك كله سوى العودة إلى مصر فأخلى المسلمون نيقوسيا بعد أن مكثوا فيها يومين وليلة واحدة[٤] ، وشرعوا فى العودة إلى الملاحة حيث كانت بقية الحملة. وهناك أحصيت أعداد الأسرى فبلغت ثلاثة آلاف وسبعمائة نفس[٥] . غير أن الأراء اختلفت فى موضوع العودة إلى مصر ، فرأى البعض إرسال رسول إلى السلطان يخبره بالفتح و يستشيره فى أمر العودة على أن يظل المسلمون بقبرس حتى وصول رد السلطان ، ورأى البعض الآخر أن المقام بالجزيرة طال وأن العودة مباشرة أمر ضرورى ، و إذا رغب السلطان فى إرسال حملة رابعة لإستئصال بقية الفرنج فلا مانع من العودة من جديد[٦] . وتغلب الرأى الثانى فتجهز المسلمون للرحيل بعد أن مكثوا بالملاحة سبعة أيام « أراحوا فيها أبدانهم وأقاموا شعائر

---

(١) العينى : عقد الجمان حـ ٢٥ ق ٣ ص ٥٨٣ .

(٢) نفس المرجع والصفحة وكذلك Makhiaras ; p. 671 .

(٣) العينى : عقد الجمان حـ ٢٥ ق ٣ ص ٥٨٣ .

(٤) أبو المحاسن : النجوم حـ ٦ ص ٦٠٨ .

(٥) ابن حجر : إنباء الغمر حـ ٢ ص ١١٢ ا .

(٦) نفس المرجع والصفحة .

الإسلام من الصلاة والآذان ...»[١]، وفى تلك الأثناء أرسل أهل فاما جوستا يطلبون الأمان من المسلمين فأمنوهم[٢].

وسبقت أخبار الفتح سفن الغزاة إلى المياه المصرية ، إذ أرسل المسلمون أحد الأمراء ليبشر السلطان بالفتح ويعلمه أن الغزاة فى طريقهم إلى مصر و بصحبتهم ملك قبرس مأسورا[٣]. وكاد برسباى يطير من عظم السرور حتى رآه المؤرخ أبو المحاسن وهو يبكى من شدة الفرح فبكى الناس فرحا كذلك[٤]. وفى الحال دقت البشائر بقلعة الجبل ونودى بزينة القاهرة وأسواقها ومنازلها فزينت ، واستمرت الزينة حتى وقت دخول الغزاة[٥]. أما أهل القاهرة فأصبحوا كأنهم فى يوم عيد ، ونظم الشعراء القصائد العديدة فى التغنى بظفر المسلمين[٦]. ثم وصل الغزاة إلى الشواطىء المصرية أوائل أغسطس بعضهم إلى ثغر الإسكندرية و بعضهم إلى ثغر دمياط[٧]، وأمر السلطان بخروج أربعمائة مملوك وأربعة من أمراء الطبلخانات للقاء القادمين والترحيب بهم واستقبالهم وتوفير أسباب الراحة لهم وتشديد الحراسة على سفنهم بعد ترحيلهم مخافة أن تدهمها سفن الفرنجة[٨].

وفى أول أيام عيد الفطر، وصل الغزاة إلى ساحل بولاق (١٣ أغسطس) حتى إذا ما اكتمل عددهم ساروا إلى القلعة فى موكب حافل ، وأقبل الناس

---

(١) أبو المحاسن : النجوم حـ ٦ ص ٦٠٨ .

(٢) المقريزى : السلوك حـ ٤ ص ١٣٧٥ .

(٣) العينى : عقد الجمان حـ ٢٥ ق ٣ ص ٥٨٣ — ٥٨٤ .

(٤) أبو المحاسن : النجوم حـ ٦ ص ٦٠٩ ،

(٥) المقريزى : السلوك حـ ٤ ص ١٣٧٥ .

(٦) أبو المحاسن : النجوم حـ ٦ ص ٦٠٩ — ٦١٠ . ومنها القصيدة التى نظمها ابن الخراط وأنشدها بين يدى السلطان بحضره الأمراء ورجال الدولة وهى من ثلاثة وسبعين بيتاً مطلعها :

بشراك يا ملك الملوك الأشرف ... بفتوح قبرس بالحسام المشرف

(٧) أبو المحاسن : النجوم حـ ٦ ص ٦١١ .

(٨) المقريزى : السلوك حـ ٤ ص ١٣٧٥ ، أبو المحاسن : النجوم ص ٦١١ .

من ناحية لمشاهدة ذلك اليوم الموعود ، فلم يبق بالقاهرة وضواحيها شخص غائب عن طريق الموكب حتى سد الناس الشوارع والحارات[١]. ووافق ذلك اليوم وفاء النيل ستة عشر ذراعا فزاد سرور الناس وفرحهم[٢]. وشق موكب الغزاة وسط القاهرة فى نظام باهر « يذهل العقل »[٣]. فسار فرسان الغزاة فى المقدمة وتبعهم المشاة ووراء هؤلاء أحمال الغنائم على رؤوس الحمالين وظهور البغال والحمير وبينها تاج الملك جانوس وأعلامه منكسة . ومن بعد هؤلاء سار الرجال من الأسرى ثم السبى من النساء والصغار ، وفى ذيل الأسرى سار الملك جانوس ممتطيا « بغلا أعرجا » وهو مقيد بالقيود الحديدية ومعه اثنان من خواصه وحوله كبار أمراء الحملة ، الأمير إينال الجكمى عن يمينه والأمير تغرى بردى المحمودى عن يساره والأمير قرا مراد خجا الشعبانى أمامه[٤]. وعند باب القلعة أنزل جانوس عن مطيته فكشف رأسه وخر على الأرض فقبلها ، ثم سار فى قيوده حيث جلس السلطان فى مجمع حافل شمل شريف مكة وأكابر الأمراء والسفراء ومنهم رسل ابن عثمان ورسل صاحب تونس ورسل أمير التركمان ومماليك نواب البلاد الشامية ، وكان اتفاق حضور هذا الجمع من الرسل « من المستغرب »[٥].

ووصل جانوس إلى حضرة السلطان ، فأمر بتقبيل الأرض ، فقبلها ثم سقط مغشيا عليه ، حتى إذا ما أفاق قبل الأرض مرة أخرى . ثم تنحى جانوس جانباً ليستعرض السلطان الغنائم والأسرى[٦]. وحضر المؤرخ العينى ذلك المشهد فرأى

---

(١) ابن حجر : إنباء الغمر حـ ٢ ص ١١٢ ا .

(٢) أبو المحاسن : النجوم حـ ٦ ص ٦١٢ .

(٣) نفس المرجع والصفحة .

(٤) العينى : عقد الجمان حـ ٢٥ ق ٣ ص ٥٨٤ ، المقريزى : السلوك حـ ٤ ص ١٣٧٥ ، ٣٧٥ ب ، أبو المحاسن : النجوم حـ ٦ ص ٦١٢ — ٦١٤ .

(٥) ابن حجر : إنباء الغمر حـ ٢ ص ١١٢ ا ، المقريزى : السلوك حـ ٤ ص ٣٧٥ ب .

(٦) أبو المحاسن : النجوم حـ ٦ ص ٦١٤ .

الأسرى وهم يسيرون أمام السلطان طائفة بعد طائفة فضلا عن الغنائم من سائر الأصناف[١]، وبعد أن فرغ السلطان من ذلك كله أمر بإحضار جانوس إليه ثانياً فأتى وانحنى وقبل الأرض وغشى عليه مرة ثانية[٢]. ثم أفاق جانوس فأمر السلطان بإيقافه أمامه بعض ساعة حتى يتحقق من شكله، وبعد ذلك أمر بإيداعه أحد أبراج القلعة[٣].

ثم خلع برسباى الخلع السنية على الأمراء الذين اشتركوا فى الحملة، كما أمر فى اليوم التالى ببيع الأسرى والغنائم وتوزيع أثمانها على الغزاة ففرق بعض السبى على الأمراء، وجمع التجار لشراء الثياب والأقمشة والأثاث والأوانى وسائر الأمتعة وفى ذلك اليوم بطلت الأسواق حتى يتم بيع الغنائم[٤].

أما جانوس فقد ظل فى برج القلعة حتى أرسل إليه السلطان فى طلب الفدية فأجاب قائلا « مالى إلا روحى وهى بيدكم، وأنا رجل أسير لا أملك الدرهم الفرد، من أين تصل يدى إلى مال أعطيه لكم؟»[٥]. فغضب السلطان لذلك الجواب وأرسل إليه يهدده بالقتل إذا لم يبادر إلى دفع الفداء[٦]، وهو يجيب بمثل ما أجاب به أولا؛ فاستدعاه السلطان إلى حضرته أثناء توزيع بعض الأسرى فلما شهد الأسرى ملكهم على تلك الحال صرخوا بأجمعهم ووضعوا التراب على رؤوسهم[٧]. وأخذ السلطان يفاوض جانوس فى أمر فديته، وهدده بالقتل من

---

(١) العينى : عقد الجمان حـ ٢٥ ق ٣ ص ٥٨٤ . ويلاحظ أن هذا يختلف عما ذكره أبو المحاسن (حـ ٦ ص ٦١٤) من أن الغنائم عرضت على السلطان أولا ثم الأسرى بعد ذلك .

(٢) أبو المحاسن : النجوم حـ ٦ ص ٦١٤ .

(٣) العينى : عقد الجمان حـ ٢٥ ق ٣ ص ٥٨٤ ، المقريزى : السلوك حـ ٤ ص٣٧٥ب .

(٤) العينى : عقد الجمان حـ ٢٥ ق ٣ ص ٥٨٥ ، المقريزى حـ ٤ ص ٣٧٥ ب .

(٥) أبو المحاسن : النجوم حـ ٦ ص ٦١٦ .

(٦) المقريزى : السلوك حـ ٤ ص ٣٧٥ ب .

(٧) أبو المحاسن : النجوم حـ ٦ ص ٦١٦ ، المقريزى حـ ٤ ص ٣٧٥ ب .

جديد ، ولـكن جانوس لم يجب بأ كثر مما أجاب به أولا[١].

وحضر خصيصاً وقتذاك من الأسكندرية جماعة من قناصل الفرنج فالتزموا عن الملك بدفع الفديه للسلطان ولـكن دون أن يحددوا مبلغاً معينا[٢]. وقبل السلطان وساطة القناصل فأمر بإعادة ملك قبرس إلى محبسه وأرسل إليه بدلتين، كما أمر بتعيين مقدار من اللحم والطيور كل يوم لطعامه ، هذا عدا خمسمائة درهم ينفق منها على بقية حوائجه .[٣] وسمح له السلطان بالإجتماع بمن يختاره من الفرنج وبأن يقوم على خدمته جماعة من القبارسه.[٤] وظلت الرسل تتردد بينه و بين السلطان للإتفاق على تحديد مبلغ الفدية ، إذ صمم السلطان على خمسمائة ألف دينار[٥] فلم تزل الرسل والتراجمه تتردد بين الفريقين حتى قنع السلطان أخيراً بمبلغ مائتى ألف دينار يدفع منها جانوس مائة ألف عاجلا على أن يرسل النصف الباقى بعد عودته إلى بلاده[٦]. وشرط السلطان أن يكون

---

(١) أبو المحاسن : النجوم حـ ٦ ص ٦١٦ . وقد تواتر فى بعض المراجع العربيـة أن جانوس حين مثل بين يدى السلطان ولمس تشددة معه فى أمر الفدية ، أنشد أمامه الأبيات الآتية : —

يا ملـكا ملك الورى بحسامة	أنظر إلى برحمـة وتعطف
وأرحم عزيزا ذل وأمتن بالذى	أعطاك هذا الملك والنصر الوفى
إن لم تؤمنونى وترحموا غربتى	فبمن ألوذ ومن سـواكم لى يفى
فالله ينصركم ويخلد ملـكـكم	ويديم نصركم ليـوم الموقف

ويقول خليل بن شاهين (زبدة ص ١٤٤) أن جانوس قال هذه الأبيات بنفسه . ولما كان أبو المحاسن جالس جانوس وقال أنه لا يعرف العربية (النجوم حـ٦ ص ٦٢٠) فإنه من الصعب تصديق خليل بن شاهين . والغالب — كما يقول ابن حجر (حـ ٢ ص ١١١٢) — أن جانوس كان ينظم الشعر بلغته ويعربه الترجمان . ويقول السيوطى (ص ١٢) إن الذى وضع الأبيات السابقة لجانوس هو الشيخ شهاب الدين بن حجر .

(٢) المقريزى : السلوك حـ ٤ ص ٣٧٥ ب .

(٣) أبو المحاسن : النجوم حـ ٦ ص ٦١٧ .

(٤) المقريزى : السلوك حـ٤ ص٣٧٥ ب ، أبوالمحاسن : حـ ٦ ص ٦١٧ .

(٥) المقريزى : السلوك حـ ٤ ص ٣٧٥ ب .

(٦) ابن حجر : إنباء الغمر ص١١٢ ، أبو المحاسن : النجوم حـ ٦ ص ٦١٧ .

جانوس نائباً عنه فى قبرس ، وأن يتعهد بدفع جزيه سنويه مقدارها عشرون ألف دينار [١] . ولكى يستطيع جانوس تأدية المبلغ المتفق عليه عاجلا من الفديه وافق السلطان على إرسال موسى سوارز إلى قبرس لجمع المال اللازم ، وهو قائد من قشتاله دخل خدمه جانوس وأسر معه . فذهب موسى إلى قبرس وقابل أسقف نيقوسيا شقيق الملك فى ذلك الصدد ، وقرر الأسقف أن يرسل رسلا من القبارسه إلى ملوك الغرب لطلب المساهمة فى مبلغ الفديه المطلوبة . وعاد أولئك الرسل بما استطاعوا جمعه من المال ، فرجع موسى سوارز إلى مصر ومعه ثلثمائة ألف دوكات وصحبته بعض رجال المملكة القبرسيه [٢] . وعندما تسلم السلطان برسباى المبلغ المتفق عليه أفرج عن جانوس ، وخلع عليه وأركبه فرسا بسرج ذهب . فنزل جانوس من سجنه بالقلعة إلى القاهرة حيث أعدت له دار يقيم بها [٣] . وعكف جانوس منذئذ على الخروج من داره صحبه الأمير تاج متولى القاهرة لزيارة المتنزهات والكنائس والمعابد [٤] ، على حين ترددت لزيارته جموع النصارى والفرنجة والقناصل [٥] . ثم استأذن جانوس السلطان فى الرحيل فأذن له وخلع عليه خلعه السفر ، فسافر إلى الأسكندرية صحبة مندوبى السلطان . وبالأسكندرية جمع جانوس تجار الفرنجة ، وطلب منهم قرضا ليوزع منه على حاشيه السلطان فأقرضوه مبلغاً كبيرا من المال . [٦] ورأى أمير الاسكندرية وهو آقبغا التمرازى أن يعطى جانوس درساً أخيراً قبل سفره إلى قبرس ، فعرض أمامه جند الاسكندرية

---

(١) المقريزى : السلوك ح ٤ ص ٣٧٥ ب . ويبدو أن الاتفاق كان على أن تلك الجزية السنوية تدفع عينا لا نقداً ، إذ أن ابن حجر (ح ٢ ص ١١٢ ب) يقول أنه تقرر على جانوس « ألفا ثوب صوب ملونة قيمتها قريب من عشرين ألف دينار » .

(2) Ziada : The Mamluk Conquest of Cyprus, part ,II pp. 39—40.

(٣) أبو المحاسن : النجوم ح ٦ ص ٦٢٠ .

(٤) العينى : عقد الجمان ح ٢٥ ق ٣ ص ٥٨٥ .

(٥) أبو المحاسن : النجوم ح ٦ ص ٦٢٠ .

(٦) ابن حجر : إنباء الغمر ح ٢ ص ١١٢ ب .

وهم نحو ألفين وخمسمائة جندى ، مما ترك أكبر الأثر فى نفسه [١] . وأخيراً غادر جانوس الاسكندرية وصحبته سفراء رودس و بعض القبارسه الذين حضروا خصيصا لمرافقته [٢] ، فوصل قبرس فى مارس سنة ١٤٢٧ ليجد الجزيرة فى أشد ألوان الفوضى والاضطراب نتيجة لما انتابها من فتن وثورات [٣] .

هكذا أنتهت صفحة من صفحات الحروب الصليبيه الضدية (**Counter Crusades**) وهى التى شنها المسلمون أواخر العصور الوسطى للثأر لأنفسهم مما حل بهم من قبل على يد الصليبين ، وهكذا تم للمسلمين القيام بعمل وصفه المؤرخون بأنه عمل من أعمال الجهاد ، وهو فى الواقع خليط من الجهاد والحرب التوسعية إبتغاء حماية المصالح الاقتصادية البحته .

ولم يطل عمر جانوس بعد عودته إلى بلاده مكسور الجناح ، إذ مات فى يونيه سنة ١٤٣٢ بعد مرض شديد ألزمه الفراش ما يقرب من عام ، حتى قال مواطنوه إن المسلمين دسوا له السم فى مصر [٤] .

وظل جانوس حتى وفاته محافظا على عهده لبرسباى ، كما استمرت قبرس « من جمله بلاد السلطان » [٥] . وتطلبت تلك التبعية من ملوك قبرس واجبات تعهد جانوس بأدائها وحافظ على كلمته ، فأرسل إلى السلطان بعد أشهر من وصوله إلى قبرس يحذره أن القطلان ينوون الإغارة على الاسكندرية فاتخذ برسباى أهبته وفشلت إغاره القطلان [٦] . ثم إنه حرص على دفع الجزية السنوية

---

(١) نفس المرجع والصفحة .

(٢) صالح بن يحيى : تاريخ بيروت ص ٢٢٩ .

(3) Makhiaras ; op. cit. p. 673.

(4) Idem, p. 679.

(٥) وهنا نشير إلى العبارة الآتية وقد ذكرها المقريزى أكثر من مرة « أحلت هذه السنة وسلطان مصر والشام والحجاز وقبرس الملك الاشرف أبو الفرج برسباى » (السلوك حـ ٤ ص [illegible])

(٦) المقريزى : السلوك حـ ٤ ص [illegible] .

وتوابعها للسلطان ، فأرسل إلى القاهرة ذهبا قيمته خمسون ألف دينار فضربت دنانير أشرفيه بالقلعة تحت إشراف السلطان [١] . وفى سنة ١٤٢٧ أرسل جانوس الجزيه وهى عبارة عن ثمانية عشر ألف ثوب من الأقمشه منها ثمانمائه ثوب صوف حملت إلى دمشق حيث بيعت . [٢] وهكذا ظل جانوس على ولائه للسلطان إلى أن خلفه إبنه حنا الثانى (١٤٣٢ — ١٤٥٨) فأرسل برسباى إلى قبرس بعثه عدتها ستون مملوكا على رأسهم بعض الأمراء ، ومعهم خلعه الولاية للملك الجديد وتعليمات للمطالبة بالمتأخر على أبيه من الجزيه وهو أربعة وعشرون ألف دينار [٣] . فإستقبلهم الملك الجديد استقبالا طيبا ، وأغدق عليهم الهدايا ، وحلف لهم أمام القساوسه على الطاعة للسلطان ، كما أعطاهم سبعمائة ثوب صوف قيمتها عشرة آلاف دينار مما تأخر على أبيه [٤] . وسر برسباى سروراً عظيما بعوده البعثة بتلك الأخبار والهدايا إذ انقطع دابر الإشاعات التى ملأت القاهرة بأن ملك قبرس الجديد خرج عن طاعة السلطان ومنع الجزية [٥] .

وظل حنا الثانى يدفع الجزيه للسلطان رغم إختلال أحوال بلاده وإنحلال أمرها وضعف مواردها . ففضلا عن إغارات الجراد على قبرس صيف سنة ١٤٣٨ انتشر الوباء بالجزيرة ومات بسببه أناس كثيرون. [٦] وقبل ذلك بثلاثة أعوام تزوج الملك حنا من الأميرة البيزنطية هلينا بالبيولوجس وهى أرثوذكسيه المذهب، فعز عليها ما رأته بالجزيرة من قوة الكنيسة اللاتينيه وغناها بالمقارنة إلى ضعف الكنيسة الأرثوذكسيه وفقرها ، مع أن أغلبية الشعب القبرسى على المذهب الأرثوذكسى . ودفع ذلك هلينا إلى تحريض زوجها على اتباع سياسه دينيه ترمى

---

(١) أبو المحاسن : النجوم حـ ٦ ص ٨٢٦ .

(٢) المقريزى : السلوك حـ ٤ ص ١٣٩٠ .

(٣) المقريزى : السلوك حـ ٤ ص ١٣١٠ ، أبو المحاسن : النجوم حـ ٦ ص ٦٧٩ .

(٤) أبو المحاسن : النجوم حـ ٦ ص ٦٨٠ ، المقريزى : حـ ٤ ص ١٤١١ .

(٥) أبو المحاسن : النجوم حـ ٦ ص ٦٨٢ .

(6) Makhiaras ; p. 683.

إلى عدم الإعتراف بسيطرة البابا على الكنيسة القبرسية ، مما جعل الجزيرة ميداناً لكثير من المشاكل والمنازعات ، فأضيف بذلك عامل جديد إلى عوامل الضعف التي كانت تنخر فى عظام الدولة [(١)] .

ولكن رغم كل تلك المصاعب والمشاكل ظل حنا على ولائه للسلطان . فعندما أرسل السلطان جقمق حمله ضد رودس سنة ١٤٤٠ مرت الغزاه بقبرس فأكرم حنا وفادتهم وزودهم بما احتاجوا إليه [(٢)] . وأرسل السلطان جقمق حمله ثانية ضد رودس سنة ١٤٤٣ ومرت الحملة على قبرس فأسرع حنا بتقديم الضيافة إلى رجالها ، على الرغم مما ارتكبوه بالجزيرة من نهب وسلب وإفساد « بغير تدبير ولا تفكير » [(٣)] . وربما كان أوضح الأدله على ولاء حنا للسلطان أنه أرسل الجزية سنة ١٤٤٣ وهى جملة أثواب صوف أرسلت إلى بيروت ومنها حملت على الدواب إلى القاهرة وذلك فى نفس السنة التى وقعت فيها حوادث النهب والسلب على يد المماليك القاصرين إلى رودس [(٤)] .

وعندما مات حنا الثانى سنة ١٤٥٨ خلفته على عرش قبرس إبنته شارلوت ، فلم يعترف لها أخوها جيمس بالملك وأخذ يناوئها وعندئذ لم يتردد فى الاستعانة بالقوة الكبرى التى أصبحت تهيمن على جزيرة قبرس وهى السلطنة المملوكية [(٥)] . وجاء جيمس إلى مصر لذلك الغرض سنة ١٤٥٩ والسلطان وقتئذ إينال ، فأكرم إينال وفادته وخلع عليه الخلع وأرسل أحد أمرائه وهو الأمير تغرى بردى الطيارى إلى قبرس ليلوم أهلها على تفضيل أخت جيمس عليه ويخبرهم أن السلطان يريد ولاية جيمس وعزل أخته . [(٦)] ثم عاد الأمير تغرى بردى صحبة فريق كبير

---

(1) Cambridge Mediaeval History. Vol. 4 ; p. 471 & Stubbs, p. 232.

(٢) العينى عقد الجمان ح ٢٥ ق ٤ ص ٨٤٤ .

(٣) السخاوى : التبر المسبوك ص ٦٣ .

(٤) نفس المرجع ص ٦٧ .

(5) Stubbs ; p. 233.

(٦) أبو المحاسن : النجوم ح ٧ ص ٥٢١ .

من الفبارسة يمثل بعضهم حزب شارلوت والبعض الآخر حزب جيمس ، فغير السلطان رأيه ومال إلى تأييد شارلوت [١] ، وخلع الخلع على رجالهـا على الرغم من بكاء جيمس واحتجاجه بأنه احتمى بالسلطان ولجأ إليه .[٢] وظاهر جيمس فى ذلك معظم المماليك الأجلاب ، الذين استمالهم جيمس إليه قبلا عن طريق أحمد بن السلطان وبعض الوزراء [٣] ، فلم يرضوا عما فعل السلطان واعتدوا على رجال شارلوت ومزقوا خلعهم وطالبوا بتولية جيمس [٤] . ولم يسع إينال سوى الإذعان فخلع على جيمس، وأرسله إلى قبرس صحبة تجريده كبيره تزيد عن الخمسمائه مقاتل وعلى رأسها الامير يونس الأقبائى (أغسطس سنة ١٤٦٠) . ووصل جيمس إلى قبرس ومعه تلك القوة المملوكية ، فنشبت بينه وبين أخته شارلوت حرب داخلية لم تطل ، إذ استطاع جيمس بفضل مساعده المماليك أن يستولى على معظم الجزيرة حتى اضطرت شارلوت إلى الاحتماء بقلعه كيرينيا (Kerynia) حيث ظلت محاصره لمدة أربع سنوات (حتى سنة ١٤٦٤) [٦] .

ثم رحل الأمير يونس عن قبرس ، وترك فى الجزيرة جانبك الأبلق ومعه جزء من القوة المملوكية ليشد أزر جيمس[٧] . ويبدو أن السبب فى عودة معظم المماليك تلك المره فى سرعة أن جيمس استطاع أن يكف أيدى المماليك عن السلب والنهب فلم يروا فائدة لبقائهم [٨] ؛ هذا فضلا عن سوء الحالة الجوية « وشده الوخم » الذى توفى بسببه كثير من المماليك [٩] . وظل جانبك الأبلق يهاجم

---

(١) أبو المحاسن : النجوم حـ ٧ ص ٥٤٣ . ويظهر أن ذلك التأييد كان بفعل الرشاوى الطائلة التى بذلها رجال شارلوت لحاشية السلطان . أنظر (Ziada : Part II, p. 49)

(٢) أبو المحاسن : النجوم حـ ٧ ص ٥٤٣ — ٥٤٤ .

(3) Ziada : The Mamluk Conquest of Cyprus ; Part II, p. 48.

(٤) أبو المحاسن : النجوم حـ ٧ ص ٥٤٤ .

(٥) نفس المرجع والجزء ص . ص . ٥٤٧ — ٥٤٩ .

(6) Stubbs ; p. 233.

(٧) أبو المحاسن : النجوم حـ ٧ ص ٥٥٢ .

(8) Ziada : The Mamluk Conquest of Cyprus, Part II, p. 51.

(٩) أبو المحاسن : النجوم حـ ٧ ص ٥٥٢ .

حصن كيرينيا حتى اضطرت شارلوت إلى الهرب إلى رودس لطلب النجدة ، وعندئذ أرسل جانبك إلى السلطان يطالب المساعدة قبل أن تأتى شارلوت بنجدة تتفوق عليه بها [١] . غير أن السلطان إينـال توفى فبراير سنة ١٤٦١ ، وخلفه ابنه أحمد الذى لم يطل بقاؤه فى الحـكم سوى بضعة أشهر ، فلم تخرج قوة مملوكية لنجدة جانبك إلا فى عهد السلطان خشقدم (١٤٦١ — ١٤٦٧) ، وأساء تأخيرها على ذلك النحو إلى مركز المصريين فى قبرص [٢] . وتألفت تلك النجدة من نحو خمسمائة مملوك ، ولـكنها لم تلبث أن عادت إلى مصر فى العام التالى على حين بقيت القوة الأولى بقيادة جانبك الأبلق فى الجزيرة لسبب لم توضحه المراجع نصا أو تلميحا [٣]

وفى تلك الأثناء لجأ جيمس ملك قبرص إلى سياسة قومية حاول أن يشغل بها أذهان مواطنيه عن اغتصابه العرش ، فاسترد فاما جوستا من الجنوية بمساعدة المماليك سنة ١٤٦٤ [٤] . ثم عمل على التخلص من أولئك المماليك الذين ساعدوه على تحقيق أطماعه ، فقتل جانبك الأبلق ومعظم رجاله ، وأرسل إلى السلطان خشقدم سفيراً يدعى يعقوب يخبره أنه إستولى على فاما جوستا من الجنوية وسلمها إلى جانبك ، ولـكن جانبك ارتـكب بها أعمالا أخلاقية شائنة أثارت الأهالى ضده ، وأنه حاول نصحه فلم ينتصح بل أهانه وأخرق به فلم يتحمل القبارسة ذلك وقتلوه مع خمسة وعشرين مملوكا [٥] . ورد السلطان خشقدم على ذلك بإرسال أحد رجاله وهو سودون المنصورى إلى قبرص صحبة يعقوب رسول جيمس ليتحقق الأمر ، فتلقى جيمس الأمير المملوكى أحسن لقاء وأعان ولاءه وحرصه على دفع الجزية للسلطان فاكتفى خشقدم بذلك [٦] .

(١) نفس المرجع والجزء ص ٦٥٠ — ٦٥١ .
(2) Ziada : The Mamluk Conquest of Cyprus, Part II; p. 52.
(٣) أبو المحاسن : النجوم ح ٧ ص ٧١٥ .
(4) Cambridge Mediaeval History ; Vol. 4, p. 471.
(٥) أبو المحاسن : النجوم ح ٧ ص ٧٢٩ .
(٦) نفس المرجع والجزء ص ٧٣٠ .

ولكن إذا استطاع چيمس الثانى أن يخلص فاما جوستا من يد الجنوية ، فإنه كان السبب فى نشر نفوذ جمهورية تجارية أخرى وهى البندقية على قبرس بأجمعها . ذلك أنه تزوج سنة ١٤٧١ من كاترينا كورنارو البندقية ، ثم لم يلبث أن قتل بعد زواجه سنة ١٤٧٣ ، ومات ابنه الصغير بعد ذلك بقليل ، مما ترك كاترينا سيدة الجزيرة . وحكم البنادقة الجزيرة باسمها مدة خمسة عشرة سنة ، إلى أن حصلوا منها سنة ١٤٨٩ على تنازل عن حقوقها للجمهورية ، وذهبت كاترينا إلى البندقية حيث عاشت إلى أن ماتت سنة ١٥١٠ [١] .

على أن نشر النفوذ البندقى عل قبرس لم يؤد إلى انقطاع صلتها بالسلطان المملوكى . ذلك أن البندقية أرسلت سنة ١٤٨٩ سفيرها بييرو دويدو إلى مصر لعقد إتفاقية مع السلطان الأشرف قايتباى بشأن قبرس [٢] . ويبدو أن البندقية اختارت الإحتفاظ بصداقة السلطان فحرصت على عدم قطع الجزية واستمرت على إرسالها إلى القاهرة حتى سنة ١٥١٧ ، أى حتى استيلاء العثمانيين على مصر ، وعندئذ حولت البندقية الجزية إلى السلطان العثمانى الذى ظل يتسلمها حتى فتح السلطان سليم الثانى قبرس سنة ١٥٧٠ — ١٥٧١ [٣] .

غير أن سعادة الجزيرة أخذت تتلاشى حتى قبل أن تصبح مستعمرة بندقية . ذلك أن عدد سكانها أخذ فى التناقص السريع ؛ وحاول البنادقة علاج ذلك النقص الخطير فى السكان ، ولكن مجهوداتهم ذهبت هباء بسبب جشع السياسة البندقية فى جمع الأموال من القبارسة بمختلف الطرق . لهذا لا نعجب إذا رحب سكان قبرس بالأتراك العثمانيين عند فتحهم الجزيرة ، إذ استقبلوهم استقبال الخالص المنقذ ، ولكن سرعان ما صدمتهم الحقيقة المرة ، وهى أن الأتراك العثمانيين ليسوا أقل قسوة وجشعا من البنادقة [٤] .

---

(1) Stubbs ; op. cit. p. 233.

(٢) نشر هذه الاتفاقية وشرحها مع مقدمة وترجمة دقيقة لها باللغة العربية الأستاذ توفيق اسكندر (القاهرة ١٩٥٦) .

(3) Cambridge Mediaeval History ; Vol. 4 ; p. 472.

(4) Idem ; pp. 741 – 742.

الباب الخامس

قبرس والترك فى آسيا الصغرى

توغل الأتراك فى آسيا الصغرى — موقفهم من جيرانهم المسيحيين — العوامل التى أملت روح العداء بين القبارسة والأتراك — العلاقات التجارية بين قبرس وآسيا الصغرى — موقف ملوك لوزجنان الأوائل من الأتراك — الأحوال السياسية فى آسيا الصغرى أوائل القرن الرابع عشر الميلادى — ازدياد خطر الأتراك وتهديدهم التجارة المسيحية — المشروعات المسيحية للقضاء على الخطر التركى — حملات بطرس لوزجنان على سواحل آسيا الصغرى — استيلاؤه على جورهيجوس وأنطاليا — إغارات الأتراك على قبرس — مقتل بطرس وأثره فى العلاقات التركية القبرسية — استرداد الأتراك أنطاليا — العلاقات بين الأتراك والقبارسة فى القرن الخامس عشر الميلادى — إضمحلال أحوال قبرس — أثر فتح المماليك قبرس سنة ١٤٢٦ — استيلاء البندقية على الجزيرة سنة ١٤٨٩ — الفتح العثمانى لقبرس سنة ١٥٧٠ م .

فى الوقت الذى قام بيت لوزجنان بقبرس ، وبدأت الجزيرة تظهر على شىء من القوة التى تجلت فى تأييدها للصليبيين ، كان الأتراك ينشئون لأنفسهم دولا صغيرة وكبيرة فى آسيا الصغرى . فماذا يكون موقف آل لوزجنان — وهم المسيحيون المتعصبون الذين كرسوا جهودهم ونشاطهم لشد أزر الصليبيين — من أولئك الجيران المسلمين ؟ الجواب واضح وهو أنه إذا كان ملوك قبرس قد نصبوا أنفسهم حماة المسيحية بالشرق الأدنى ، وشنوا الحرب عواناً على الأيوبيين ثم المماليك بمصر والشام فى سبيل نصرة الغرض الصليبي ، فإنه ليس من المنتظر منهم أن يتجاهلوا أمر الأتراك بآسيا الصغرى ، وهم مسلمون كذلك لا يقلون عن الايوبيين أو المماليك خطراً على الصليبيين والدول المسيحية القريبة ..

ومن جهة أخرى ، لم يكن الأتراك أنفسهم أقل عداء للمسيحيين من الأيوبيين أو المماليك. ذلك أن معظم أمراء الأتراك[1] نظروا إلى جيرانهم المسيحيين بآسيا الصغرى نظرة عدائية صريحة ، وشنوا عليهم الحرب براً وبحراً وقطعوا الطريق على سفنهم ومتاجرهم حتى «أصبح دينهم جهاد من جاورهم من الكفار[2]». ولما كانت قبرس من أقرب البلاد المسيحية إلى الأتراك فلا بد وأن أصابها منهم بعض ما أصاب بقية البلاد المسيحية المجاورة لهم ، كما أصابهم منها بعض ما أصاب الدولة الإسلامية المجاورة لها مما أضرم نار العداوة والبغضاء بين الجانبين .

وثمت منبع آخر للعداوة والبغضاء بين أتراك آسيا الصغرى المسلمين وحكام قبرس المسيحيين . ويتمثل هذا المنبع فى موقف ملوك قبرس من دولة المماليك ومهاجمتها براً وبحراً ، فى الوقت الذى قامت العلاقات بين دولة المماليك ومعظم الإمارات التركية بآسيا الصغرى على شىء من التفاهم والتحالف حتى اتجه كثير منهم إلى سلاطين المماليك بالقاهرة « فاتخذوهم ظهراً وعدوهم للحوادث ذخرا» . وكانت مكاتباتهم ورسلهم وهداياهم ترد إلى القاهرة باستمرار[3]. وحالف بعض أولئك الأمراء سلاطين المماليك محالفة صريحة واضحة ضد جميع الفرنجة الذين قطعوا البحر على سفنهم ومتاجرهم[4]. لهذا لم يكن منتظرا من ملوك قبرس إلا أن يقفوا موقفا عدائياً من حلفاء أعدائهم الألداء .

ويضاف إلى ذلك كله ميل كثير من دعاة الحروب الصليبية فى العصور الوسطى المتأخرة إلى غزو آسيا الصغرى ، لإعتقادهم إنها طريق يوصل الصليبيين

---

(١) يطلق شهاب الدين العمرى (مسالك الأبصار حـ ٢ ق ٣ ص ٣٣٠ — ٣٦٠) على الوحدات السياسية التى انقسمت إليها أمبراطورية الروم السلاجقه اسم ممالك . أما ابن بطوطة (حـ ٢ ص ٢٥٥ — ٣٢٢) فيلقب صاحب كل وحدة بلقب ملك أو أمير أو سلطان .

(٢) العمرى : مسالك الأبصار حـ ٢ ق ٢ ص ٣٥٦ .

(٣) نفس المصدر والجزء ص ٣٥٦ — ٣٥٧ .

(٤) نفس المرجع والجزء ص ٣٤٩ .

إلى الأراضى المقدسة ، ولإحساسهم بإزدياد الخطر التركى ورغبتهم فى القضاء عليه قبل فوات الأوان . وشارك ملوك قبرس فى مشروعات أولئك الدعاة مشاركة فعالة بل أنهم كثيراً ماتحمسوا لسرعة تنفيذها[١] .

ولكن ليس معنى ذلك أن العلاقات بين ملوك لوزجنان وأمراء آسيا الصغرى من الأتراك المسلمين اقتصرت على ما هنالك من عداء سياسى دينى ، بل إن ذلك العداء لم يقف حائلا دون تبادل التجارة بين قبرس وآسيا الصغرى. وأفادت قبرس من تلك الحركة التجارية فائدة عظيمة ، إذ قصدها التجار الأوربيون للحصول على الحاصلات الأسيوية التى يتعذر عليهم الحصول عليها من بيروت أو الإسكندرية بسبب الحروب الصليبية والأوامر البابوية[٢] . ومما شجع الاوربيين على تفضيل الغلات الواردة عن طريق آسيا الصغرى على تلك الواردة عن طريق دولة المماليك ، أن الأتراك لم يطلبوا مكوساً باهظة على البضائع المارة ببلادهم ،على حين بلغت مكوس المماليك على بضائع الشرق وغيرها أضعاف ثمن البضاعة نفسها[٣] ، و بلغ من إنخفاض الاسعار « ببلاد الروم » أن أقصى سعر للبضائع بها فى حالة الغلاء عادلَ أرخص سعر لها فى بلاد الشام فى حالة الرخاء[٤] . وعندما أدرك البنادقة أهمية التجارة مع الأتراك ، عقدوا معاهدة تجارية سنة ١٢٢٩ م مع دولة السلاجقة الروم ، وحذا حذوهم الجنويه وغيرهم من تجار الغرب الذين توغلوا فى آسيا الصغرى عن طريق أرمينيا الصغرى من جهة وعن طريق الساحل الجنوبى لسلطنة قونيه السلجوقية من جهة أخرى[٥] . وفطن ملوك قبرس الأوائل إلى ماسوف يفيدونه من التجارة مع إمارات آسيا

---

(1) Atiya : The Crusade, Ps. 41, 108, 123, :47, 164, 1 9 ... etc.

(2) Heyd : Histoire du Commerce ; Tome II, pp. 3—4.

(٣) العمرى : مسالك الأبصار حـ ٢ ق ٢ ص ٣٣٠ .

(٤) نفس المرجع والقسم ص ٣٣١ .

(5) Heyd ; Tome II, p. 534.

الصغرى حين يصبحون واسطة التبادل التجارى بين الشرق والغرب ، فعملوا على الحصول على إمتيازات تجارية فى مدن السلاجقة الروم تعادل ما حصل عليه التجار الأوربيون فى تلك المدن (١) .

ثم بدأ التصادم السياسي بين القبارسة وجيرانهم سلاجقة الروم أوائل حكم هيو الاول لوزجنان (١٢٠٥—١٢١٨) حول مدينة أنطاليا البيزنطية على الشاطىء الجنوبى لآسيا الصغرى . أما سبب ذلك الصدام فهو أن غياث الدين كيخسرو سلطان قونيه حاول الإستيلاء على أنطاليا سنة ١٢٠٦ لأهمية موقعها ، فحاصرها وهدم عدة من أبراج سورها ، وعندئذ أرسل أهلها من البيزنطيين يطلبون النجدة من هيو الأول لوزجنان ، فانجدهم هيو بجند من القبارسة استطاعوا أن يجلوا غياث الدين عن المدينة ؛ وصارت أنطاليا تابعة لقبرس (٢) . غير أن القبارسة فشلوا فى الاحتفاظ بها مدة طويلة لأن غياث الدين ترك على مقربة منها طائفة من عسكره ، واستغل موقع بلاده منها ، فقطع عنها ما اعتادت أن تحصل عليه من المواد الغذائية حتى ضاق الحال بأهلها إلى درجة التفكير فى الاستسلام (٣) . ثم وقع بين البيزنطيين والقبارسة فى أنطاليا خلاف شديد ، ولم يلبث ذلك الخلاف أن تطور إلى قتال بين الفريقين ، فأرسل البيزنطيون إلى غياث الدين يطلبون منه المجىء إلى المدينة ، فاستولى عليها فى مارس سنة ١٢٠٧ وقتل جميع من بها من القبارسة والفرنج دون البيزنطيين (٤) .

على أن فشل القبارسة أو نجاحهم فى أنطاليا لا يهمنا فى هذا الموضوع إلا من الناحية العامة وهى أن آل لوزجنان لم يكادوا يثبتون أقدامهم فى قبرس حتى وجهوا أنظارهم صوب شواطىء آسيا الصغرى قبل أن يمضى على حلولهم بالجزيرة

(1) Mas Latrie ; p. 211.
(٢) ابن الأثير الكامل فى التاريخ عن (Rec. Hist. Cr. Tome II, p. 103) .
(٣) نفس المرجع والجزء (p. 104) .
(٤) نفس المرجع والصفحة .

خمس عشرة سنة . وليس معنى الفشل المؤقت الذى منى به القبارسة فى عهد هيو الأول فى الحصول على قاعدة على شواطىء آسيا الصغرى أن علاقاتهم بالأتراك قد انتهت ، بل الواقع إن العلاقات بين القبارسة وأتراك آسيا الصغرى ازدادت نشاطاً فى القرن الثالث عشر بسبب تفكك دولة سلاطين قونية عقب وفاة علاء الدين الثالث (١٢٩٧ — ١٣٠٧) نتيجة للغزوات المغولية ، وحرص بعض الإمارات الجديدة على مصادقة من تستطيع الحصول على صداقته من المسلمين والمسيحيين سواء [1] .

ويبدو أن جزيرة قبرس أفادت أكبر الفائدة من تلك الحال السياسية التى طرأت على آسيا الصغرى فى القرن الرابع عشر الميلادى ، إذ غدت فاما جوستا من أكبر موانى البحر المتوسط ولا يكاد يفوقها سوى القسطنطينية والإسكندرية [2] ؛ مما جعل أسواقها العظيمة وبضائعها المختلفة وتجارها الأثرياء محورا لقصص يشبه قصص ألف ليلة [3] . ومن الدليل على ذلك ما ذكره الرحالة الألمانى لودلف سوخن عندما مر بقبرس حوالى سنة ١٣٤٩ ، إذ قال أنه رأى فى فاما جوستا تجاراً يمثلون مختلف الأمم والأجناس من إغريق ولاتين وأرمن وعرب وترك وأحباش وسوريين ، هذا عدا التجار الوافدين من البندقية وألمانيا وليجوريا وصقلية والأراضى المنخفضة ... كل منهم يتكلم لغة بلاده ويلبس زيه الوطنى مما أثار دهشة ذلك الحاج [4] .

غير أن العلاقات التجارية وفوائدها لم تتغلب دائما على دعوة الدعاة للحروب الصليبية ، إذ نادوا فى مشروعاتهم المتعددة بضرورة سحق قوة الأتراك أولا وقبل كل شىء لتحقيق الهدف الصليبى [5] . وأغرى ملوك قبرس موقع جزيرتهم

(1) Heyd, Vol. 2, p 534.
(2) Mas Latrie ; p. 237.
(3) Makhiaras ; pp. 83—87.
(4) Stubbs ; p. 219.
(5) Atiya ; pp. 155—186.

الجغرافى فتولوا قيادة تلك الحركة ضد الأتراك وشاركوا فى مشروعاتها مشاركة فعالة . وكان ذلك بداية لسياسة حربية دأب ملوك قبرص على تحقيقها على شواطىء آسيا الصغرى فى القرن الرابع عشر الميلادى ، مما يتطلب فهمه نظرة عاجلة فى تلك الحال السياسية الجديدة التى طرأت على آسيا الصغرى فى مستهل ذلك القرن . ذلك أنه قامت على أنقاض دولة السلاجقة الروم عدة امارات يعرف بعضها بأسماء مؤسسيها مثل أيدين وصار وخان وقرمان ، والبعض الآخر بأسماء عواصمها وأكبر مدنها مثل فوكه ومغنيسيا [١] . واختلفت المراجع فى تقدير عدد تلك الإمارات إختــــلافا كبيراً بسبب عدم الإستقرار الذى ساد آسيا الصغرى وما استمر بين الأمراء الأتراك من تنافس وتشاحن جعل الخريطة السيـاسية لآسيا الصغرى تبدو مثل صندوق الساحر [٢] . يضاف إلى ذلك أن بعض الجهات الشرقية من شبه جزيرة آسيا الصغرى ظل تحت نفوذ المغول فضلا عن أجزاء أخرى بالشمال الغربى بقيت تابعــــة للدولة البيزنطية ، وتلك عدا مملـكتين مسيحيتين هما مملـكة طرابيزون على البحر الأسود ، ومملـكة أرمينيا الصغرى فى الركن الجنوبى الشرقى لشبه الجزيرة . هـذا وأن أصبح العنصر الغالب هو العنصر التركى الذى توغل فى آسيا الصغرى منذ القرن الثامن الميلادى [٣] .

والواقع أنه كان فى استطاعة المسيحيين أن يستغلوا التنافس القائم بين الأمراء الأتراك للقضاء على خطرهم جميعا ، ولـكن يبدو أنهم لم يأبهوا لذلك الخطر طالما كان منبعه عدة دويلات وإمارات متنافسة . غير أن تلك الدويلات والإمارات

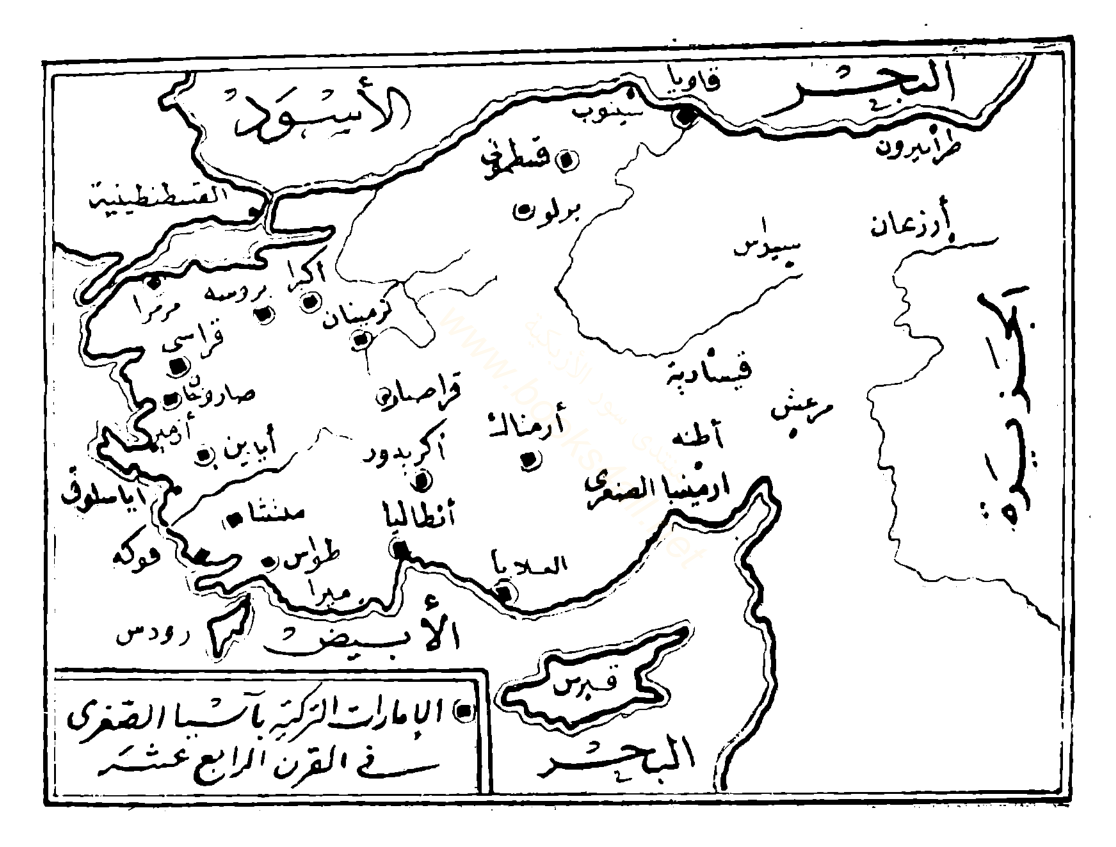
---

(1) Lavisse, Rambaud : Histoire Generale. Vol. 3 pp. 821—822.

(2) Gibbons : The foundation of the Ottoman Empire ; p. 277.

وحسبنا أن شهاب الدين العمرى ـ وهو من مراجعنا الأساسية فى دراسة أحوال آسيا الصغرى فى القرن الرابع عشر ذكر روايتين حدد فى الأولى عدد تلك الإمارات بإحدى عشرة إمارة ، وفى الثانية حددها بست عشرة إمارة (مسالك الأبصار ص ٣٤٠ ـ ٣٦٠) .

(3) Gibbons, op. cit. p. 13.



البحر الأسود
البحر الأبيض
الجزيرة
القسطنطينية
قاويا
سينوب
طرابيزون
قسطموني
برلو
أرزعان
سيواس
أكرا
بروسه
مرمرا
قراسي
كرميان
صاروخان
أزمير
أيا سلوق
أيدين
قراصار
قيسارية
مرعش
أرمناك
أكريدور
أطنه
أرمينيا الصغرى
منتشا
أنطاليا
فوكه
طرس
ميرا
العلايا
رودس
قبرص
الإمارات التركية بآسيا الصغرى
في القرن الرابع عشر

استطاعت بين حين وآخر أن تتحد فى حلف لغزو أرمينيا الصغرى أو الإغارة على السواحل البيزنطية [١] .

وأحس هيو الرابع الذى اعتلى عرش قبرص سنة ١٣٢٤ بذلك الخطر الجديد ولا سيما من ناحية إمارات صرمرا ومغنيسيا و بركى وفوكة الواقعة على الشواطىء الغربية والجنوبية لآسيا الصغرى ، إذ سلحوا السفن وأرسلوها فى عرض البحر للإغارة على جزر بحر إيجه والتربص للسفن الأوربية والإعتداء عليها حتى « جابت سفنهم البحار فرجفت لها المدن [٢] » ، وبذلك هددوا التجارة المسيحية تهديداً مباشراً [٣] . كذلك أحست الجمهوريات الإيطالية بتهديد متاجرها ومواصلاتها مع موانى البحر الأسود ، فأخذت البندقية تعمل على تأليف حلف يضم القوى التى يهمها الأمر مثل أندرونيق الثالث امبراطور القسطنطينية (١٣٢٨ — ١٣٤١) وهيو الرابع ملك قبرص وفرسان رودس ، ضد الأتراك عامة [٤] . وصادف وقتذاك أن ملك فرنسا فيليب دى ڤالوا كان يعد العدة لحملة صليبية ، فوجدت البندقية فرصتها فى ذلك ، وأوفدت سنة ١٣٣٤ رسولين إلى فرنسا لإقناع فيليب بالانضمام إلى الحلف الجديد . وتمخض الأمر عن إجتماع كبير حضره البابا حنا الثانى والعشرون وملكا فرنسا وقبرص وممثلو الاسبتارية والبندقية [٥] . وتم الاتفاق على أن يجهز الحلف حملتين ضد الأتراك ، تقوم الأولى منهما فى مايو سنة ١٣٣٤ وتكون بمثابة حملة تمهيدية ، فيخرج أسطول من أربعين سفينة لتطهير البحر من السفن التركية استعدادا للحملة الثانية التى تقرر أن تتألف من اثنتين وثلاثين سفينة حربية ومثلها من ناقلات الجنود لحمل

---

(1) Mas Latrie ; p. 248.

(٢) العمرى : مسالك الأبصار حـ ٢ ق ٢ ص ٣٥١ — ٣٥٤ .

(3) Heyd ; Vol. 2, p. 538.

(4) Atiya ; p. 111.

(5) Heyd ; Tome 2, p. 539.

ثمانمائة محارب . ورأى المجتمعون وجوب مساهمة امبراطور القسطنطينية وملك صقلية فى هاتين الحملتين بعدد من السفن ، فإن لم يفعلا قامت بيزا وجنوا بسد ما عساه يكون من نقص فى عدد السفن [١] . ويقال إن حماس البابا حنا الثانى والعشرين لذلك المشروع يرجع إلى رغبته فى التخفيف عن أرمينيا الصغرى من الأخطار المحيطة بها [٢] .

وكان أن سارت الأمور حسب الاتفاق فتم إعداد الحملة الأولى فى الوقت المحدد لها ، واتجهت السفن الصليبية سنة ١٣٣٤ لتطهير البحر من الأتراك . وصادف أن بعض القراصنة الأتراك بقيادة أميرهم إيا كشى كانوا وقتذاك يجوبون بحر إيجة ، فلما علم إيا كشى بأن المسيحيين دمروا بعض سفنه عند كاسندرا وأنهم جادون فى البحث عنه ، فر بسفنه إلى تساليا وفى أعقابه الأسطول الصليبى حتى التقى الخصمان فى سبتمبر فى تلك السنة. وانتهى الأمر بتدمير معظم السفن التركية والإجهاز على بقيتها فى خليج أزمير. ثم نزلت قوة من الصليبيين إلى البر وأحرقت قلعة أزمير وقفل الصليبيون راجعين إلى بلادهم [٣] .

وشجع ذلك النصر الصليبيين على الاستعداد للحملة الثانية فى العام التالى . ولكن بينما تجرى الاستعدادات على قدم وساق فى موانى فرنسا وغيرها ، فاجأ الانجليز ملك فرنسا بهجوم على الشواطىء الفرنسية سنة ١٣٣٤ ، وهكذا حالت إحدى مراحل حرب المائة بين انجلترا وفرنسا دون إتمام الشطر الثانى من مشروع الصليبيين [٤]؛ لاسيما وأن ذلك وافق موت البابا حنا الثانى والعشرين (١٣١٦ — ١٣٣٤) ، وهو صاحب الفضل الأكبر فى تكوين الحلف الأوربى . على أن البابا كليمنت السادس (١٣٤٢ — ١٣٥٢) سرعان ما أدرك هو الآخر مبلغ

---

(1) Atiya ; p. 112.

(2) Stubbs ; p. 218.

(3) Atiya ; pp. 112—113.

(4) Idem ; p. 113.

الخطر التركى ، فراسل ملك قبرص ورئيس فرسان الاسبتارية وجمهورية البندقية للقيام بحملة جديدة ضد الأتراك[١] . واجتمع لذلك الغرض أسطول عدته عشرون سفينة ، أسهم فيه كل من البابا وملك قبرص بأربع سفن وفرسان رودس بست سفن والبندقية بالباقى[٢] . وفى سبتمبر سنة ١٣٤٣ خرجت السفن المتحالفة للقضاء على الأتراك فى البحر فطاردوا قراصنتهم ثم اختاروا هدفا لهجومهم مدينة أزمير التى كانت وقتذاك تابعة لامارة بركى ويحكمها عمر بك ابن ايدين سلطان بركى[٣] . ولم يكن اختيار الصليبيين لمدينة أزمير اعتباطا ، وإنما اختاروها بالذات لأنها أكبر مركز لنشاط القراصنة الأتراك[٤] . وحسبنا أن العمرى وصف رجال تلك الامارة بأنهم أهل حرب وكفاح ، ضج البر والبحر من حروبهم مع الفرنج وأن « كل ملوك الأتراك فى غزو الكفار عليهم عيال[٥] » .

وتقدم الصليبيون نحو أزمير للقضاء على أكبر أوكار القرصنة التركية ، فنشبت معركة بحرية بين الطرفين انتهت بتدمير خمسين سفينة تركية حتى تمكن المسيحيون من الاستيلاء على المدينة فى أكتوبر سنة ١٣٤٤ . وكان بالمدينة عدد كبير من التجار المسيحيين لم يدخروا وسعا فى مساعدة الصليبيين[٦] . أما عمر بك سلطان بركى فقد قام بعدة محاولات لاسترداد أزمير لعل آخرها أعنفها سنة ١٣٤٨ ، ولكن محاولاته كلها باءت بالفشل بل كلفته حياته فى حومه القتال ؛ وبذلك ظلت أزمير فى قبضة المسيحيين مدة نصف قرن أى حتى غزا تيمورلنك آسيا الصغرى[٧] (سنة ١٤٠٢ م) .

---

(1) Heyd ; Vol. 2 p. 539.

(2) Atiya ; p. 292.

(3) Zambaur: Manuel de Genealogie et de Chronologie pour l'Histoire d'l'Islam, p. 151

(4) Heyd, Tome 2, p. 539.

(٥) العمرى : مسالك الأبصار حـ ٢ ق ٢ ص ٣٥٣ .

(6) Atiya ; pp. 294–295.

(7) Gibbons ; op. cit. p. 258.

وقد يبدو أن المسيحين غنموا باستيلائهم على أزمير غنما عظيما لما لها من أهمية واضحة فى عالم التجارة ، ولـكن الواقع هو أنهم لم يفيدوا من غنمهم إلا قليلا بسبب محاصرة الأتراك لها من كل ناحية حتى اختنقت وانقطعت عنها الحاصلات الأسيوية [١] . وحاول المسيحيون دفع ذلك الحصار فهاجموا الأتراك فى يناير سنة ١٣٤٥ ولـكن للمسيحيين منوا بهزيمة كبيرة وخسارة فادحة [٢] ؛ وعندئذ فـكروا فى الصلح مع الأتراك أملا فى توطيد العلاقات بين الطرفين على أسس ودية سليمة ، لولا أن البابا كليمنت السادس رفض الموافقة على مشروع ذلك الصلح وأعلن رفضه سنة ١٣٤٨ [٣] .

وفى تلك الأثناء عكف هيو الرابع لوزجنان — بتحريض من البابا — على ما هو بصدده من مطاردة التجار الأوربيين الذين خالفوا الأوامر البابوية وظلوا يتاجرون مع دولة المماليك متخذين من موانى الشاطىء الجنوبى لآسيا الصغرى أوكاراً لسفنهم . ذلك أن سفن هؤلاء التجـار أحتمت بتلك الموانى حتى إذا ابتعدت عنها السفن القبرسية المطاردة وتأكدت أن الطريق إلى مصر آمن أسرعت إلى الاسكندرية محملة بالأسلحة والأخشاب وغيرها من الأشياء التى حرم البابا تصديرها إلى المماليك؛ فتبيعها إلى الاسكندرية وتحمل بدلها التوابل والسكر والأقمشة والطيب ثم تعود مسرعة إلى الشواطىء الجنوبية لآسيا الصغرى بين أزمير وأيا سلوق ، حتى إذا وثقت من سلامة الطريق أبحرت إلى الموانى الأوربية متحدية القبارسة والأوامر البابوية جميعا [٤] .

واستطاع التجار الأوربيون بهذه الطريقة أن يحطموا آخر الأسلحه التى لجأت إليهـا البابوية لاضعاف دولة المماليك . وإذ أضحت الموانى التركية على

(1) Heyd, Vol. 2, p. 540.

(2) Atiya ; p. 295.

(3) Idém ; p. 297.

(4) Heyd ; Tome 2, Ps. 4 & 29.

شاطىء آسيا الصغرى الجنوبى هى الأوكار الرئيسية التى لجأ إليها ذلك النفر من التجار ، عمل هيو الرابع ملك قبرص على مهاجمة تلك الموانى [1] . وشاركه فى تلك العمليات الحربية قائد يدعى همبرت أرسله البابا على رأس قوة من الفرسان المتطوعة لمعاونة ملك قبرص . وكان أهم تلك العمليات معركة بحرية فى بحر إيجة أسفرت عن ضياع ست وعشرين سفينة من سفن القراصنة الأتراك فى فبراير سنة ١٣٤٦ [2] .

ولم يكن فرسان رودس أقل نشاطاً من ملك قبرص فى مهاجمة الأتراك ، إذ أحرقوا عدداً من سفن القراصنة الأتراك فى أحد موانى جزيرة أمبروز قرب الدردنيل وأبادوا عدداً من أولئك القراصنة إبادة تامة (مايو سنة ١٣٤٧)[3] .

وبينما تقوم قبرص ورودس بتلك الأعمال البحرية الكبيرة باسم الحلف المسيحى ، إنسحب هيو الرابع فجأة من الحلف وعدل عن سياسته العدائية ضد الأتراك بل سحب الحامية القبرسية من أزمير[4] . وهكذا أدى انسحاب ملك قبرص إلى تصدع الجبهة المسيحية المضادة للأتراك ، فاستدعى البنادقة سفنهم ، لا سيما بعد أن وجدوا أنفسهم على وشك الاصطدام بالجنوية من جراء ما بين الدولتين من تنافس مزمن بالشرق[5] ، كما حذوا حذو هيو الرابع فسحبوا حاميتهم من أزمير سنة ١٣٥٠ ، وانتهى الأمر بأن حل البابا الحلف فى ٨ سبتمبر سنة ١٣٥٠ و بذلك أصبح عبء الاحتفاظ بذلك الثغر الهام واقعاً على أكتاف الاسبتارية وحدهم حتى استيلاء المغول عليه سنة ١٤٠٢[6] .

---

(1) Mas Latrie ; p. 251.
(2) Atiya ; p. 311.
(3) Idem ; p. 315.
(4) Mas Latrie ; p. 254.
(5) Idem ; p. 255.
(6) Atiya ; p. 297.

ولا نستطيع أن نعرف على وجه التحقيق السبب الذى حوّل هيو الرابع فجأة عن حرب الأتراك بعد أن ظل متحمساً لها منذ أوائل حكمه ، غير أنه يحتمل أن يكون ذلك بسبب المشاكل الداخلية التى واجهت ملك قبرس ، وذلك فضلا عن انتشار الوباء بأنحاء الجزيرة انتشاراً فتاكاً سنة ١٣٤٨[١] . وبلغ من انصراف هيو الرابع عن شئون الحرب أن أرمينيا الصغرى استغاثت به عدة مرات ضد هجمات المسلمين من مماليك وأتراك ، ولكنه تجاهل تلك الاستغاثات وترك أمر مساعدة أرمينيا الصغرى للاسبتارية وحدهم ، كما رفض ما عرضه عليه أهالى أرمينيا من القدوم على ثغر جورهيجوس والاستيلاء عليه، وهو الحصن الهام على الشاطىء الجنوبى لآسيا الصغرى ، مفضلا الابتعاد عن جميع ما عساه يؤدى إلى الزج به فى ميدان القتال مع الأتراك[٢] . وبقى هيو الرابع على موقفه هذا حتى وفاته سنة ١٣٥٩ ، على الرغم مما وضح من أطماع بنى قرمان الأتراك فى امتلاك جورهيجوس .

وهكذا فوت هيو الرابع على القبارسة فرصة إمتلاك جورهيجوس من الأرمن رغبة منه فى مسالمة الأمراء الأتراك ، وهو الثغر الذى يستطيع القبارسة لو تملكوا عليه أن ينفذوا إلى قونيه وأنقرة وسيواس وأرضروم وغيرها من أسواق التجارة بآسيا الصغرى ، وأن يستغنوا به عن أزمير وما فيها من منافسات مع حاكمها الجنوى الذى عمل دائباً على توطيد أقدام جمهورية جنوه فى تلك الميناء[٣] . غير أن بطرس الأول لوزجنان أدرك ما فوته أبوه ، من ضرورة إمتلاك جورهيجوس ولا سيما بعد أن وضحت أطماع بنى قرمان فى ذلك الثغر الهام وأخذوا فى الزحف نحوه حتى استولوا على كل الأراضى المحيطة به[٤] . وكانت

---

(١) يقول مخايراس إن الوباء انتشر فى قبرس سنة ١٣٤٨ انتشارا خطيرا مات بسببه نصف سكان الجزيرة . وفى سنة ١٣٥١ أغار الجراد على الجزيرة فأتلف اليابس والأخضر .
(Makhiaras; P 61)

(2) Makhiaras ; Vol. I, p. 99.

(3) Mas Latrie ; pp. 259—260.

(4) Makhiaras ; Vol. I, p. 99.

أرمينيا الصغرى وقتذاك تعانى الأمرين من ناحية أطماع بنى قرمان من جهة ، ومن ناحية الدولة المملوكيه التى استولت على أهم المدن الأرمينية مثل سيس وأطنة وأياس من جهة أخرى . ولذلك رغب الأرمن فى الدخول تحت حماية بطرس لوزجنان[1] . وأرسل أهالى جورهيجوس بالذات فى ٨ يناير سنة ١٣٦٠ رسولين إلى بطرس يعرضان عليه تسلم القلعة[2] . ورأى بطرس أن فرصته جاءت « لأنه كان يتوق إلى امتلاك أرض فى تركيا »[3] ، فرحب بالرسولين وأرسل فى ١٥ يناير سنة ١٣٦٠ سفناً حربية بقيادة روبرت لوزجنان — أحد أقربائه الذين نزحوا إلى الشرق للعمل تحت رايته — ليتولى حكم القلعة باسمه[4] . واستقبل أهل جورهيجوس تلك السفن استقبالاً حماسياً وأقسموا يمين الولاء الملك بطرس ، ومن ثم صارت جورهيجوس تابعة لملوك قبرس وتأسست بها حامية قبرسية[5] .

غير أن ملك قرمان — علاء الدين خليل[6] — فزع لاستيلاء بطرس على قلعة جورهيجوس لعلمه بأطماعه الواسعة ورغبته الحارة فى تصفية حسابه مع المسلمين ، وأنه لن يقنع بتلك القلعة بل سوف يتخذها قاعدة لتهديد شواطئ آسيا الصغرى الجنوبية بأسرها[7] . لذلك أسرع علاء الدين إلى تحصين بلاده القريبة من جورهيجوس كما عمل حلفاً مع أمير العلايا وأمير أنطاليا وأمير مونوفوجات[8] ،

---

(1) Makhiaras ; Vol. I, p. 99.

(2) Sempad : Chronique du Royaume de la Petite Armenie (Rec. Hist. Cr. Tome I, p. 638).

(3) Makhiaras, Vol. I, p. 101.

(4) Sempad, (Rec Hist. Cr. Documents Armeniens Tome I, p. 638). وكذلك Machaut : La Prise d'Alexandrie ; p. 20.

(5) Makhiaras Vol. I, p. 101.

(6) Zambaur ; op.cit. p 158.

(7) Mas Latrie ; pp. 261—262.

(8) Makhiaras ; Vol. 2, p. 99. Note. 6.

هذا ، وليس فى المراجع المعاصرة وغير المعاصرة ما يشير إلى أسماء أولئك الأمراء. (أنظر Zambaur)

وأعد هؤلاء الحلفاء عدداً من السفن للإغارة على قبرس ليبثوا الرعب فى قلب ملكها الطموح[١] . غير أن المصادر المعاصرة لا تشير إلى إغارة من هذا النوع على قبرس ، بل تشير إلى نشاط الملك بطرس وسبقه بنى قرمان وأحلافهم إلى العمل عند ما سمع بحلفهم ضده ، فاستعد لهم وأرسل إلى رئيس الاسبتارية برودس يطلب منه النجدة ، فأمده بأربع سفن حربية انضمت إلى ست وأربعين سفينة جهزها الملك . وفى ١٢ يوليه سنة ١٣٦١ قصد الملك فاما جوستا حيث انضم إليه كثير من سفن القرصان فأصبح الأسطول مكوناً من مائة وتسع عشرة سفينة منها سفينتان أرسلهما البابا[٢] .

ولما سمع أمير العلايا عن استعدادات الملك بطرس أسرع بإرسال الرسل إلى قبرس يحملون الهدايا و يرجون عدم مهاجمة مدينتهم ، فصرف بطرس الرسل وأبحر فى ٢٣ أغسطس سنة ١٣٦١ قاصداً شواطئ آسيا الصغرى حيث رسا بسفنه قرب أنطاليا حيث أنزل الخيل إلى البر استعداداً لمهاجمة المدينة[٣] . وكانت أنطاليا وقتذاك من أعظم المدن التركية وأكبرها من حيث « اتساع المساحة والفخامة »[٤] ، كما كان يحيط بها سور عظيم ما زالت بقاياه ماثلة حتى عصر ابن بطوطة[٥] . ولكن العمرى وصف أهلها بأنهم « ليسوا أهل حرب »[٦] ، ولعل هذا هو الذى سهل على بطرس مهمته ، فدخل المدينة مساء ٢٤ أغسطس أثناء غيبة أميرها عنها[٧] ، وأصدر الملك أوامره بتدمير المدينة وإحراقها بعد نهبها ؛

---

(1) Makhiaras Vol. I, p. 103.

(٢) وأورد ماخيراس قائمة طويلة بأسماء قواد وفرسان الحملة Idem; P.P. 103—105

(3) Idem ; p. 107.

(٤) ابن بطوطة : تحفة النظار حـ ٢ ص ٢٥٨ .

(٥) نفس المرجع والجزء ص٢٥٩ وكذلك Makhiaras, Vol. 2P. 101

(٦) العمرى : حـ ٢ ق ٢ ص ٣٥٥ .

(7) Makhiaras, Vol. I, p. 107.

وذبح القبارسة كل من صادفوه بها من الأتراك رجالا ونساءاً سواء[١] . وبعد ذلك عقد بطرس مجلساً من كبار فرسانه لاستشارتهم فيما يجب عمله ، فنصحوه جميعاً بالاحتفاظ بالمدينة وعدم إخلائها ، فعين الملك أحد رجاله وإسمه چيمس دى نور نائباً عنه فيها ، وترك معه حامية كبيرة وثلاث سفن حربية للدفاع عنها وحراسة مينائها ، بعد أن أعلن الأمان لأهلها وأباح لهم الذهاب إلى قبرس[٢] .

وأحدث نبأ استيلاء بطرس على أنطاليا موجه من الرعب فى نفوس أمراء الجهات الجنوبية من آسيا الصغرى ، فأرسل إليه كل من أمير العلايا وأمير مونوفوجات رسولا يطلب منه الأمان ويتعهد بدفع جزية سنوية ورفع راية قبرس ببلاده رمزاً للولاء . وسر الملك بطرس من تلك العروض فأرسل إلى الأميرين المذكورين بعض أعلامه فرفعاها فى أماكن أعلى من أماكن أعلامهما[٣] . ويبدو أن الخوف من ملك قبرس لم يكن الدافع الوحيد الذى دفع هذين الأميرين التركيين إلى تقديم الولاء له ، بل هو خوف كذلك من آل قرمان ؛ أى أن خضوع أولئك الأمراء لملك قبرس على تلك الصورة السريعة لم يكن سوى مناورة سياسية للاستعانة به فى الوقوف فى وجه أطماع آل قرمان[٤] .

وفى ٨ سبتمبر سنة ١٣٦١ غادر الملك بطرس أنطاليا قاصداً العلايا ، فخرج أميرها ومعه حاشيته للقائه وأدى له فروض الولاء والتبعية وقدم إليه مفاتيح قلعته وبعض الهدايا الثمينة . لكن بطرس رد إليه مفاتيح القلعة وعقد معه اتفاقاً تعهد فيه الأمير أن يظل تابعاً أميناً للملك[٥] .

---

(1) Machaut ; p. 20.

ولم يشر مخايراس الى تلك المذابح

(2) Makhiaras, Vol. I, pp. 107—109.

(3) Makhiaras, Vol. I, pp. 107—109.

(4) Atiya ; pp. 327—328.

(5) Makhiaras, Vol. I, p. 109.

وقبل أن يغادر بطرس العلايا جاءه رسل من أمير مونوفوجات محملين بالهدايا فاستقبلهم بطرس استقبالا حسناً وطمأنهم على مستقبل بلدهم. ثم قفل راجعاً إلى قبرس فوصل كيرينيا فى ٢٢ سبتمبر سنة ١٣٦١ حيث استقبل استقبالا رائعاً[١].

وهكذا بدأ بطرس لوزجنان أعماله الحربية ضد الأتراك، وتم له الاستيلاء على أنطاليا . وكان لخبر استيلاء بطرس على ذلك المركز التجارى الفريد على على الساحل الجنوبى لآسيا الصغرى دوى فى الشرق والغرب معاً ، حتى أن بطرس توماس وهو من كبار الشخصيات الصليبية فى القرن الرابع عشر، عزم على الذهاب إليها بنفسه لتنظيم رجال الدين اللاتين بها وتبريك كنائسها « بعد أن دنسها الكفار (الأتراك) تلك المدة الطويلة »[٢] . على أن موجة الفرح التى عمت المسيحية بالاستيلاء على أنطاليا لم تظل طويلا ، لأنه لم يكن من المنتظر أن يسكت أميرها تكا[٣] على بقائها فى أيدى القبارسة وهى عاصمة إمارته ومركز حكمه . لذلك لم يكد بطرس يصل إلى قبرس حتى جمع تكا جيشاً لاسترداد المدينة ، ولكن الحامية القبرسية أنزلت به الهزيمة[٤] . على أن ذلك الفشل لم يثن تكا عن عزمه ، فعكف على مضايقة المدينة وحاميتها القبرسية بالإغارات المتكررة ، بعد أن فشل فى حمل حاكمها القبرسى على قبول رشوة . ثم لجأ تكا إلى سلاح آخر إذ ضرب الحصار على أنطاليا حتى منع القوت عنها ، وطلب إلى كافة الأتراك المجاورين منع بيع الأطعمة أو إرسالها إلى المدينة . وصادف ذلك فصل الشتاء فى الوقت الذى تعذر على السفن القبرسية السير فى البحر وحمل الأقوات

---

(1) Machaut ; op. cit p 21

(2) Mas Latrie, p. 267.

(٣) (تكا) لقب كان يطلق على أمراء أنطاليا وهو فى الواقع اسم مؤسس الأسرة. وتكا المذكور هنا رابع أمراء تلك السلسلة (Makhiaras, Vol. 2 P 107) وليس فى المراجع المعاصرة أو المتأخرة ما يشير إلى هذا الأمير بأكثر من ذلك الإسم المفرد . أنظر Zambaur; 153.

(4) Makhiaras, Vol. I, p. 111.

والنجدات ، فقاسى رجال الحامية الشيء الكثير من الحرمان والعذاب حتى أن الخيل لم تجد شيئاً تأكله فأكلت أوراق شجر الليمون [١] . وظن تكا أن خطته أثمرت فجمع جيشاً كبيراً فى إبريل سنة ١٣٦٢ استعداداً لهجوم نهائى ، وأرسل إلى حاكم أنطاليا يطلب إليه تسليم المدينة أو القتال ، فلما رفض الحاكم طلبه هاجمها تكا بكل قواه ولكنه هزم أيضاً تلك المرة [٢] . عندئذ عاد تكا إلى أعماله الانتقامية من جديد ، فهدم الدور والمنازل المحيطة بالمدينة ، وأحرق الغلال والحدائق القريبة منها ، ثم قطع مجرى الماء الذى يمدها بمياه الشرب ؛ كل ذلك ورجال الحامية القبرسية صامدون صابرون ، يقيمون الاستحكامات ويحصنون قلعة المدينة [٣] .

وفى ٩ مايو سنة ١٣٦٢ وصلت أنطاليا سفن النجدة من قبرس وعدتها أربع سفن حربية وست ناقلات للجنود وأربع من سفن القرصان [٤] . وقد رأى حنا الصورى حاكم أنطاليا الجديد الذى أتى على رأس النجدة أن يخفف الضغط عن المدينة بمهاجمة البلاد الساحلية القريبة منها وبذا ينتهى الحصار المضروب عليها ؛ فأغار على الجهات الساحلية المحيطة بأنطاليا ونهب كثيراً من المدن والقرى لاسيما مدينة ميرا Myra [٥] ، وهى المدينة القديمة التى تفنن الأباطرة البيزنطيون فى تزيينها وبناء الكنائس الفخمة بها ، فصادفت على أيدى القبارسة أضعاف

(1) Makhiaras, Vol. I, p. 111.

(2) Ibid.

(3) Ibid.

(4) Idem ; p. 113.

(٥) ميرا من أهم مدن إقليم ليكيا ، لها شهرة قديمة فى المسيحية بدأت بنزول القديس بولس فيها سنة ٦١ م ، كما كان القديس نيقولا اسقفها فى وقت ما من القرن الثالث . وأصبحت عاصمة إقليم ليكيا فى عهد الإمبراطور ثيودوسيوس ، كما غدت مركزا دينيا فى الدولة البيزنطية ، واستولت عليها قوات هارون الرشيد سنة ٨٠٨ . (أنظر Atiya; p. 172 Note.8.

ما لحق بها طوال الإحتلال التركى[١] . ذلك أن رجال حنا الصورى من القبارسة نزلوا بها فأوسعوها نهباً وسلباً وتدميرا ، ولم تسلم من أيديهم حتى الكنائس الجميلة وما بها من أوانى وصور ؛ ومن جملتها صورة شهيرة للقديس نيقولا حملوها فيما بعد إلى قبرس حيث وضعت فى الكنيسة التى تحمل إسم ذلك القديس بفاما جوستا . وقبل أن يبرح القبارسة ميرا أشعلوا فيها النار فالتهمت قلعتها[٢] .

على أن تلك الانتصارات المؤقتة لم تحسن موقف أنطاليا بحال من الأحوال. وبدا للقبارسة أن الأمل فى الاحتفاظ بها لا يمكن تحقيقه إلا إذا رضى الأتراك بتبعيتها لقبرس . ويبدو أن بطرس لوز جنان أدرك ذلك عندما أبحر إلى الغرب فى أكتوبر سنة ١٣٦٢ وقام برحلته الشهيرة لطلب الإمدادات والمساعدات من ملوك أوربا أملا فى شن حرب على مدى أوسع وأعظم على المسلمين بوجه عام[٣]

وما كاد نبأ سفر الملك بطرس إلى الغرب يذيع حتى أعلن تكا أمير أنطاليا عزمه على غزو ممتلكات قبرس فى آسيا الصغرى . وأسرع تكا إلى التحالف مع أمير العلايا واتفق الأميران على مهاجمة أنطاليا براً وبحراً[٤] . وعلم سير حنا كارمان — الذى حل أخيراً محل حنا الصورى فى حكم أنطاليا[٥] — بخبر ذلك التحالف ، فأرسل إلى نائب الملك بقبرس يطلب منه النجدة على عجل ، فأمده بثلاث سفن حربية وصلت أنطاليا قبل وصول الأتراك بيوم واحد . ثم وصل تكا على رأس جيش كبير وضرب خيامه أمام المدينة حتى إذا حان الموعد المتفق عليه مع أمير العلايا هجم على المدينة من ناحية البر على حين سدت السفن —

(1) Mas Latrie ; p. 270.

(2) Makhiaras, Vol. I, p. 113.

(3) Machaut ; op cit. p. 21.

وأنظر تفصيل رحلة الملك بطرس فيما سبق ص . ص ٥٠ — ٥١ .

(4) Makhiaras, Vol. I, p. 117.

(5) Ibid.

وعددها ثمان — مدخل الميناء[١] . وكان هجوم الأتراك تلك المرة شديداً عنيفاً ؛ فحاولوا تسلق أسوار المدينة لعلهم يأخذونها عنوة ولكن الحامية القبرسية أمطرتهم وابلا من القذائف الحجرية والسهام ، فاضطر المهاجمون إلى التراجع نحو معسكرهم تاركين خلفهم عدداً كبيراً من القتلى . واغتنم القبارسة تلك الفرصة فتعقبوهم وطاردوهم حتى تشتت شمل جيش تكا وتفرق جنده فى مختلف الجهات[٢] . وصادف ذلك مجىء بعض السفن من قبرس فطاردت السفن التركية التى اضطر رجالها إلى الفرار تاركين سفنهم للقبارسة ليحرقوها[٣] . غير أن تلك الهزيمة الساحقة التى نزلت بالأتراك لم تبعد خطرهم إلا مؤقتاً ، فظلوا يغيرون على المدينة من حين لآخر ويقلقون حاميتها ، وعلى تلك الحال استمر الوقف طوال سنة ١٣٦٢[٤] .

وفى سنة ١٣٦٣ انتشر بقبرس وباء فظيع أهلك كثيراً من الناس وامتد أثره إلى أنطاليا حيث مات به سير حنا كارمان حاكم المدينة ، فعين الوصى ابنه بدله[٥] . وكان تكا وقتذاك فى يأس من استرداد أنطاليا ففكر فى مهاجمة القبارسة فى عقر دارهم وملكهم غائب فى أوربا وأحوالهم لا تساعد على المقاومة بعد تفشى الوباء بينهم ، فأعد اثنتى عشرة سفينة تحت قيادة أحد رجاله من ذوى الخبرة بالبحر وأعمال القرصنة واسمه محمد رايس . وخرجت تلك السفن قاصدة قبرس فأغارت على بندايا[٦] حيث أسرت عدداً كبيراً من القبارسة وغنمت عدداً وفيراً من الماشية ثم عادت سالمة قبل أن تدهمها القوة المسلحة التى أرسلها نائب

---

(1) Ibid.

(2) Idem ; p. 119.

(3) Ibid.

(4) Mas Latrie ; p. 273.

(5) Makhiaras, Vol. 1, p. 119.

(٦) بندايا Pendayia بلده مطلة على خليج موروفو بقبرس (Makhiaras, Vol. 2, p. 107.

الملك من العاصمة لمطاردتها [١] . ويبدو أن تكا هدف من تلك الإغارة أن يشغل نائب الملك بتحصين الجزيرة والدفاع عنها فيلهيه ذلك عن إمداد أنطاليا وتموينها [٢] . ولكن خاب ظنه ، إذ لم تكد سفنه ترحل عن بندايا ، حتى وصلت إلى أنطاليا سفينتان تحملان المؤن والأمداد من قبرس [٣] . لذلك عاود تكا الكرة على قبرس ، وشجعه على ذلك ما أخبر به محمد رايس من خلو السواحل القبرسية من وسائل الدفاع ، فأرسله تكا مرة أخرى على رأس ست سفن ، واتجه محمد رايس تلك المرة إلى قرباص على الشاطىء الشمالى الشرقى للجزيرة فنهب كثيراً من القرى وعاد وسفنه محملة بالأسرى والغنائم [٤] .

ودهش نائب الملك لتلك الجرأة التى جعلت الأتراك يغيرون على قبرس مرتين ، فأرسل فوراً إلى فاما جوستا يأمر بإعداد أربع سفن لحراسة الشواطىء القبرسية [٥] ، وسمح لقرصان الجزيرة بالإغارة على شواطىء آسيا الصغرى ونهبها [٦] ، كما قبض على جميع التجار الأتراك بالجزيرة [٧] .

أما السفن التى خصصها نائب الملك لحراسة الشواطىء القبرسية فالتقت بسفينتين للقراصنة الأتراك جاءتا للإغارة على الجزيرة وكانت إحداهما راسية على الشاطىء حيث نزل رجالها للنهب والسلب ، فأشعل القبارسة فيها النار ، وأخذوا رجالها أسرى وأرسلوهم إلى نيقوسيا حيث أمر نائب الملك بشنقهم ، هذا بينما ولت السفينة الثانية الأدبار عندما رأت السفن القبرسية ولكن القبارسة طاردوها وأسروها [٨] .

---

(1) Makhiaras, Vol. I, p. 121.
(2) Mas Latrie ; p 273.
(3) Makhiaras, Vol. I, p 121.
(4) Ibid.
(5) Ibid.
(6) Mas Latrie ; p. 274.
(7) Atiya ; p. 329.
(8) Makhiaras, Vol. I, p. 123.

ولم يقنع نائب الملك بتلك النتيجة و إنما رأى أن يهاجم تكا فى عقر داره كما فعل الأتراك من قبل ، فأعد حملة سنة ١٣٦٣ أغارت على أنامور[١] ونهبتها وأشعلت فيها النار ودمرت قلعتها ولم يغادر القبارسة تلك المدينه إلا بعد أن أسروا عدداً كبيراً من الأتراك . ثم قصدوا سيكى[٢] وحاصروها ولكنهم سمعوا أثناء حصارها أن الرايس محمد يغير على قبرس من جديد فاضطروا إلى مغادرة الشواطئ التركية والعودة إلى قبرس مسرعين[٣] .

والواقع إن محمد رايس أغار على الشواطئ القبرسية فى تلك السنة، غير أنه لم يكن فى شىء من القوة التى يستطيع بها الوقوف فى وجه السفن القبرسية ، لذلك أطلق سفنه للريح بعد معركة عنيفة قتل فيها قائد الأسطول القبرسى[٤] .

غير أن السفن القبرسية ألحت فى مطاردته فاضطر محمد رايس إلى الالتجاء إلى طرابلس بالشام[٥] . ولما كانت قبرس وقتذاك فى حالة سلم مع دولة المماليك فإن قائد السفن القبرسية لم يشأ مهاجمة طرابلس ، بل اكتفى بأن طلب إلى نائبها[٦] تسليم محمد رايس أو عدم حمايته على الأقل . ولكن نائب طرابلس أبى أن يطرد محمد رايس وهو مجاهد مسلم مثله ليقع فريسة فى أيدى المسيحيين ، فاعتذر بأنه لا يستطيع تسليم محمد رايس أو طرده دون إذن من السلطان شعبان فى القاهرة . وعندئذ أعد قائد السفن القبرسية إحدى سفنه ليرسلها إلى الإسكندرية محملة بالهدايا على أن يقدم نائب طرابلس إثنين من رجاله لمرافقة السفينة إلى المياه

(١) أنامور بلدة تقع بين العلايا وجورهيجوس على شاطىء آسيا الصغرى الجنوبى .Makhiaras, Vol 2, p 108

(٢) سيكى بلدة تقع قرب جورهيجوس على شاطىء آسيا الصغرى الجنوبى (Ibid) .

(3) Makhiaras, Vol. I, p. 125.

(4) Atiya ; p. 329.

(5) Makhiaras, Vol. I, p. 125.

(٦) يطلق مخايراس على نائب طرابلس اسم (ملك أمير) ، ويرجح دوكنز أن يكون المقصود بذلك الأمير منكلبغا الشمسى (Makhiaras, Vol. II, p. 115) .

المصرية ، فوافق النائب ثم رفض لوجود إثنين من الأتراك المسلمين من أسرى أنيمور من ضمن الهدايا ، ولم يسمح للسفينة القبرسية بالتوجه إلى السلطان[١] .

والواقع أنه لم يكن من المنتظر أن يوافق السلطان المملوكى على تسليم محمد رايس فى الوقت الذى كان المماليك ينظرون بقلق إلى القبارسة وهم يثبتون أقدامهم على شواطئ آسيا الصغرى ، بل إن المماليك أيدوا عندئذ محاولات تكا وغيره من الأتراك فى طرد القبارسة من على شواطئ بلادهم ، وأن كان ذلك التأييد خفياً ومستترا نظراً للصلح القائم بين المماليك والقبارسة[٢] .

وفى سبتمبر سنة ١٣٦٤ أرسل نائب الملك بقبرس أربع سفن تحت قيادة سير بول دى بون لتقوية حامية أنطاليا ، فأرست واحدة من تلك السفن بالميناء على حين توجهت السفن الثلاث الباقية للإغارة على الشواطئ الجنوبية لآسيا الصغرى حتى وصلت إلى العلايا فدخلت ميناءها وهاجمت قلعتها ودمرت جزءاً كبيراً منها . ثم قفلت راجعة إلى قبرس فى سرعة عندما فوجئت بخمس سفن للقراصنة الأتراك[٣] . ولم يشأ نائب الملك أن يقنع بتلك النتيجة فأمر بضم سفينتين أخريين وأرسلها جميعاً لكشف أخبار السفن التركية وأهدافها . ولكن لم تكد تلك السفن تغادر الجزيرة ، حتى ظهرت أمام الساحل القبرسى ثلاث سفن تركية ، فنزل الأتراك إلى البر ونهبوا وأسروا كثيراً من الأهالى ثم حاولوا الفرار من السفن القبرسية التى لحقت بهم وأسرتهم جميعاً ، فحملوا إلى نيقوسيا حيث شنقوا[٤] . ويبدو أن هذه النتيجة السيئة جعلت تكا وغيره من الأمراء الأتراك يقررون فيما بينهم عدم إرسال سفن للإغارة على قبرس (سنة ١٣٦٤)[٥] .

---

(1) Makhiaras, Vol. I, pp. 125—127.

(2) Mas Latrie, p. 275.

(3) Makhiaras, Vol. I, p 131

(4) Idem ; p. 133.

(5) Idem ; p. 135.

وفى أغسطس سنة ١٣٦٥ عاد الملك بطرس لوزجنان إلى قبرس بعد رحلته الطويلة فى أوربا ليعد العدة لحملته الصليبية الشهيرة ، التى تقرر أن تجتمع فى ميناء رودس[١] . ويلاحظ أن اجتماع القوات القبرسية وغيرها من القوى الصليبية فى رودس — وعلى مقربة من شواطىء آسيا الصغرى — ألقى الذعر فى قلوب الأمراء الأتراك القريبين ، إذ ظنوا أن الملك بطرس يعد العدة للإغارة على بلادهم إغارة حاسمة . ولذا أسرع أمير بلاتشيا على شاطىء آسيا الصغرى الغربى وأمير أيا سلوق جنوبى أزمير إلى إرسال السفراء يطلبون منه الأمان وتجديد الصلح[٢] . وتوسط رئيس الاسبتارية بين الأميرين والملك بطرس ، لما بينه وبينهما من علاقات ودية حتى انتهى الأمر بعقد اتفاق تعهد فيه الأميران التركيان بدفع جزية سنوية للملك نظير عدم الاعتداء على مدنهما أو قلاعهما[٣] .

ثم وقع اختيار الملك بطرس على الاسكندرية، ولقيت الاسكندرية مالقيت على يده ، ورجع ملك قبرس إلى الجزيرة تحوطه موجة من السخط منبعثة من جميع أنحاء العالم الإسلامى[٤] ؛ ويقال إن بعض الأمراء الأتراك فى آسيا الصغرى أخذوا يعدون المساعدات والنجدات لإرسالها إلى المماليك ، لعلهم يفكرون فى الانتقام من قبرس وملكها . بل يقرر ماشو — وهو معاصر — أن بعض تلك المساعدات وصل القاهرة فعلا[٥] ، رغم أن الكتب العربية المعاصرة ليس فيها ما يؤيد هذه الرواية . على أن موضع الأهمية هنا أن الملك بطرس اتخذ من تلك الإشاعات علة لمهاجمة الشواطىء التركية ، فأمر مونسترى قائد الأسطول القبرسى بالتوجه بالسفن التى جهزت قبلا لمهاجمة بيروت للإغارة بها على شواطىء آسيا الصغرى والقضاء على ما عسى أن أعده الأتراك لمعاونة المماليك[٦] .

---

(١) أنظر ما سبق ص ٥٧ — ٥٨ .

(2) Mas Latrie ; p. 278.

(3) Ibid.

(٤) أنظر ما سبق ص ٦٩ — ٧٢ .

(5) Machaut, p. 120.

(6) Makhiaras, Vol. I, pp. 159—161.

وذهب مونسترى إلى شواطئ بنى قرمان على مقربة من العلايا فانقض على بعض السفن التركية وقتل عددا كبيرا من بحارتها بعد أن أشعل فيها النار (إبريل — مايو سنة ١٣٦٦). وأثار ذلك النجاح روح الحماسة بين الجنود القبارسة، فرأى مونسترى أن يستغل تلك الروح فى مهاجمة العلايا نفسها أملا فى الإستيلاء عليها، ولكنه لم يستطع ذلك لمناعة المدينة وقوة تحصينها[١]؛ فاكتفى بنهب الضياع والقرى المحيطة بها كما استولى على السفن التركية الراسية فى مينائها وساقها إلى أنطاليا ومنها إلى فاماجوستا[٢].

وبينا المفاوضات دائرة فى قبرس بين الملك بطرس والمماليك لعقد الصلح سنة ١٣٦٧، تسلم الملك رسالة من قائد حامية جورهيجوس تخبر بأن قوات الأتراك بقيادة علاء الدين خليل بن قرمان[٣]، ضربت الحصار على القلعة بتحريض من سلطان مصر[٤]، فاستدعى بطرس رسل المماليك وقرأ عليهم الرسالة وبين لهم غدر سلطانهم. ولكن الرسل نفوا نفيا باتا مانسب إلى سلطانهم من تحريض بنى قرمان على مهاجمة جورهيجوس[٥]. ولم يستطع بطرس فى الواقع أن يجد الدليل القاطع الذى يثبت أن مهاجمة جورهيجوس جاءت بتحريض السلطان، غير أن الأمر لم يكن بعيد الاحتمال، إذ المعروف أن علاقة بنى قرمان بالمماليك قامت على أسس من المودة والمنفعة المشتركة، ومصداق ذلك قول العمرى عند كلامه عن بنى قرمان « إن أهل هذه المملكة على موالاة سلطان مصر ويميلون إليه فى جهاد الأرمن »[٦]. ولا يستبعد أن يكون اختيار ذلك الوقت بالذات للهجوم على تلك القلعة الأرمينية مناورة قصد بها سلطان المماليك أن يذعن الملك بطرس

(1) Machaut ; op. cit p. 121.
(2) Idem ; p. 122.
(3) Zambaur ; p. 158.
(4) Makhiaras, Vol. I, p. 175.
(5) Ibid.

(٦) العمرى : مسالك الأبصار ج ٢ ق ٢ ص ٣٥٥ .

الشاطئ الجنوبي لآسيا الصغرى

أرمينيا
قرمان
اناطوليا
البحر الأبيض المتوسط
قبرص
كريت
ايلس
طرسوس
اسكندرونة
انطاكية
جورهجوس
سليكي
موتوتوجات
انطاليا
فنيكا
مرميرا
العلايا
انامور
اللارقية
كرينيا
فاماجوستا
لارناكا
طرابلس
ليماسول
بافوس
بيروت
مسكو
كوس
ناكسوس
باروس
اندروس
رودس
سكاربنتو
توستامو
كاناي
سودا
كانديا
سنيا

— أمام ذلك الخطر المفاجئ — لشروط الصلح التى يعرضها المماليك[١]. ثم إن المماليك كانوا يفاوضون ملك قبرص، ويستعدون لغزو جزيرته والانتقام منه فى آن واحد، حتى أنهم وزعوا النفقات على المقاتلين فعلا[٢]، فليس من المستبعد أنهم حرضوا علاء الدين خليل على مهاجمة جورهيجوس ليذهب بطرس بنفسه لتخليصها، فيخلو الجو أمام المماليك[٣].

وكيفما كان الأمر، فإن بطرس ظل فى نيقوسيا يشرف على سير المفاوضات مع مندوبى المماليك، على حين أمر بإعداد عشر سفن حربية لنجدة جورهيجوس[٤]. وغادرت تلك السفن الجزيرة فى ٢٦ فبراير سنة ١٣٦٧ تحمل ثلثمائة من الرماه وخمسمائة من الفرسان بينهم عدد كبير من الفرسان الفرنسيين البارزين[٥]، عدا كميات كبيرة من المؤن والأموال، مما جعل ماشو يفيض فى وصف تلك الحملة وسفنها ورجالها[٦]. أما علاء الدين خليل فاحتل موقعا حصينا مشرفا على القلعة قبل أن تصل الحملة القبرسية إلى الميناء ومن ذلك الموقع أخذ يقذف القلعة بالمجانيق قذفا متواصلا[٧]. على أن ذلك لم يفت فى عضد القبارسة فخرجوا بعد عدة أيام من وصولهم للقاء العدو[٨]، واستمرت المعركة بين الطرفين فترات متقطعة نحوا من أسبوع آخره ٨ مارس سنة ١٣٦٧ عندما هزم الأتراك بعد أن قتل منهم عدد كبير، عدا الأسرى[٩]، وجرح علاء الدين نفسه فى عدة مواضع[١٠]. ولما سمع

---

(1) Mas Latrie ; p. 284.

(٢) العينى: عقد الجمان حـ ٢٤ ق ١ ص ١٣٩، أبو المحاسن حـ ٥ ص ١٩٥ — انظر ما سبق ص ٨٧.

(3) Mas Latrie ; p. 284.

(4) Makhiaras ; Vol. I, p. 175.

(5) Mas Latrie ; p. 285.

(6) Machaut ; pp. 135—171.

(7) Idem ; p. 160.

(8) Makbiaras, Vol. 1, p. 177.

(9) Machaut, pp. 161—169.

(10) Makhiaras, Vol. I, p. 177.

علاء الدين أن مفاوضات الصلح دائرة بين المماليك والقبارسة ، أرسل إلى بطرس رسولا يطلب الصلح والأمان ، وانتهى الأمر بعقد معاهدة بين الطرفين سنة ١٣٦٧ ؛ ولم يحاول بعدها بنو قرمان إزعاج القبارسة فى جزيرتهم أو فى أملاكهم على شاطئ آسيا الصغرى طوال حكم الملك بطرس[١] .

أما أنطاليا فيبدو أن المشاغل الكثيرة التى حاطت الملك بطرس جعلته يتأخر على حاميتها فى إرسال الرواتب والمؤن . ولم يلبث أن أدى ذلك إلى ثورة بزعامة أحد رجال الحامية واسمه بطرس كانل الذى أخذ مفاتيح القلعة وهدد بتسليمها إلى الأتراك إذا لم تصل الرواتب المتأخرة والمؤن الكافية فورا[٢] ، وأسرع قائد الحامية بتطيير نبأ الثورة إلى الملك بطرس فجاء إليها بنفسه على رأس ثلاثين سفينة (مايو ١٣٦٧) ، ولم يغادرها إلى رودس إلا بعد أن أخمد الثورة وقتل زعيم الثوار ، ثم ذهب بطرس إلى أنطاليا مرة أخرى و بعث حنا مونسترى إلى تكا يدعوه لمقابلته هناك[٣] ، ووثق تكا فى رسول الملك فحضر إلى أنطاليا ومعه الهدايا الفاخرة، وقدم فروض الطاعة والتبعية للملك بطرس كذلك حضر كثير من أمراء الجهات المجاورة من الأتراك وأعلنوا ولاءهم[٤] . غير أن الملك بطرس لم يكتف بتلك الوعود ، بل أراد أن يبذر بذور الشقاق بين أولئك الأمراء ، حتى يلهيهم النزاع فيما بينهم عن التفكير فى قبرس وممتلكاتها الأسيوية[٥] . ويبدو أن بطرس قام بهذه المحاولة ليمنع اجتماع الأمراء الأتراك من الإغارة على قبرس وأملاكها أثناء غيبته فى رحلته التى عقد النية على القيام بها ثانية إلى أوربا . ومما يدل على خوف بطرس من تلك الناحية أنه قطع المفاوضات مع السلطان المملوكى وأغار بأسطوله على طرابلس وغيرها من البلاد والموانى

---

(1) Mas Latrie ; p. 297 .

(2) Makhiaras ; Vol. I, p. 181.

(3) Idem ; p. 189.

(4) Ibid.

(5) Mas Latrie ; p. 300.

المملوكية على طول سواحل الشام وأرمينيا الصغرى ، أملا فى إلقاء الرعب فى قلوب الأمراء الأتراك ، ولكنه منى بالفشل فى أغلب تلك العمليات الحربية ولاسيما عند إياس فى سبتمبر سنة ١٣٦٧ ، مما أدى إلى عكس ماتوخاه بطرس (١). ذلك أن أمير العلايا علم بما أصاب ملك قبرس من فشل عند إياس ، فجمع خمس سفن أرسلها للإغارة على أطراف قبرس ، فنهبت كثيرا من الضياع وأسرت عددا كبيرا من القبارسة وعادت سالمة (٢) .

ثم سافر بطرس إلى غرب أوربا ربيع سنة ١٣٦٨ لطلب المساعدة من البابا أربان الخامس (١٣٦٢ — ١٣٧٠) للقيام بحملة صليبية جديدة . لكن الجمهوريات الإيطالية ذات التجارة الواسعة مع المسلمين نجحت فى استمالة البابا إلى صفها مما خيب آمال بطرس (٣). وفى تلك الأثناء غدا موقف أرمينيا الصغرى حرجا بسبب حركات المماليك والمغول على أطرافها الشرقية والجنوبية ، وذلك على الرغم من انقطاع أعمال ابن قرمان ضدها . ورأى الأرمن وقتذاك أن يستعيضوا عن ملكهم ليون الخامس بطرس لوزجنان ، فأعلنوه ملكا عليهم سنة ١٣٦٨ ، وأرسلوا إليه وهو بروما يخبرونه بذلك فترك روما مسرعا إلى البندقية ومنها ركب البحر إلى قبرس مزوّدا بالآمال فى إنقاذ أرمينيا (٤) . ولكن لم يكد يصل إلى قبرس حتى انهارت آماله ، إذ وقف فرسانه فى وجهه وأخذوا يحيكون المؤامرات ضده حتى انتهى الأمر بقتله فى يناير سنة ١٣٦٩ (٥) .

وعند ماعلم تكا بمقتل ملك قبرس وماتلا ذلك من انتشار الفوضى فى الجزيرة أخذ يجدد محاولاته لاسترداد أنطاليا (٦) . ولجأ تكا إلى الحيلة تلك المرة ، فأرسل

---

(١) انظر ما سبق ص ٧٧ — ٧٨ .

(٢) النويرى : الإلمام بالإعلام حـ ٢ ص ٦٣ ب .

(3) Machaut ; op. cit. p. 221.

(4) Mardiros de Crimée : (Rec. Hist. Cr. Doc. Arm. Tome I p. 683).

(5) Makhiaras, Vol. I, p. 273.

(6) Idem ; p. 303.

بعض أتباعه متنكرين إلى المدينة سنة ١٣٧٠ لتنفيذ المؤامرة وأشعل أولئك الأتباع النار داخل المدينة وفق التعليمات التى زودوا بها ، على حين قام تكا بشن هجوم خاطف عليها . لكن الحامية القبرسية تنبهت فى الوقت المناسب فقاومت الهجوم مقاومة عنيفة حتى ارتد الأتراك على أعقابهم بعد أن تكبدوا خسارة جسيمة[1] . ثم أرسل الوصى على ملك قبرس بضع سفن إلى شواطئ آسيا الصغرى لمعاقبة تكا مرة أخرى ، فأغارت على شواطئ الأتراك ونهبت أموري[2] (١٣٧١ — ١٣٧٢) .

على أنه حدث عندما صار بطرس الثانى ملكا على قبرس سنة ١٣٧٢ ، أن أعلن ميله إلى البنادقة دون الجنوية بالجزيرة ، وسرعان ماشب النزاع بين الجنوية والبنادقة حتى أعلنت جنوا الحرب على قبرس وأرسلت حملة لغزوها[3] . وأحس الملك بطرس الثانى أثناء الحرب بين القبارسة والجنوية بصعوبة الاحتفاظ بأنطاليا ، وخشى أن ترسل جنوه سفنها لتستولى عليها وتتخذ منها قاعدة لطعن قبرس بين حين وآخر[4] . هذا إلى أن حامية أنطاليا نفسها غدت محرومة من المؤن والإمدادات القبرسية لانقطاع المواصلات بينها وبين الجزيرة بسبب تربص الجنوية فى البحر ، وذلك فضلا عن حاجة الملك إلى رجال تلك الحامية للدفاع عن الجزيرة[5] . ولهذه الاعتبارات عقد بطرس الثانى مجلسا من كبار فرسانه ، فتقرر فيه إعادة أنطاليا إلى الأتراك خير من وقوعها فى يد الجنويه[6] ، وذهب رسولان من القبارسة إلى تكا يعرضان عليه أخذ أنطاليا بشرط أن يظل على ولائه لملك قبرس ويدفع له الجزية ويتعهد بالقيام بكل التزام آخر فى

(1) Ibid.

(2) Idem ; p. 305.

(٣) انظر ما سبق ص ٨٢ — ٨٣ .

(4) Makhiaras ; Vol. I, p. 345.

(5) Ibid.

(6) Ibid.

المستقبل[١]. وكان من الطبيعى أن يقابل تكا ذلك العرض بمنتهى الغبطة فغمر الرسولين بالهدايا ، وفى ١٤ مايو سنة ١٣٧٣ نصب تكا معسكره أمام أنطاليا وأقسم يمين الولاء والتبعية لملك قبرس ، ثم غادر القبارسة المدينة مزودين بالهدايا الثمينة[٢] .

وهكذا فقد القبارسة مدينة أنطاليا وهى الحصن المنيع والموقع التجارى الفريد. وكان فى استطاعة بطرس الثانى بدلا من تسليمها للأتراك أن يلقيها للجنويه فيحول أنظارهم عن فاماجوستا ، لاسيما وأن أنطاليا لم تقل عن فاماجوستا فى الميزات الطبيعية والتجارية[٣] . ثم إن تسليم أنطاليا للأتراك على تلك الصورة كان — على قول مخايراس — عارا كبيرا لحق بالمسيحية[٤]. فمنذ اثنى عشر عاما جاهد الملك بطرس الأول فى سبيل الاستيلاء عليها ، حتى إذا تم له ذلك قال عبارته الشهيرة وهى أنه استولى على أنطاليا لتبقى فى أيدى المسيحيين إلى الأبد ؛ ولكن لم تمض على موته مدة طويلة حتى عادت أنطاليا إلى الأتراك لتبقى فى أيديهم إلى الأبد . ولعل السبب فى ذلك هو أن تلك الإثنى عشر عاما غيرت من أحوال قبرس تغييرا عظيما ، فأصبح لها فى كل ثغر من الثغور الإسلامية المحيطة بها عدو جاثم متربص ، وذلك فضلا عن أن الجمهوريات الإيطالية لاسيما جنوا أخذت تحسد قبرس على موقعها التجارى وتنظر إليها بعين الجشع والطمع .

ثم إن تكا لم يحافظ على تعهداته طويلاً ولم يواظب على دفع الجزية السنوية المتفق عليها، هذا فى الوقت الذى يرجح أن أمراء سيكى وأنامور و بلاتشيا كفوا كذلك عن دفع الجزية لمملكة قبرس بعد أن ظهر ضعفها للعيان[٥] . و بذلك

---

(1) Ibid.

(2) Idem ; p. 347.

(3) Mas Latrie ; p. 309.

(4) Makhiaras ; Vol. I, p. 347.

(5) Mas Latrie ; p. 311.

يكون نفوذ قبرس قد تقلص فى أواخر أيام بطرس الثانى (١٣٦٩ — ١٣٨٢) بحيث لم يبق للقبارسة فى آسيا الصغرى سوى قلعة جورهيجوس . و إذا استطاع آل لوزجنان أن يحتفظوا بتلك القلعة مدة طويلة حتى سنة ١٤٤٨[1] ، فالفضل فى ذلك لايرجع إليهم شخصيا بقدر مايرجع إلى الظروف التى ألهت آل قرمان عن أرمينيا الصغرى وعنهم . ذلك أن آل عثمان أخذوا فى الظهور على سائر الإمارات التركية بآسيا الصغرى منذ سنة ١٣٢٦ ، فتوسعوا على حساب الإمارات المجاورة توسعا سريعا وضموا إليهم بلادها إما بالسيف أو بالمال أو بالمصاهرة[2] . وظل آل عثمان على تلك الحال حتى صاروا قاب قوسين أو أدنى بكثير من آل قرمان وأضحى الاصطدام بينهم وآل قرمان أمرا لامندوحة عنه . ثم كان أن غزا السلطان بايزيد العثمانى إمارة قرمان (أرمناك)[3] سنة ١٣٩١ حتى وصل عاصمتها قونية . وعلى الرغم من الصلح الذى عقده بايزيد مع علاء الدين القرمانى تلك السنة ، فإنه عاد فى العام التالى وغزا أرمناك من جديد ، وحطم فى هذه المرة قوة علاء الدين فى اكتشاى ودخل قونية و بذا أصبح بنو عثمان القوة الكبرى فى آسيا الصغرى[4] .

وكان أشد مايخشاه العثمانيون خلال الصراع بين بنى قرمان و بنى عثمان هو أن يتحالف بنو قرمان مع القبارسه ضدهم . ولذلك حرصوا على أن تكون علاقتهم طيبه مع ملك قبرس ، وأرسلوا الرسل إلى بطرس الثانى لوزجنان لتأكيد حسن الجوار .[5] واستمرت العلاقات الطيبه بين قبرس و بنى عثمان ، فتبودلت

---

(1) Machaut ; p. 284.

(2) Gibbons ; pp. 54—179

(٣) أرمناك هو الإسم الذى يطلق إمارة بنى قرمان (انظر العمرى ح ٢ ق ٢ ص ٣٤٨).

(4) Gibbons ; pp. 187—190.

(5) Mas Latrie ; op. cit p. 318.

المكاتبات الوديه بين الفريقين ، حتى أن المسيحيين عقب كارثة نيقوبوليس الشهيرة سنة ١٣٩٦ لم يجدوا أفضل من ملك قبرص ليوسطوه لدى السلطان بايزيد لفداء الأسرى ، فقبل جاك ملك قبرص (١٣٨٢ — ١٣٩٨) الوساطه وأرسل هدية إلى بايزيد قيمتها عشرون ألف دوكات ، وهى عبارة عن نموذج سفينه من الذهب الخالص .[1]

ثم كان أن اجتاح تيمورلنك آسيا الصغرى أوائل القرن الخامس عشر الميلادى فهزم بايزيد العثمانى وأسره سنة ١٤٠٢ م . و بذلك يكون تيمور لنك قد هدم فى عام واحد ما بناه بنو عثمان فى أعوام طويلة ، فأعاد أمراء تكا وأرمناك ومنتشا وصاروخان وقصطمونى وغيرها إلى بلادهم [2] . على أن تيمورلنك له أهمية أخرى هنا، وهى أنه استولى فى ديسمبر سنة ١٤٠٢ على أزمير التى ظلت فى أيدى الإسبتارية حتى تلك السنة ، ومن ثم عادت أزمير عن طريق المغول إلى المسلمين .[3] ولاشك فى أن المسيحيين خسروا خسارة كبرى لضياع أزمير لأنها لم تكن موقعاً حربياً فحسب و إنما ظلت طوال القرن الرابع عشر الميلادى مركزاً تجارياً يؤمه كثير من التجار الأوربيين والاغريق والقبارسه .[4]

أما أمراء أرمناك (قرمان) فلم يحاولوا إزعاج قبرص أو الاعتداء عليها مطلقا عقب إسترداد بلادهم على يد تيمور لنك . وتوجد كثير من الشواهد التى تدل على حسن العلاقات بين بنى قرمان وملوك قبرص خلال القرن الخامس عشر . فنى سنة ١٤١٥ تحطمت مركب ناصر الدين القرمانى على مقربة من شواطىء قبرص، فأسر الملك جانوس لوزجنان بمركب جديد وأوصله إلى بلاده بعد أن أهدى

(1) Atiya ; p 450.
(2) Hammer, Tone II; p p. 110 -- 114
(3) Gibbons, op. cit p. 250
(4) Mas Latrie ; p. 326

إليه هدايا فاخرة [١] . وفى سنة ١٤٢١ مر محمـد بك بن قرمان بجزيرة قبرس فأرسل إليه جانوس هدايا ورحب به [٢] . ويرجع بعض السبب فى تلك العلاقات الطيبه بين ملوك قبرس و بنى قرمان إلى أن الأمور لم تكن على ما يرام بين بنى قرمان وسلاطين المماليك فى القاهرة بسبب الخلاف بين الفريقين حول إقتسام بعض الأسلاب الأرمنية [٣] . ولذا وقف بنو قرمان الى جانب الملك جانوس سنة ١٤٢٦ حين غزا المماليك الجزيرة غزوتهم الثالثة ، اذ صادف المماليك فى موقعه خيروكيتا عددا كبيرا من التركمان الوافدين من عند على بك قرمان [٤] .

أما العلاقات بين قبرس وسائر الأمراء الأتراك فى القرن الخامس عشر فيبدو أنها لم تكن على ما يرام إذ وقف أمير العلايا مثلا موقفا عدائيا من ملك قبرس ، وأخذ يرسل الرسل الى السلطان برسباى بالقاهرة يهون عليه فتح الجزيرة [٥] . وكان الدافع لأمير العلايا على ذلك الموقف هو أن الخطر الأكبر الذى يهدده لم يأت من ناحية ملوك قبرس فحسب ، بل من ناحية حلفاء أولئك الملوك وهم بنو قرمان فى القرن الخامس عشر . [٦]

وعندما ولى حنا الثانى لوزجنان عرش قبرس سنة ١٤٣٢ ، أرسل إلى ابراهيم بك قرمان رسولا لتأكيد السلام بين الطرفين ومعه هدايا من العبيد والقماش والسكر والأسلحة ، فتقبلها السلطان القرمانى وأكد للقبارسه رغبته فى السلام . كذلك أرسل حنا الثانى بعثة مشابهة إلى بنى عثمان [٧] . وهكذا أصبح

---

(1) Ziada : The Mamluk Conquest of Cyprus ; Part 2 p. 45.

(٢) العينى : عقد الجمان حـ ٢٥ ق ٣ ص ٥١٥ .

(3) Mas Latrie ; p. 329.

(٤) المقريزى : السلوك حـ ٤ ص ٣٧٤ ب ، أبو المحاسن حـ ٦ ص ٦٠٧ .

(5) Makhiaras ; Vol. I, p 653.

(6) Ziada : The Mamluk Conquest of Cyprus ; Part I, pp. 99—100

(7) Mas Latrie ; pp. 330—331.

آل لوزجنان بقبرس ولاهم لهم إلا إرضاء المسلمين ، المماليك و بنى عثمان من جهة وسائر أمراء آسيا الصغرى من جهة أخرى مما جعل سياستهم العامة تتخذ طابعاً سامياً للمحافظة على سلامه جزيرتهم وتجارة رعاياهم . غير أن أمير العلايا ظل على موقفه العدائى من قبرس ، بل إنه فكر فى غزو الجزيرة نفسها سنة ١٤٤٤ ، ولم يعدل عن رأيه إلا بعد أن تأكد من وصول نجدات رودسية قوية إلى قبرس فخشى أن يثير عمله جماعة الاسبتارية وهم فى زهوهم بعد النصر على أسطول المماليك سنة ١٤٤٠ [١] .

ثم أخذ جو العلاقات بين ملوك قبرس و بنى قرمان يتلبد بالغيوم بعد طول صفاء . ذلك أن ضعف الجزيرة وما آل إليه أمرها من إنحلال أثار طمع إبراهيم بك قرمان فى الإستيلاء على جورهيجوس ، فهدد باحتلالها سنة ١٤٤٨ إذا لم يدفع له ملك قبرس جزية سنوية كبيرة [٢] . ولكى يؤكد إبراهيم عزمه ، بنى حصناً فى ستلامورى بالقرب من جورهيجوس وأعد قواته البرية والبحرية للقتال . ولم تفلح وساطة رئيس الاسبتارية تلك المرة فاقتحم إبراهيم بك القلعة بمساعدة المماليك فى منتصف نوفمبر سنة ١٤٤٨ وتم له الإستيلاء عليها فى سهولة [٣] . و بذلك فقد القبارسة آخر حصن لهم على ساحل آسيا الصغرى ، وهو الحصن الذى ظل فى أيديهم أكثر من ثمانين سنة . وكان ضياع جورهيجوس خسارة كبرى لحقت بقبرس لأن أهمية ذلك الموقع لم تقتصر على تيسير التجارة مع القارة الأسيوية فحسب ، بل كانت أيضا بمثابة خط دفاع يحمى قبرس من هجوم بنى قرمان وغيرهم من الأتراك [٤] . والدليل على ذلك عودة أمير العلايا إلى تهديد قبرس نفسها سنة ١٤٥٠ فجمع قواته وأعدها على الشاطىء الأسيوى فى مواجهة الجزيرة .

---

(1) Mas Latrie ; pp. 332–333.

(2) Ziada ; The Mamluk Conquest of Cyprus, Part 2, p. 45.

(3) Idem ; p. 46.

(4) Machaut ; op. cit. pp. 283–284.

ولكن رئيس الإسبتارية أرسل بعض السفن الرودسية لحماية قبرس ، كما أنذر أمير العلايا بأن الإسبتارية جميعاً يعتبرون أى اعتداء يوجه إلى قبرس كأنه موجه إليهم شخصيا(١) . ونجحت تلك الحركة فى حمل أمير العلايا على العدول عن رأيه، وانتهى الأمر بعقد معاهدة بين أمير العلايا وحنا الثانى ملك قبرس فى ٧ سبتمبر سنة ١٤٥٠ تعهد فيها كل من الطرفين باحترام بلاد الآخر ، وأن يقدم كل طرف أقصى مساعدة ممكنة لتجار الطرف الآخر فى بلاده(٢) .

ثم صارت قبرس سنة ١٤٨٩ تابعة للبندقية على الرغم من تبعيتها الرسمية وجزيتها السنوية إلى سلطنة المماليك . وكان استيلاء البندقية على قبرس تلك السنة(٣) لغرض خاص هو استغلال موقع الجزيرة الإستراتيجى للوقوف فى وجه العثمانيين الذين أضحى نفوذهم فى إزدياد مخيف يدعو إلى القلق .

ولذلك فإن حكم البنادقة لقبرس — وهو الحكم الذى استمر اثنتين وثمانين سنة (١٤٨٩ — ١٥٧١) — لم يكن فى الواقع أكثر من احتلال عسكرى(٤)، مما جعل البنادقة يهملون مرافق الجزيرة المختلفة فاضمحلت تجارتها ونضبت ثروتها وقل سكانها . وهذا كله فى الوقت الذى أصبح العثمانيون أصحاب الكلمة فى الشرق الأدنى بعد أن تم لهم فتح القسطنطينية سنة ١٤٥٣ و بسطوا سيطرتهم على آسيا الصغرى . وفى ١٥١٧ فتح السلطان سليم الأول العثمانى الشام ومصر و بذلك اقتربت ساعة قبرس بعد أن أصبحت وسط محيط عثمانى ، وأضحى امتلاك العثمانيين لها أمرا ضروريا لتأمين التجارة والمواصلات البحرية العثمانية مع مصر والشام فضلا عن ضمان سلامة الحجاج فى طريقهم من شواطئ آسيا الصغرى إلى الحجاز(٥) .

---

(1) Mas Latrie ; p. 336.

(2) Idem ; pp. 336—337.

(٣) انظر ما سبق ص ١٢٦ .

(4) Luke : The Place of Cyprus in History (Great Britain and the East, p. 4).

(5) Calepio (in Cobham : Excerpta Cypria ; p. 125)

وهمّ السلطان سليمان القانونى بغزو قبرس سنة ١٥٦٣، عندما أزعجه استخدام القراصنة المالطيين لموانى قبرس وتهديدهم للسفن والمتاجر العثمانية وقطعهم الطريق على رعايا السلطان وهم فى طريقهم لإداء فريضة الحج . وظل السلطان سليمان حتى وفاته يجمع السفن ويحشد الرجال والعتاد على الشواطئ الجنوبية لآسيا الصغرى تمهيداً لغزو قبرس[1] . ثم صار سليم الثانى سلطان العثمانيين سنة ١٥٦٦ فعمل على تحقيق فكرة أبيه . ومنذ العام الأول لحكم سليم وضحت النيات العثمانية جليا بصدد قبرس وأخذت مخاوف السفير البندقى بالقسطنطينية تزداد يوما بعد يوم[2] . والواقع إن السلطان سليم الثانى بدأ بتصفية موقفه العام حتى يتفرغ لحرب قبرس ، فعقد صلحاً فى ١٧ فبراير سنة ١٥٦٨ لمدة ثمانى سنوات مع الإمبراطور مكسمليان الثانى Maximilian II وبذا وضع حداً للحرب مع المجر كما أخمد ثورة فى جزيرة العرب[3] . وكان معظم المحيطين بالسلطان يؤيدون مشروع غزو قبرس لا سيما صديقة اليهودى يوسف ناسى J. Nassy وقائد قواته البرية مصطفى باشا وأمير الأسطول بيالى باشا Piale[4] . أما الصدر الأعظم محمد صوقلىّ فلم يتحمس للمشروع لصداقته للبندقية من جهة[5] ، ولأنه رأى أن الوقت حان لتوجيه جهود السلطنة ضد أسبانيا وإنقاذ البقايا الإسلامية بها من نير فيلب الثانى من جهة أخرى[6] . وللمرة الأولى — وربما الأخيرة — لم يعبأ سليم الثانى برأى وزيره محمد صوقلىّ ، ورضى الوزير برأى السلطان[7] . ويتهم أحد الكتاب المعاصرين الصدر الأعظم بأنه أخذ رشوة من البندقية نظير معارضة المشروع ، فلما انقطع عنه « البقشيش » انقلب مؤيداً لفكرة غزو قبرس[8]

(1) Hill : A History of Cyprus. Vol. 3 pp. 878–879.

(2) Hammer : Histoire de l'Empire Ottoman Vol. 6, p. 385

(3) Hill ; Vol. 3, p. 880.

(4) Hammer, Vol. 6. p 386.

(5) Calepio (in Cobham, Excerpta Cypria ; p 125).

(6) Cambridge Modern History, Vol. 3, p. 132.

(7) Eversley ; p. 139 & Creasy, p. 217.

(8) Calepio (in Cobham : Excerpta Cypria ; p. 126).

والواقع أن هناك سببين شجعا السلطان سليم الثانى على غزو قبرس فى سرعة ، أولهما الحريق الهائل الذى شب فى مخازن المهمات الحربية بالبندقية فى سبتمبر سنة ١٥٦٩ وما صحبه من أنباء كاذبة عن أن الأسطول البندقى كله إلتهمته النيران مع أن الخسارة الحقيقية لم تتعد أربع سفن . والسبب الثانى هو إدراك سليم لحقيقة الوضع فى أوربا وتأكده من أن الدول المسيحية كلها مشغولة بمتاعبها الخاصة وأنها لن تقدم معونة ما إلى البندقية فى حاله اعتدائه على قبرس . ويتضح ذلك من تصريح سليم لبعض البنادقة بالقسطنطينية إذ قال لهم « نحن نعرف جيداً أنكم لا تستطيعون الاعتماد على ملوك المسيحية »[١] .

ولما كانت البندقية فى حالة سلم مع السلطان ، لأنها — كعادتها — عقدت مع سليم الثانى سنة اعتلائه العرش معاهدة عدم اعتداء[٢] ، فإن سليم الثانى استصدر فتوى من المفتى أبى السعود بجواز نقض المعاهدة مع البندقية ، وجاء فى تلك الفتوى أنه لما كانت قبرس فى وقت ما تابعه للمسلمين الأوائل ، ثم فتحها مماليك مصر بحد السيف ، فإنه يجب استردادها من المسيحيين لاسيما وأن بقاءها فى أيديهم يعرض حجاج المسلمين ومتاجرهم للخطر[٣] .

وكانت أخبار استعدادات سليم تصل تباعاً إلى البندقيــة وهى فى شغل عن عن ذلك بالحريق الذى شب فى مستودع المهمات الحربية ليلة ١٤ سبتمبر سنة ١٥٦٩ وبالمجاعــة العظيمة التى عمت إيطاليا كلها تلك السنة[٤] . على أنه عندما تأكدت الجمهورية من نوايا سليم تجاه قبرس ، أمرت مندوبيها فى الجزيرة بالإستعداد لمواجهة الخطر فى أية لحظة[٥] . وفى فبراير سنة ١٥٧٠ أرسل السلطان

---

(1) Cambridge Modern History ; Vol 3, pp. 132—133.

(2) Hill ; Vol 3, p. 882.

(3) Hammer ; Vol. 6, pp. 387—388.

(4) Hill, Vol. 3, p. 883.

(5) Idem ; p. 880.

رسولا إسمه قباد Kubad إلى البندقية ليعطى الجمهورية إنذاراً نهائياً بضرورة النازل عن قبرس للسلطان أو الحرب[1]. ولم ينتظر السلطان عودة قباد بل أنه حتى قبل إرساله لى البندقية ألقى القبض على كل التجار البنادقة بالقسطنطينية كما حجز السفن البندقية الراسية فى الموانى العثمانية[2]. ثم تلا ذلك تعيين قادة الحملة على قبرس فعين مصطفى باشا قائداً للقوات البرية و بيالى باشا أميراً للأسطول على أن يعاونهما عدد كبير من القادة منهم درويش باشا سنجق حلب واسكندر باشا والى الأناضول وبهرام باشا والى قرمانيا وغيرهم[3]. وبعد أن تمت بقية الاستعدادات أبحر الأسطول العثمانى على ثلاث دفعات فى ثلاثة أشهر متالية (مارس و إبريل ومايو سنة ١٥٧٠) وتم اجتماعها كلها فى رودس أول يونيو من تلك السنة[4].

أما البندقية فرفضت الإذعان للانذار العثمانى اعتماداً على أن القوى المسيحية المختلفة ستساعدها فى نضالها ضد المسلمين. ولذا جاء الرد على قباد « بإن الجمهوريه مصممة على الدفاع عن حقها الشرعى فى قبرس »[5]. ولما كان الاحتفاظ بجزيرة قبرس والدفاع عنها يتطلب سيطرة بحرية تامة، فإن البندقية أدركت من أول الأمر ضرورة الإعتماد على مساعدة القوى المسيحية المختلفة، لاسيما وأن قبرس شديدة القرب من شواطىء آسيا الصغرى وسوريا، بعيدة نسبياً عن البندقية[6]. ولذا أخذت الديبلوماسية البندقية تلعب دورها فى روما ومدريد وغيرها من العواصم الأوربية لعمل حلف مسيحى ضد العثمانيين. ولكن على الرغم من حماسة البابابيوس الخامس لمشروع حملة صليبية كبيرة ضدهم، إلا أن الديبلوماسية

(1) Calepio (in Excerpta Cypria, p. 126).

(2) Ibid.

(3) Hammer ; Vol. 6, p. 398.

(4) Hill ; Vol. 3, p. 893.

(5) Cambridge Modern History, Vol. 3, p. 133.

(6) Oman.: A History of the Art of War in the Sixteenth Century; p. 723.

البندقية لم تصادف نجاحاً كبيراً لدى الدول المسيحية التى تنتظر مساهمتها فى مثل ذلك المشروع ، وذلك لاستياء تلك الدول من المسلك الأنانى الذى سلكته البندقية منذ انسحابها من الحلف المسيحى ضد السلطان سليمان سنة ١٥٤٠ ، إذ عكفت على تجارتها وتركت بقيـة العالم المسيحى يتلقى ضربات العثمانيين فى البر والبحر دون أن تتقدم بأية مساعدة[1] . هذا فضلا عن أن الأحوال الداخلية فى تلك الدول الأوربية لم تساعد على اشتراكها فى حملة صليبية . ففرنسا كانت — علاوة على حسن العلاقات التى تربطها بالسلطان — مشغولة بطرد الأسبان من فلاندرز ولا يمكن أن تشترك مع فيليب الثانى ملك أسبانيا فى مشروع واحد. وكان إمبراطور ألمـانيا مكسمليان الثانى (١٥٦٤ — ١٥٧٦) ضعيفاً متردداً يعتمد على أسبانيا حيناً ويبتعد عن سياستها أحياناً ، لانشغاله بأحوال بلاده الداخلية . يضاف إلى ذلك وجود خلاف بينه و بين البابا بيوس الخامس مما جعله يرفض الإستجابة للنـداء البابوى ، وحذا حذوه سجسموند ملك بولندا . أما الدويلات الإيطالية فـكانت تعانى الأمرين تحت ضغط أسبانيا البحرى عليها من جهة و إغارات القراصنة الأتراك على سواحلها من جهة أخرى . هذا بينما لم يكن بين فرسان مالطة والبنادقة صداقة تدعوهم إلى تلبية الديبلوماسية البندقية[2]. وهكذا كانت الأوضاع فى أوربا لا تشجع بحال من الأحوال على نصرة البندقية. ولـكن رغم كل ذلك توصلت البندقيـة بفضل مساعدة البابا إلى عقـد تحالف ثلاثى مع أسبانيا والفاتيكان لإنقاذ قبرس . وأخذ البابا بيوس الخامس يجمع الأمـوال اللازمة لذلك الغرض على الرغم من اعتراض الـكاردينال جرانفل على البابا قائلا إن البندقية لا تستحق أية مساعدة لأن التاريخ دل على أنها لا تساعد الغير إلا إذا

---

(1) Idem ; p. 725.

(2) Cambridge Modern History ; Vol. 3, p 132.

كانت لها مصلحة من وراء ذلك[1] . على أنه يبدو أن اشتراك أسبانيا فى ذلك الحلف لم يعد أن يكون صفة صورية محضة ، لأن تعليمات أميرالبحر دوريا Doria الأسبانى من الملك فيلب الثانى أوصته بالمحافظة على سفنه والعودة بها سليمة مهما كلفه الثمن . ولذا ظل دوريا يتلكأ حتى أن السفن المتحالفة لم يتم إجتماعها إلا آخر أغسطس سنة ١٥٧٠ عند سودا Suda بجزيرة كريت[2] .

أما الأسطول العثمانى فاجتمع عند رودس أول يونيو ، وتأكد بيالى باشا أن الأساطيل المسيحية لم تجتمع بعد ، وأن البحر آمن بين رودس والشاطىء الجنوبى لآسيا الصغرى ، فأبحر إلى فينقه لضم الفرسان والانكشارية والمهمات الآتية برا عبر الأناضول إلى الحملة[3] . ثم أرسل بيالى باشا ستة سفن لاستطلاع الأحوال فى قبرس ، فأغارت تلك السفن على الشاطىء الشمالى للجزيرة ولكن رجالها منوا بالهزيمة وانسحبوا بعد أن تركوا عدة أسرى علم منهم القبارسة عظم القوة التى سوف تدهم الجزيرة[4] . وفى ٢٧ يونيو اتجه الأسطول العثمانى إلى قبرس وعدته ثلثمائه وخمسين سفينة تحمل نحوا من خمسمائة ألف محارب[5] . وفى أول يوليو ظهر الأسطول العثمانى فى مياه بافوس الواقعة جنوب غرب قبرس ، ثم قصد الأسطول ليماسول حيث نزلت قوة نهبت المدينة كما نهبت بلدة اكروتيتى وأحرقت دير القديس نيقولا . وتوجهت السفن العثمانية بعد ذلك إلى الملاحة (لارناكا) ، وهنا كانت دهشة العثمانيين عظيمة لعدم وجود أية مقاومة فأنزلوا قواتهم وعددهم إلى البر فى سهوله غير منتظرة (٣ يولية)[6] .

---

(1) Hill ; Vol. 3, p. 901.

(2) Idem, pp. 905, 919.

(3) Calepio (in Excerpta Cypria, p. 131).

(4) Hill ; Vol. 3, p. 894.

(5) Cambridge Modern History ; Vol. 3, p. 133.

(6) Paruta (in Cobham : Excerpta Cypria ; p. 96).

وتفسير تلك الحال أن البندقية لم يكن لها فى قبرس سوى حامية مؤلفه من تسعة أو عشرة آلاف رجل بما فى ذلك الفرسان . وربما صلحت تلك الحامية للدفاع عن جزيرة صغيرة مثل مالطة أو رودس ، ولـكنها لا تـكفى للدفاع عن جزيرة مثل قبرس طوالها مائة ميل وعرضها ستين ميلا [١] . ولما وجد داندولو Dandolo حاكم الجزيرة البندقى أن قواته أصغر بكثير من قوات الأتراك وأنها لا تستطيع الوقوف أمامهم وجها لوجه ، عزم على تركيز دفاعه فى مدينتى نيقوسيا وفاما جوستا وقرر تحاشى الالتحام مع العثمانيين فى معركة مكشوفه ، مخالفا فى ذلك رأى القائد باجليون الذى رأى الخروج للعثمانيين لاحباط نزولهم من السفن إلى الشاطىء [٢] . ولذا تركزت حوادث الغزو العثمانى لقبرس فى مرحلتين ، أولاهما حصار نيقوسيا والثانية حصار فاما جوستا . فنى هاتين المدينتين حشدت الحكومة البندقية قواتها وتركت بقية البلاد مفتوحة أمام العدو كما تركت جميع القلاع الجبلية بلا حاميات [٣] .

ولما نزلت القوات العثمانية إلى البر ،أخذ مصطفى باشا يحصن مواقعه و يبسط سيطرته على الجهات المجاورة ، كما أرسل إنذاراً نهائياً إلى نيقوسيا يطلب التسليم فى ظرف أسبوعين . أما الأسطول فذهب لاحضار ما تبقى بشواطىء آسيا الصغرى من الانكشارية والخيل والعدد وعاد بذلك كله يوم ٢٢ يوليه [٤] . ولما تم إجتماع القوات العثمانية عقد قادة الحملة إجتماعا لتحديد الهدف الأول ، وهنا اختلفت وجهات النظر فرأى مصطفى باشا البدء بنيقوسيا بصفتها العاصمة ورأى بيالى باشا البدء بفاما جوستا بصفتها أكبر موانى الجزيرة ، و بقاؤها فى يد العدو

---

(1) Oman ; A History of the Art of War in the Sixteenth Century, p. 724.

(2) Calepio (Excerpta Cypria, pp. 127—128).

(3) Oman ; A History of the Art of War in the Sixteenth Century, p. 725.

(4) Paruta (Excerpta Cypria ; p. 96)

يعرض مؤخرة الجيش العثمانى للخطر [1] . وأخيراً تغلب الرأى الأول فزحف الجيش بقيادة مصطفى باشا إلى نيقوسيا فى ٢٣ يولية ، بينما ظل الأسطول متيقظا خوفا من وصول الأسطول المسيحى المنتظر . وأرسل بيالى باشا بعض سفنه إلى رودس لجمع معلومات عن الأعداء [2] . أما مصطفى باشا فأرسل خمسمائة من فرسانه لقطع الطريق بين نيقوسيا وفاماجوستا حتى لا تصل العاصمة أية إمدادات ، ثم تابع زحفه نحو نيقوسيا فى حرص شديد خشيه أن يكون خلو الطريق من الأعداء خطة مدبرة [3] . ويبدو أن مصطفى باشا صادف ترحيبا من أهالى الجزيرة الإغريق أثناء زحفه ، إذ اعتقد أولئك الإغريق أن العثمانيين سوف يخلصونهم من جثم البنادقة ، كما حدث من أهالى قرية لفكارا Lefkara الذين رحبوا بالأتراك وعاونوهم على إخضاع الجهات المجاورة ، بل إن قسيس القرية الأرثوذكسى هو الذى تولى إرشادهم ، مما جعل حكومة نيقوسيا ترسل قوه دمرتها وقتلت الكثير من أهلها ليلا حتى تكون عبرة لغيرها [4] .

وفى يوم ٢٥ يوليه وصلت طلائع الجيش العثمانى نيقوسيا وعسكر العثمانيون على ربوة مرتفعة جنوبى المدينة [5] . وكانت البندقية قد حصنت نيقوسيا أخيراً وفقاً لآخر نظم التحصين الأوربية ، فشيدت فى سورها إثنى عشر برجاً بها مائتان وخمسون مدفعاً ، حتى أصبحت نيقوسياً تضاهى أعظم مدن القرن السادس عشر تحصينا [6] . واستمر حصار المدينة من ٢٢ يوليه إلى ٩ سبتمبر سنة ١٥٧٠ ، والعثمانيون يضربونها ضرباً متواصلا ويحاولون إغراء عدوهم بالخروج إليهم

---

(1) Falchetti (Idem ; p 80).

(2) Hill, Vol. 3, p 966.

(3) Sozomeno (Excerpta Cypria ; p. 82).

(4) Calepio ; (Idem ; p. 132).

(5) Falchetti, (Idem ; p. 80).

(6) Oman : A History of the Art of War in the Sixteenth Century, p. 724.

لمنازلتهم ولكن الحامية قنعت بالبقاء داخل أسوار المدينة[١] . وأخيراً قلق رجال الحامية على مصيرهم وطالبوا قادتهم أن يسمحوا لهم بالخروج لدفع العثمانيين، ولكن داندولو — الذى وصفه أحد رجال الحامية بالضعف والغباء[٢] — رفض ذلك الطلب لقلة رجال الحامية ، إذ لم يبق من البنادقة سوى أربعمائة مقاتل فقط فى حالة صالحة للقتال[٣] . واضطر داندولو أخيراً إلى الإذعان فقرر إخراج قوة لمنازلة الأتراك ، واختار لذلك الهجوم يوم ١٥ أغسطس وقت الظهر ، وهو الوقت الذى اعتاد فيه الجنود العثمانيون أن ينزعوا ملابسهم ليناموا . ولكن الهجوم انتهى بكارثة إذ قتل معظم المهاجمين وأسر باقيهم ، ولم يعد منهم إلى المدينة سوى شرذمة فى حالة يرثى لها[٤] . والواقع أن حامية العاصمة كانت ضعيفة ينقصها الجند المدربون والقواد المحنكون[٥] . ولم يوجد بالجزيرة كلها قائد محنك سوى باجليون الذى ظل فى فاما جوستا على زعم أن العثمانيين سوف يبدأون بها . فلما بدأ العثمانيون بالهجوم على نيقوسيا أرسل أهل العاصمة عدة مرات فى طلب باجليون على رأس نجدة ولكن الرسل كانوا يقعون كل مرة فى أيدى الأتراك حتى يأس أهل نيقوسيا تماماً من وصول أية نجدة[٦] .

أما مصطفى باشا فأرسل إلى بيالى باشا يطلب النجدة فوصلته فى سرعة وعدتها ستة عشر ألفاً من خيرة رجال الأسطول[٧] . ووصلت تلك النجدة إلى مصطفى باشا مساء يوم ٨ سبتمبر ، فشن فى اليوم التالى هجوماً نهائياً على المدينة حشد فيه كل قواته ، فخارت أمامه قوى حامية نيقوسيا وانتهى الأمر بدخول

---

(1) Falchetti «Excerpta Cypria ; p. 80».

(2) Paruta «Idem, p. 99».

(3) Sozomeno «Idem, p. 83».

(4) Falchetti «Idem, p. 80».

(5) Paruta «Idem, p. 97».

(6) Sozomeno «Excerpta Cypria ; p 84».

(7) Calepio «Idem, p. 138».

العثمانيين نيقوسيا يوم ٩ سبتمبر ، فنهبوها وذبحوا أكثر من ألفين من سكانها منهم داندولو الحاكم البندقى[١] . وفى ذلك اليوم فضلت كثيرات من نساء المدينة الانتحار وذبح أبنائهن عن الوقوع فى أيدى العثمانيين[٢] . ثم أصدر مصطفى باشا أمراً بالكف عن إطلاق النار ،وجمع الأسرى والغنائم لإرسالها إلى السلطان ، وكان من ضمن الأسرى كالبيو وفالشتى وهما من مصادرنا الأساسية عن تلك الحملة[٣] . وتلا سقوط نيقوسيا تسليم كثير من مدن الجزيرة دون أية مقاومة ، فسلمت كيرينيا يوم ١٤ سبتمبر وتلتها بافوس وليماسول وغيرها ، كما حضر إلى مصطفى باشا رجال الدين والنبلاء من مختلف أنحاء الجزيرة لتقديم فروض الطاعة . و بذا لم يبق أمام العثمانيين سوى فاما جوستا[٤] .

أما الأسطول المسيحى المتحالف فإنه بعد أن تم اجتماع سفنه عند سودا بكريت فى آخر أغسطس ، عقد قاده السفن البابويه والبندقية والأسبانية اجتماعاً لبحث الموقف . وهنا ظهرت البغضاء بين أسبانيا والبندقية فظل دوريا الأسبانى يماطل و يسوف و ينتحل الأعذار المختلفة ، حتى أعتذر فى النهاية بأن الشتاء حان والجو أصبح لا يساعد على عمليات حربيه فى البحر وأن الأسطول التركى يفوقهم عدة وعددا .و بناءاً على ذلك انسحب دوريا فى ٥ أكتوبر و بذا انتهى مشروع الحلف الثلاثى لإنقاذ قبرس بالفشل[٥] . والواقع أنه على الرغم من خطورة الحال فى قبرس فإن الحلفاء لم يكونوا جادين فى موقفهم ، بل خشى بعضهم بعضاً كثر مما خشوا العثمانيين . فالبنادقة خافوا إزدياد نفوذ أسبانيا فى الشرق وتجارته إذا انهزم العثمانيون . وأراد فيلب الثانى ملك أسبانيا أضعاف العثمانيين على شرط ألا تفيد البندقية من وراء ذلك[٦] . وهكذا أدى إختلاف المنافع وتضارب

(1) Paruta «Idem, p 107».
(2) Eversley ; pp 139—140.
(3) Excerpta Cypria ; p. 122 & p. 81.
(4) Paruta «Excerpta Cypria, p 108».
(5) Hill ; Vol. 3 ; pp 920—936.
(6) Cambridge Modern History ; Vol. 3, p. 133.

المصالح إلى حرمان قبرس من أية مساعدة تستعين بها فى أشد ساعات الحرج من تاريخها الطويل .

أما مصطفى باشا ، فبعد أن ترك فى نيقوسيا حامية عدتها أربعة آلاف من الإنكشارية وألف من الفرسان ، زحف نحو فاما جوستا فوصلها يوم ١٦ سبتمبر. وفى اليوم نفسه وصل الأسطول العثمانى كذلك فاماجوستا ورسا على مسافة ثلاثة أميال من المدينة(١) . ولم تكد القوات العثمانية من برية وبحرية تجتمع حول فاما جوستا حتى وقعت فى أسرها سفينة مسيحية أخبر رجالها بأن الأساطيل المسيحية اتحدت كلمتها وأنها فى طريقها إلى قبرس(٢) . وخشى بيالى باشا العاقبة لعلمه بقوة الأسطول المسيحى ، فأسرع إلى الإجتماع بمصطفى باشا لدراسة الموقف وبناءاً على ذلك الإجتماع شحنت السفن العثمانية بالمقاتلين وأبحرت إلى ليماسول انتظاراً لمجىء العدو(٣) . ثم لم تمض أيام حتى عادت السفن العثمانية تهلل فرحاً إذ علمت وتأكدت من تفرق المسيحيين وانسحابهم . وظل الأسطول واقفاً قرب فاما جوستا حتى السادس من أكتوبر حين توجه بيالى باشا ومعه معظم السفن إلى القسطنطينية لتسليم أسرى نيقوسيا والعودة بالامدادات اللازمة لانهاء القتال(٤) .

وكانت فاما جوستا حصينة على الرغم من قدم حصونها بالقياس إلى نيقوسيا(٥) . أما حاميتها فتألفت من أربعة آلاف إيطالى من المشاة وثلثمائة من الفرسان ، عدا بضعة آلاف من أهل الجزيرة وكميات كبيرة من الذخيرة تفوق

---

(1) Sozomeno «Excerpta Cypria, p. 86».

(2) Calepio «Idem ; p. 144».

(3) Sozomeno «Idem ; p. 86».

(4) Ibid.

(5) Oman ; A History of the Art of War in the Sixteenth Century ; p. 725.

تلك التي كانت بنيقوسيا ولكنها على أى حال لا تكفى لحصار طويل[١] . هذا بينما تراوح عدد الجيش العثمانى بين مائتى ألف ونصف مليون على قول معظم المراجع ، وهو عدد كبير لا يبرره طول حصار فاما جوستا من منتصف سبتمبر سنة ١٥٧٠ إلى أول أغسطس سنة ١٥٧١ أى ما يقرب من عام[٢] . وكيفما كان الأمر فالمعروف أن العثمانيين هاجموا حصون فاما جوستا فى عنف وقوة ، كما استماتت حاميه المدينة فى الدفاع ولم تأل جهدا فى تقوية استحكاماتها وعرقلة طريق العثمانيين على الرغم من صغر عددها بالنسبه لعددهم[٣] . والواقع إن حامية فاما جوستا أبدت روحا معنوية عالية وقوة تنظيم رائعة لم يكن لهما مثيل فى نيقوسيا ، وربما كان سر ذلك هو أن أهل المدينة من نساء وشيوخ وصبية عملوا مع القساوسة و رجال الدين جنباً إلى جنب فى رفع الأحجار وبناء المتاريس[٤] ، وأن براجادين حاكم المدينة و باجليون قائد الجيوش ظلا يؤكدان قرب وصول النجدة إلى فاما جوستا[٥] . على أن الوعود وحدها لم تستطع أن تقوى الروح المعنوية فى فاما جوستا إلى الأبد ، لا سيما بعد أن حاطها العثمانيون إحاطة السوار بالمعصم ، فأخذت حالتها تزداد سوءاً كلما تقدم الوقت . ثم طال الحصار وتناقصت الحامية تناقصاً سريعاً وبات الجرحى والمرضى بلا أدوية يقاسون آلام الموت البطىء ، ومن ظل سليما أنهكه العمل المتواصل ليل نهار مع سوء التغذية ، إذ نفذ الطعام حتى أكل الناس لحوم الحمير والخيل والبغال[٦] . أما الذخيرة فأخذت تنفذ حتى صدرت الأوامر إلى المقاتلين بعدم إطلاق النار إلا بأمر من القادة ، ولم تصدر تلك الأوامر إلا للضرورة القصوى[٧] . كل ذلك فى الوقت

(1) Hil', p. 996.

(2) Idem ; p. 993.

(3) Paruta «Excerpta Cypria, pp. 110—111».

(4) Calepio «Idem ; p. 145».

(5) Paruta «Idem ; p. 111».

(6) Calepio «Excerpta Cypria ; . 155».

(7) Paruta «Idem ; p. 112».

الذى أخذت النجدات تصل للعثمانيين أرسالا من سوريا والأناضول . وقدرت تلك النجدات بأكثر من خمسين ألفاً ، و إن كان معظمهم أتى طمعاً فى الغنيمة والأسلاب[١] . وفى ٢٥ مايو سنة ١٥٧١ وجد مصطفى باشا أن الحصار طال وأن حاميه فاما جوستا ما زالت ثابتة فأرسل أحد الإنكشارية إلى براجادين حاكم المدينة يطلب إليه التسليم ، ولكن براجادين رد عليه قائلا « قل لسيدك يتم عمله، وسنرد عليه بالرصاص والمدافع والسيوف »[٢] . وعلى الرغم من وصول الأخبار من كانديا بجزيرة كريت بقرب وصول النجدة المزعومة[٣] ، إلا أن شيئاً من ذلك لم يحدث . وكل ما فعلته البندقية طوال مدة الحصار كان إغارة واحدة على السفن العثمانية عند قنسطانزا Constanza شمالى فاماجوستا ، وأسفرت تلك الإغارة عن تدمير ثلاث سفن عثمانية (يناير سنة ١٥٧١)[٤] . وأخيراً يئست فاماجوستا واشتد بها الضيق ، ولا سيما بعد أن اشتد هجوم العثمانيين على المدينة ابتداءاً من ٢١ يونية سنة ١٥٧١[٥] ، فاجتمع الناس وقررو أن يرجوا الحاكم براجادين التسليم لإنقاذ أرواحهم وأموالهم وأعراضهم قبل أن يدخل العدو المدينة عنوة فيخسرون كل شىء[٦] . واختار أهل فاماجوستا الأسقف ماتيو جولفى Matteo Golfi ليحمل ذلك الرجاء إلى الحاكم ، لكن براجادين رد على الأهالى مبشراً بقرب وصول النجدة ؛ وأرسل سفينة سريعة إلى كريت يخبر بسوء الحالة وخطورة الموقف ، دون مجيب[٧] .

---

(1) Idem ; p. 110.

(2) Calepio «Idem ; p. 151».

(3) Idem ; p. 152.

(4) Hill ; Vol. III, pp. 944–945.

(5) Calepio «Excerpta Cypria ; pp. 152–156.

(6) Paruta ; «Idem ; p. 115».

(7) Calepio, «Idem ; p. 155».

وأخيراً نفذت الذخيرة أو كادت وأدرك الحاكم براجادين أنه لا مفر من التسليم ، وشاور قادة الحامية فأجمعوا على التسليم بشروط مرضيه فرفعت الأعلام البيضاء على فاما جوستا أول أغسطس سنة ١٥٧١ [1] . وفى اليوم التالى تمت المفاوضات بين الطرفين وانتهت على أن يسمح مصطفى باشا لرجال الحامية بالابحار إلى كريت على سفن عثمانية ، ومعهم سلاحهم وثلاث بطاريات وثلاثة خيول للقادة . وسمح القائد العثمانى لأهالى فاما جوستا بالإبحار مع الحامية أو البقاء بالمدينة ، فمن يبق منهم تخياته وأمواله فى حماية العثمانيين [2] . ويبدو أن مصطفى باشا وافق على تلك الشروط وهو غير مستعد لتنفيذها [3] . ذلك أنه أرسل أربعين سفينة إلى فاما جوستا فنزل فيها رجال الحامية . وفى اليوم الرابع من أغسطس تم نقل متاع الحامية ، وبذلك باتت فاما جوستا فى أيدى العثمانيين الذين أخذوا يتدفقون إليها ، مستعملين منتهى القسوة والعنف مع الأهالى ، مما جعل براجادين يرسل إلى مصطفى باشا يشكو إليه ويخبره أنه سيحضر بنفسه ليسلم مفاتيح المدينة ويطلب منه زيادة عدد السفن لنقل بقية الجند ومن شاء من الأهالى . واستجاب مصطفى باشا ، فأمر جنوده بوقف إطلاق النار ، وأرسل سفينتين أخرتين إلى فاما جوستا [4] . ولما ذهب براجادين إلى مصطفى يحيط به كبار القادة أمثال باجليون ومارتننجو Martinengo وأنطون كيرينى ، طلب مصطفى باشا ضمانا لعودة السفن التى سوف تنقلهم إلى كريت ، فرد عليه براجادين بأن شروط التسليم ليس فيها ما ينص على ذلك . وعندئذ احتدت المناقشة بين الطرفين وثار الباشا فأمر بقتل القادة الذين حضروا مع براجادين فقتلوا أمامه [5] . أما رجال

(1) Idem ; p. 156.

(2) Paruta, «Excerpta Cypria, pp. 116—117».

(3) Oman ; A History of the Art of War in the Sixteenth Century ; p. 729.

(4) Paruta, «Excerpta Cypria, p. 117»

الحامية الذين كانوا بالسفن فأعيدوا إلى البر حيث ذبحوا عن آخرهم [۱] . وأما براجادين فاكتفى مصطفى باشا بقطع أنفه وأذنيه مؤقتا حتى إذا كان يوم الجمعة ۱۷ أغسطس سيق براجادين إلى الميدان الكبير بفاما جوستا وأجبر على تقبيل الأرض عدة مرات أمام مصطفى باشا ، ثم طلب منه الباشا أن يعتنق الإسلام ، فلما رفض أمر بذبحه ، فذبح وسلخ جلده وحشى تبنا وقشا وطيف به أنحاء المدينة ثم نقل إلى سوريا والأناضول ليعرض على الناس [۲] . وبعد ذلك وضعت رؤوس القتلى من القادة فى صناديق وحملت إلى القسطنطينية [۳] . ويطول الكلام عن الفظائع التى ارتكبها العثمانيون إبان دخولهم المدينة ، ويكفى منها هنا أنهم دخلوا كنيسة القديس نيقولا وفتحوا ما بها من قبور وبعثروا عظامها ثم حطموا المذابح وهشموا صور القديسين [٤] . ويبدو أن مصطفى باشا فعل ذلك بفاما جوستا عقابا لها على عنادها الذى كلفه خسائر جسيمة أثناء حصارها [٥] . ثم غادر مصطفى باشا الجزيرة يوم ۲٤ أغسطس عائداً إلى القسطنطينية بعد أن وزع الحاميات اللازمة لمختلف المدن القبرسية [٦] .

وهكذا انتهت صفحة أخرى من صفحات الحروب الصليبية الضدية وذاقت قبرس من الفتح العثمانى سنة ۱۵۷۰ أضعاف ما ذاقته من الفتح المملوكى سنة ۱٤۲٦ ، ودفعت الجزيرة مرة أخرى — وربما للمرة الأخيرة — حساب ما أنزله ملوكها وقراصنتها بالبلاد والمتاجر الإسلامية من خسائر خلال قرون طويلة

(1) Paruta, «Excerpta Cypria, p. 113».

(2) Ibid.

(3) Calepio «Idem ; p. 157».

(4) Paruta «Idem ; p. 119».

(5) Oman ; p. 729. ويحاول كريزى (Creasy p. 218) أن يبرر هذه المذابح بأن تلك كانت روح العصر فى أوربا . فسليم الثانى كان معاصرا لإيفان الرابع قيصر روسيا الملقب بالقاسى الذى فى عهده استولى الروس على قلعة وتنشتين فى فنلندا فمزقوا حاميتها إربا وشوى قائدها حيا . وفى فرنسا حدثت مذبحة بارثولوميو فى عهد شارل التاسع سنة ۱۵۷۲ أى بعد مقتل براجادين بعام واحد .

(6) Paruta, «Excerpta Cypria, p. 119».

على أن سقوط قبرص وما أتاه العثمانيون بنيقوسيا من ضروب الوحشية والقسوة أثار المسيحيين جميعاً لا على شواطئ البحر المتوسط فحسب ، بل فى أوربا كلها .

ونجح البابابيوس الخامس فى استغلال ذلك الشعور لإعادة تكوين الحلف المسيحى ضد العثمانيين ؛ فانضمت إليه تلك المرة سافوى وفلورنس وجنوا وفرسان مالطة ، فضلا عن الفاتيكان والبندقية وأسبانيا . وانتهى الأمر بتوقيع إتفاقية فى مايو سنة ١٥٧١ للقيام بحملة صليبية ضد الأتراك على أن تجتمع هذه الحملة فى فى مسينا[١] . غير أن الأساطيل المسيحية لم يتم اجتماعها فى مسينا إلا فى ٢٥ سبتمبر سنة ١٥٧١ — أى بعد سقوط فاما جوستا بثمانية أسابيع . ثم أبحرت تلك السفن إلى شواطئ اليونان حيث التحمت بالأسطول العثمانى فى ٧ أكتوبر عند خليج لبانتو **Lepanto** فى معركة بحرية كبيرة . وانتهت تلك المعركة بتدمير خمسين سفينة عثمانية وقتل ثمانية آلاف وأسر سبعة آلاف من العثمانيين ، وتحرير عشرة آلاف من المسيحيين كانوا بالسفن العثمانية . وبذلك استطاع المسيحيون أن ينتقموا لما حل بقبرص على يد العثمانيين[٢] . على أن ذلك الانتقام لم يحرر الجزيرة من الحكم العثمانى ، إذ ظلت قبرص تابعة للسلطنة العثمانية حتى سنة ١٨٧٨ حين استولى عليها الإنجليز بمقتضى اتفاقية سلمية مع الباب العالى ؟

وبعد، فإن تعرض قبرص — بحكم موقعها — لكثير من الغزوات فى تاريخها الطويل ، وخضوعها فترة من الزمن لهمجية الأتراك العثمانيين ثم للانجليز الذين أرادوا أخيراً أن يستغلوا موقعها الفريد فى فرض سيطرتهم الغاشمة على بلاد الشرق الأدنى المتحررة ، كل ذلك لم يفقد جزيرة قبرص طابعها الإغريقى السائد ، الأمر الذى يجعلنا نرجو لأهالى الجزيرة من الإغريق تحقيق أمانيهم القومية وعودة جزيرتهم مرة أخرى إلى أحضان الوطن اليونانى .

---

(1) Oman ; A History of the Art of War in the Sixteenth Century, p 725.

(2) Cambridge Modern History, Vol. 3 p. 134 & Creasy p. 219.

مراجع البحث

(أولا) المراجع العربيـــة

(ا) المخطوطات

١ — ابن حبيب (ت ٧٧٩ هـ) شهاب الدين الحلبي الشافعى
درة الأسلاك فى دولة الأتراك
نسخة مصورة فى ثلاثة أجزاء — دار الكتب المصرية

٢ — ابن حجر (ت ٨٥٣ هـ) شهاب الدين بن على بن حجر العسقلانى
إنباء الغمر بأنباء العمر — المكتبة الأزهرية

٣ — العمرى (ت ٧٤٨ هـ) شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يحيى
مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار
مخطوط مصور فى عشرين جزءاً — دار الكتب المصرية

٤ — العينى (ت ٨٥٥ هـ) بدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد
عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان
مخطوط مصور — دار الكتب المصرية

٥ — المقريزى (ت ٨٤٥ هـ) تقى الدين أحمد بن على
كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك ج ٣ ، ٤
مخطوط مصور — دار الكتب المصرية

٦ — النويرى (ت ٧٧٥ هـ) محمد بن قاسم بن محمد النويرى المالكى
الإسكندرى

الإلمام بالأعلام فيما جرت به الأحكام والأمور المقضية في واقعة الإسكندرية — مخطوط في جزأين — دار الكتب المصرية

(ب) الكتب المطبوعة

٧ — ابن الأثير (ت ٦٣٠ هـ) : على بن أحمد بن أبى الكرم
الكامل فى التاريخ — ليدن سنة ١٨٧٤ م.

٨ — أرسلان : الأمير شكيب
تاريخ غزوات العرب فى فرنسا وسويسرا وإيطاليا وجزائر البحر المتوسط — القاهرة سنة ١٣٥٢ هـ.

٩ — البشارى : شمس الدين أبو عبد الله
أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم — ليدن سنة ١٨٧٧ م.

١٠ — ابن بطوطة (ت ٧٧٩ هـ) محمد بن عبد الله بن محمد بن ابراهيم اللواتى الطنجى.
تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار.
(نشرها وحققها مع ترجمة فرنسية فى أربعة أجزاء الأستاذان دفرمرى، سنجوينيتى — باريس سنة ١٨٧٧م.

١١ — البلاذرى (ت ٢٧٩ هـ) أبو العباس أحمد بن يحيى بن جابر
فتوح البلدان — ليدن سنة ١٨٦٦ م.

١٢ — توفيق اسكندر : سفارة بيرو ديدو ومعاهدة تنازل مصر عن قبرس ١٤٩٠ (القاهرة ١٩٥٦)

١٣ — ابن حوقل (القرن الرابع الهجرى) أبو القاسم محمد بن حوقل البغدادى
المسالك والممالك — ليدن سنة ١٨٧٢ م

١٤ — ابن خرداذبة : أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله .
المسالك والممالك — ليدن سنة ١٨٨٩ م

١٥ — خليل بن شاهين الظاهرى : غرس الدين
زبدة كشف الممالك و بيان الطرق والمسالك
صححه ونشره الأستاذ بولس راويس — باريس سنة ١٨٩٤ م

١٦ — الدينورى (ت ٢٨٢ هـ) أبو حنيفة أحمد بن داود
الأخبار الطوال — ليدن سنة ١٨٨٨ م

١٧ — السخاوى (ت ٩٠٢ هـ) شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن
التبر المسبوك فى ذيل السلوك — بولاق سنة ١٨٩٦ م

١٨ — السيوطى (ت ٩١١ هـ) جلال الدين بن أبى بكر
غزوات قبرس ورودس — واين سنة ١٨٨٤ م

١٩ — صالح بن يحيى (القرن التاسع الهجرى)
تاريخ بيروت — نشره وصححه لويس شيخو — بيروت ١٩٢٧م

٢٠ — الطبرى (ت ٣١٠ هـ) أبو جعفر محمد بن جرير
تاريخ الرسل والملوك — ليدن سنة ١٨٩٣م

٢١ — كاله : باول
منارة الإسكندرية فى خيال الظل المصرى ، وهى مجموعة من الأزجال والقصص كانت تمثل فى خيال الظل فى العصر المملوكى — قام بنشرها مع مقدمة تاريخية الأستاذ باول كاله — شتوتجارت سنة ١٩٣٠ م

٢٢ — السكرخى (القرن الرابع الهجرى) أبو إسحق إبراهيم
مسالك الممالك — ليدن سنة ١٨٧٠ م

٢٣ — أبو المحاسن (ت ٨٧٤ هـ) جمال الدين يوسف بن تغرى بردى الأتابكى
النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة
حتى سنة ٧٤١ هـ طبعة القاهرة فى تسعة أجزاء (١٩٢٩ — ١٩٤٢)، وبقية الكتاب طبعة كاليفورنيا سنة ١٩٣٢ — نشر الأستاذ وليم بوبر

٢٤ — محمد مصطفى زيادة: مصر والحروب الصليبية (من رسائل الثقافة الحربية رقم ٣٩ منشورات وزارة الدفاع الوطنى).

٢٥ — المسعودى (ت ٣٤٦ هـ) أبو المحاسن على بن الحسين بن على
مروج الذهب ومعادن الجوهر — باريس سنة ١٨٧٤ م.

٢٦ — المقريزى (ت ٨٤٥ هـ) تقى الدين أحمد بن على
كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك (ج ١، ٢)
(صححه ونشره الأستاذ الدكتور محمد مصطفى زيادة — القاهرة سنة ١٩٣٦ — ١٩٤١ م)

٢٧ — ابن ميسر (ت ٦٧٧ هـ) محمد بن على بن يوسف بن جلب
أخبار مصر
(صححه ونشره الأستاذ هنرى ماسيه — القاهرة سنة ١٩١٩ م)

٢٨ — ميخائيل عواد: المآصر فى بلاد الروم والإسلام — بغداد ١٩٤٨.

٢٩ — ياقوت (ت ٦٢٦ هـ) شهاب الدين أبو عبد الله الحموى الرومى
معجم البلدان — القاهرة سنة ١٩٠٦ م

ثانياً — المراجع الأفرنجيــــة

1 – **Atiya, (A. S.)**

The Crusade in the Later Middle Ages, London, 1938.

2 – Cambridge Mediaeval History, Vol 4, Cambridge 1942.

3 – Cambridge Modern History, Vol. 3, Cambridge 1907.

4 – **Gobham, (C. D.)**

(A) An Attempt at a bibliography of Cyprus, Nicosia, 1894.

(B) Excerpta Cypria-Materials for a History of Cyprus. Cambridge, 1908.

6 – **Creasy (E. S.)**

History of the Ottoman Turks, London 1854, 1878.

7 – **Cyprus :**

A Handbook prepared under the direction of the Historical Section of the British Foreign Office. London, 1920.

8 – **Eversley, (Lord)**

The Turkish Empire : Its Growth and Decay, London, 1917.

9 – **Febure, (L)**

A Geographical Introduction to History. London, 1932.

10 – **Gibbons, (H. A.)**

The Foundation of the Ottoman Empire, Oxford, 1916.

11 – **Grousset, (R.)**

Histoire des Croisades et du Royaume Franc de Jerusalem (3 vols) Paris, 1936.

12 – **Hammer, (J.)**

Histoire de l'Empire Ottoman depuis son Origine jusqu'a nos Jours - Traduit par J. J. Hellert. Paris, 1835–1843.

13 — **Heyd, (W.)**

Histoire du Commerce de Levant au Moyen-Age (2 vols) Leipzig, 1885.

14 — **Hill, (G.)**

A History of Cyprus (3 vols) Cambridge, 1940—1948.

15 — **Jauna, (D.)**

Histoire Générale des Royaumes de Chypre et de Jerusalem. Paris, 1747.

16 — **Kantorowicz, (E.)**

Fredrick the Second London, 1931.

17 — **King, (E. J.)**

The Knights Hospitallers in the Holy Land. London, 1931

18 — **Lamb, (H.)**

(A) The Crusades : Iron men and Saints. London, 1934.

(B) The Crusades : The Flame of Islam London, 1935.

20 — **Lang, (R. H.)**

Chypre : Son Passé, Son Present et son Avenir. Paris, 1879

21 — **Latrie, (L. de Mas)**

L'Ile de Chypre Sa Situation Presente et ses Souvenirs du Moyen Ages. Paris, 1879.

22 — **Lavisse, (E) & Rambaud (A)**

Histoire Générale Paris, 1896

23 — **Lucas, (C. P.)**

A Historical Geography of the Mediterranean and Estern Colonies. Oxford, 1906.

24 — **Ludwig, (E.)**

La Mediterranée ; Destinée d'une Mer (2 Vols.) New York, 1943

25 — **Machaut, (G.)**

La Prise de l'Alexandrie ou Chronique de roi Pierre 1er Lusignan Publiée par Mas Latrie, Geneve, 1877.

26 — **Makhiaras, (L.)**

Recital Concerning the Sweet Land of Cyprus.
Edited by Dawkins. (2 vols) Oxford, 1932.

27 — **Michaud :**

Histoire des Croisades (4 vols.) Paris, 1867.

28 — **Norgate, (K.)**

Richard the Lion Heart London, 1924.

29 — **D'Ohsson, (M. C.)**

Tableau Général de l'Empire Othoman. Paris, 1824.

30 — **Oman, (C W. C.)**

(A) A History of the Art of War in the Sixteenth Century. London, 1937.

(B) The Byzantine Empire. London, 1915.

32 — **Orr, (C. W. J.)**

Cyprus under British Rule London, 1918.

33 — **Recueil des Historiens des Croisades :**

(A) Historiens Orientaux (Paris, 1887).
(B) ,, Occidentaux (Paris, 1840).
(C) ,, Armeniens (Paris, 1869)

34 — **Schlumberger, (G.)**

Prise de Saint Jean d'Acre En l'an 1291 Par l'armee de Soudan d'Egypte, Paris, 1914.

35 — **Semple, (E. C.)**

The Influence of Geographical Environment, London, 1911

36 — **Stevenson, (W. B)**

The Crusaders in the East Cambridge, 1907

37 – **Stubbs, (W.)**

Seventeen Lectures on Mediaeval and Modern History Oxford, 1900.

38 – **Vasiliev, (A.A.)**

Histoire de l'Empire Byzantin (2 vols.) Paris, 1932.
(English Translation by S. Ragzon. Madison, 1928).

39 – **Wiet, (G.)**

(A) L'Egypte Musulmane en Histoire de la Nation Egyptienne
(B) L'Egypte Musulmane en Precis de l'Histoire d'Egypte. Le Caire, 1932.

41 – **Wright, (J. K)**

Geographical Lore of the Time of the Crusades. New York, 1925.

42 – **Ziada, (M.M.)**

(A) Foreign Relations of Egypt in the Fifteenth Century.
(B) The Mamluk Conquest of Cyprus in the Fifteenth Century (Bulletin of the Faculty of Arts, Cairo).

43 – Imperial Byzantine Coins in the British Museum vol 11. London, 1908.

44 – Great Britain and the East ; Cyprus. February, 1937.

45 – Encyclopaedia Britannica ; U. S. A. ; 1932.

46 – Encyclopaedia of Islam, Leyden, 1913.

47 – **Zambaur :**

Manuel de Généologie et de Chronologie pour l'Histoire de l'Islam. (Hanovre, 1927).

فهرس الأعلام

(ا)

(ب)

(ت)

(ث)

(ج)

(ح)

(خ)

(د)

(ش)

(ص)

(ط)

(ع)

(ك)

(ن)

(هـ)

(و)

(ى)

تصويب

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٤٦	٤	من ناحية البحر	من ناحية البر
٧٠	٦	أرو با	أور با
٧٧	١	طرابس	طرابلس
٨٥	٢٠	خطير(١)	خطير(٤)
١٠٠	١٥	لم يكد فى حسابهم	لم يكن فى حسبانهم
١٧٦	١٢	وقررو أن يرجوا	وقرروا أن يرجو

تم الكتاب بحمد الله

صدر فى هذه السلسلة

١ ـ مصطفى كامل فى محكمة التاريخ،
د . عبد العظيم رمضان، ط ١، ١٩٨٧، ط ٢، ١٩٩٤.

٢ ـ على ماهر،
رشوان محمود جاب الله، ١٩٨٧.

٣ ـ ثورة يوليو والطبقة العاملة،
عبد السلام عبد الحليم عامر، ١٩٨٧.

٤ ـ التيارات الفكرية فى مصر المعاصرة،
د . محمد نعمان جلال، ١٩٨٧.

٥ ـ غارات أوروبا على الشواطىء المصرية فى العصور الوسطى،
د. علية عبد السميع الجنزورى، ١٩٨٧.

٦ ـ هؤلاء الرجال من مصر جـ١ ،
لمعى المطيعى، ١٩٨٧.

٧ ـ صلاح الدين الأيوبى،
د . عبد المنعم ماجد، ١٩٨٧.

٨ ـ رؤية الجبرتى لأزمة الحياة الفكرية،
د . على بركات، ١٩٨٧.

٩ ـ صفحات مطوية من تاريخ الزعيم مصطفى كامل،
د . محمد أنيس، ١٩٨٧.

١٠ ـ توفيق دياب ملحمة الصحافة الحزبية،
محمود فوزى، ١٩٨٧.

١١ ـ مائة شخصية مصرية وشخصية،
شكرى القاضى، ١٩٨٧.

١٢ ـ هدى شعراوى وعصر التنوير،
د . نبيل راغب، ١٩٨٨.

١٣ ـ أكذوبة الاستعمار المصرى للسودان: رؤية تاريخية،
د . عبدالعظيم رمضان، ط ١ ١٩٨٨، ط ٢، ١٩٩٤.

١٤ ـ مصر فى عصر الولاة، من الفتح العربى إلى قيام الدولة الطولونية،
د . سيدة إسماعيل كاشف، ١٩٨٨.

١٥ ـ المستشرقون والتاريخ الإسلامى،
د . على حسنى الخربوطلى، ١٩٨٨.

١٦ ـ فصول من تاريخ حركة الإصلاح الاجتماعى فى مصر: دراسة عن دور الجمعية الخيرية (١٨٩٢-١٩٥٢)،
د . حلمى أحمد شلبى، ١٩٨٨.

١٧ ـ القضاء الشرعى فى مصر فى العصر العثمانى،
د . محمد نور فرحات، ١٩٨٨.

١٨ ـ الجوارى فى مجتمع القاهرة المملوكية،
د . على السيد محمود، ١٩٨٨.

١٩ ـ مصر القديمة وقصة توحيد القطرين،
د . أحمد محمود صابون، ١٩٨٨.

٢٠ ـ دراسات فى وثائق ثورة ١٩١٩: المراسلات السرية بين سعد زغلول وعبدالرحمن فهمى،
د . محمد أنيس، ط ٢، ١٩٨٨.

٢١ ـ التصوف فى مصر إبان العصر العثمانى جـ١ ،
د. توفيق الطويل، ١٩٨٨.

٢٢ - نظرات فى تاريخ مصر،
جمال بدوى، ١٩٨٨

٢٣ - التصوف فى مصر إبان العصر العثمانى جـ٢ ، إمام التصوف فى مصر: الشعرانى،
د. توفيق الطويل، ١٩٨٨.

٢٤ - الصحافة الوفدية والقضايا الوطنية (١٩١٩-١٩٣٦)،
د . نجوى كامل، ١٩٨٩.

٢٥ - المجتمع الإسلامى والغرب،
تأليف: هاملتون جب وهارولد بووين،
ترجمة : د . أحمد عبد الرحيم مصطفى، ١٩٨٩.

٢٦ - تاريخ الفكر التربوى فى مصر الحديثة،
د . سعيد إسماعيل على، ١٩٨٩.

٢٧ - فتح العرب لمصر جـ١ ،
تأليف : ألفريد ج. بتلر، ترجمة : محمد فريد أبو حديد، ١٩٨٩.

٢٨ - فتح العرب لمصر جـ٢ ،
تأليف : ألفريد ج. بتلر، ترجمة : محمد فريد أبو حديد، ١٩٨٩.

٢٩ - مصر فى عهد الإخشيديين،
د . سيدة إسماعيل كاشف، ١٩٨٩.

٣٠ - الموظفون فى مصر فى عهد محمد على،
د . حلمى أحمد شلبى، ١٩٨٠.

٣١ - خمسون شخصية مصرية وشخصية،
شكرى القاضى، ١٩٨٩.

٣٢ - هؤلاء الرجال من مصر جـ٢ ،
لمعى المطيعى، ١٩٨٩.

٣٣ - مصر وقضايا الجنوب الافريقى: نظرة على الأوضاع الراهنة ورؤية مستقبلية،
د . خالد محمود الكومى، ١٩٨٩.

٣٤ - تاريخ العلاقات المصرية المغربية، منذ مطلع العصور الحديثة حتى عام ١٩١٢،
د . يونان لبيب رزق، محمد مزين، ١٩٩٠.

٣٥ - أعلام الموسيقى المصرية عبر ١٥٠ سنة.
عبدالحميد توفيق زكى، ١٩٩٠.

٣٦ - المجتمع الإسلامى والغرب جـ ٢ ،
تأليف : هاملتون بووين، ترجمة : د. أحمد عبدالرحيم مصطفى، ١٩٩٠.

٣٧ - الشيخ على يوسف وجريدة المؤيد: تاريخ الحركة الوطنية فى ربع قرن،
تأليف : د . سليمان صالح، ١٩٩٠.

٣٨ - فصول من تاريخ مصر الاقتصادى والاجتماعى فى العصر العثمانى،
د . عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم، ١٩٩٠.

٣٩ - قصة احتلال محمد على لليونان (١٨٢٤-١٨٢٧)،
د. جميل عبيد، ١٩٩٠.

٤٠ - الأسلحة الفاسدة ودورها فى حرب فلسطين ١٩٤٨،
د . عبدالمنعم الدسوقى الجميعى، ١٩٩٠.

٤١ - محمد فريد: الموقف والمأساة، رؤية عصرية،
د . رفعت السعيد، ١٩٩١.

٤٢ - تكوين مصر عبر العصور،
محمد شفيق غربال، ط ٢، ١٩٩٠.

٤٣ - رحلة فى عقول مصرية،
إبراهيم عبد العزيز، ١٩٩٠.

٤٤ - الأوقاف والحياة الاقتصادية فى مصر، فى العصر العثمانى،
د . محمد عفيفى، ١٩٩١.

٤٥ - الحروب الصليبية جـ ١ ،
تأليف : وليم الصورى، ترجمة وتقديم: د . حسن حبشى، ١٩٩١.

٤٦ - تاريخ العلاقات المصرية الأمريكية (١٩٣٩ : ١٩٥٧)،
ترجمة: د . عبد الرؤوف أحمد عمرو، ١٩٩١.

٤٧ـ **تاريخ القضاء المصرى الحديث،**
د . لطيفة محمد سالم، ١٩٩١ .
٤٨ ـ **الفلاح المصرى بين العصر القبطى والعصر الإسلامى،**
د . زبيدة عطا، ١٩٩١ .
٤٩ ـ **العلاقات المصرية الإسرائيلية (١٩٤٨ـ١٩٧٩)،**
د . عبد العظيم رمضان، ١٩٩٢ .
٥٠ ـ **الصحافة المصرية والقضايا الوطنية (١٩٤٦ـ١٩٥٤)،**
د . سهير اسكندر، ١٩٩٣ .
٥١ـ **تاريخ المدارس فى مصر الإسلامية،**
(أبحاث الندوة التى أقامتها لجنة التاريخ والآثار بالمجلس الأعلى للثقافة، فى إبريل ١٩٩١)، أعدها للنشر: د . عبد العظيم رمضان، ١٩٩٢ .
٥٢ ـ **مصر فى كتابات الرحالة والقناصل الفرنسيين فى القرن الثامن عشر،**
د . إلهام محمد على ذهنى، ١٩٩٢ .
٥٣ـ **أربعة مؤرخين وأربعة مؤلفات من دولة المماليك الجراكسة،**
د . محمد كمال الدين عز الدين على، ١٩٩٢ .
٥٤ـ **الأقباط فى مصر فى العصر العثمانى،**
د . محمد عفيفى، ١٩٩٢ .
٥٥ـ **الحروب الصليبية جـ٢،**
تأليف : وليم الصورى ترجمة وتعليق : د . حسن حبشى، ١٩٩٢ .
٥٦ ـ **المجتمع الريفى فى عصر محمد على: دراسة عن إقليم المنوفية،**
د . حلمى أحمد شلبى، ١٩٩٢ .
٥٧ـ **مصر الإسلامية وأهل الذمة،**
د . سيدة إسماعيل كاشف، ١٩٩٢ .
٥٨ـ **أحمد حلمى سجين الحرية والصحافة،**
د . إبراهيم عبدالله المسلمى، ١٩٩٣ .
٥٩ ـ **الرأسمالية الصناعية فى مصر، من التمصير إلى التأميم (١٩٥٧ـ١٩٦١)،**
د . عبد السلام عبدالحليم عامر، ١٩٩٣ .
٦٠ـ **المعاصرون من رواد الموسيقى العربية،**
عبد الحميد توفيق زكى، ١٩٩٣ .
٦١ـ **تاريخ الاسكندرية فى العصر الحديث،**
د . عبد العظيم رمضان، ١٩٩٣ .
٦٢ـ **هؤلاء الرجال من مصر جـ٣،**
لمعى المطيعى، ١٩٩٣ .
٦٣ـ **موسوعة تاريخ مصر عبر العصور: تاريخ مصر الإسلامية،**
تأليف: د . سيدة إسماعيل كاشف، جمال الدين سرور، وسعيد عبدالفتاح عاشور، أعدها للنشر: د . عبدالعظيم رمضان، ١٩٩٣ .
٦٤ ـ **مصر وحقوق الإنسان، بين الحقيقة والإفتراء: دراسة وثائقية،**
د . محمد نعمان جلال، ١٩٩٣ .
٦٥ـ **موقف الصحافة المصرية من الصهيونية (١٨٩٧ـ١٩١٧)،**
د . سهام نصار، ١٩٩٣ .
٦٦ـ **المرأة فى مصر فى العصر الفاطمى،**
د . نريمان عبد الكريم أحمد، ١٩٩٣ .
٦٧ ـ **مساعى السلام العربية الإسرائيلية: الأصول التاريخية،**
(أبحاث الندوة التى أقامتها لجنة التاريخ والآثار بالمجلس الأعلى للثقافة، بالإشتراك مع قسم التاريخ بكلية البنات جامعة عين شمس، فى إبريل ١٩٩٣)، أعدها للنشر د. عبدالعظيم رمضان، ١٩٩٣ .
٦٨ـ **الحروب الصليبية جـ٣،**
تأليف : وليم الصورى
ترجمة وتعليق : د . حسن حبشى، ١٩٩٣ .
٦٩ـ **نبوية موسى ودورها فى الحياة المصرية (١٨٨٦ـ١٩٥١)،**
د . محمد أبو الإسعاد، ١٩٩٤ .

٧٠ـ **أهل الذمة فى الإسلام،**
تأليف : أ. س. ترتون
ترجمة وتعليق: د. حسن حبشى، ط ٢، ١٩٩٤.

٧١ـ **مذكرات اللورد كلبرن (١٩٣٤ـ١٩٤٦)،**
إعداد: تريفور إيفانز، ترجمة : د. عبد الرؤوف أحمد عمرو، ١٩٩٤.

٧٢ـ **رؤية الرحالة المسلمين للأحوال المالية والاقتصادية فى العصر الفاطمى (٣٥٨ـ٥٦٧هـ)،**
د. أمينة أحمد إمام، ١٩٩٤.

٧٣ـ **تاريخ جامعة القاهرة،**
ـ. رؤوف عباس حامد، ١٩٩٤.

٧٤ـ **تاريخ الطب والصيدلة المصرية، جـ١، فى العصر الفرعونى،**
د. سمير يحيى الجمال، ١٩٩٤.

٧٥ـ **أهل الذمة فى مصر، فى العصر الفاطمى الأول،**
د. سلام شافعى محمود، ١٩٩٥.

٧٦ـ **دور التعليم المصرى فى النضال الوطنى (زمن الإحتلال البريطانى)،**
د. سعيد إسماعيل على، ١٩٩٥.

٧٧ـ **الحروب الصليبية جـ٤،**
تأليف : وليم الصورى، ترجمة وتعليق: د. حسن حبشى، ١٩٩٤.

٧٨ـ **تاريخ الصحافة السكندرية (١٨٧٣ـ١٨٩٩)،**
نعمات أحمد عثمان، ١٩٩٥.

٧٩ـ **تاريخ الطرق الصوفية فى مصر، فى القرن التاسع عشر،**
تأليف : فريد دى يونج، ترجمة : عبد الحميد فهمى الجمال، ١٩٩٥.

٨٠ـ **قناة السويس والتنافس الاستعمارى الأوربى (١٨٨٢ـ١٩٠٤)،**
د. السيد حسين جلال، ١٩٩٥.

٨١ـ **تاريخ السياسة والصحافة المصرية من هزيمة يونيو إلى نصر أكتوبر،**
د. رمزى ميخائيل، ١٩٩٥.

٨٢ـ **مصر فى فجر الإسلام، من الفتح العربى إلى قيام الدولة الطولونية،**
د. سيدة إسماعيل كاشف، ط ٢، ١٩٩٤.

٨٣ـ **مذكراتى فى نصف قرن جـ١،**
أحمد شفيق باشا، ط ٢، ١٩٩٤.

٨٤ـ **مذكراتى فى نصف قرن جـ٢ ـ القسم الأول،**
أحمد شفيق باشا، ط ٢، ١٩٩٥.

٨٥ـ **تاريخ الإذاعة المصرية : دراسة تاريخية (١٩٣٤ ـ ١٩٥٢)،**
د. حلمى أحمد شلبى، ١٩٩٥.

٨٦ـ **تاريخ التجارة المصرية فى عصر الحرية الاقتصادية (١٨٤٠ ـ ١٩١٤)،**
د. أحمد الشربينى، ١٩٩٥.

٨٧ـ **مذكرات اللورد كليرن، جـ ٢، (١٩٣٤ ـ ١٩٤٦)،**
إعداد : تريفور إيفانز، ترجمة وتحقيق، د. عبدالرؤوف أحمد عمرو ١٩٩٥.

٨٨ـ **التذوق الموسيقى وتاريخ الموسيقى المصرية،**
عبدالحميد توفيق زكى، ١٩٩٥.

٨٩ـ **تاريخ الموانىء المصرية فى العصر العثمانى،**
د. عبدالحميد حامد سليمان، ١٩٩٥.

٩٠ـ **معاملة غير المسلمين فى الدولة الإسلامية،**
د. نريمان عبدالكريم أحمد، ١٩٩٦.

٩١ـ **تاريخ مصر الحديثة والشرق الأوسط،**
تأليف: بيتر مانسفيلد، ترجمة: عبدالحميد فهمى الجمال، ١٩٩٦.

٩٢ـ **الصحافة الوفدية والقضايا الوطنية (١٩١٩ ـ ١٩٣٦)،**
جـ ٢، د. نجوى كامل، ١٩٩٦.

٩٣ ـ قضايا عربية فى البرلمان المصرى (١٩٢٤ ـ ١٩٥٨)،
د. نبيه بيومى عبدالله، ١٩٩٦.

٩٤ ـ الصحافة المصرية والقضايا الوطنية (١٩٤٦ ـ ١٩٥٤)،
د. سهير إسكندر، ١٩٩٦.

٩٥ ـ مصر وأفريقيا الجذور التاريخية للمشكلات الأفريقية المعاصرة (أعمال ندوة لجنة التاريخ والآثار بالمجلس الأعلى للثقافة بالاشتراك مع معهد البحوث والدراسات الأفريقية بجامعة القاهرة)،
إعداد أ. د. عبد العظيم رمضان

٩٦ ـ عبدالناصر والحرب العربية الباردة (١٩٥٨ ـ ١٩٧٠)،
تأليف: مالكولم كير، ترجمة د. عبدالرؤوف أحمد عمرو.

٩٧ ـ العربان ودورهم فى المجتمع المصرى فى النصف الأول من القرن التاسع عشر،
د. إيمان محمد عبد المنعم عامر.

٩٨ ـ هيكل والسياسة الأسبوعية،
د. محمد سيد محمد.

٩٩ ـ تاريخ الطب والصيدلة المصرية (العصر اليونانى ـ الرومانى) جـ ٢،
د. سمير يحيى الجمال

١٠٠ ـ موسوعة تاريخ مصر عبر العصور: تاريخ مصر القديمة،
أ. د. عبد العزيز صالح، أ. د. جمال مختار، أ. د. محمد ابراهيم بكر، أ.د. ابراهيم نصحى، أ. د. فاروق القاضى، أعدها للنشر: أ. د. عبدالعظيم رمضان

١٠١ ـ ثورة يوليو والحقيقة الغائبة.
اللواء/ مصطفى عبدالمجيد نصير، اللواء/ عبدالمجيد كفافى،
اللواء/ سعد عبدالحفيظ، السفير/ جمال منصور

١٠٢ ـ المقطم جريدة الاحتلال البريطانى فى مصر ١٨٨٩ ـ ١٩٥٢
د. تيسير أبو عرجة

١٠٣ ـ رؤية الجبرتى لبعض قضايا عصره
د. على بركات

١٠٤ ـ تاريخ العمال الزراعيين فى مصر (١٩١٤ ـ ١٩٥٢)
د. فاطمة علم الدين عبد الواحد

١٠٥ ـ السلطة السياسية فى مصر وقضية الديموقراطية ١٨٠٥ ـ ١٩٨٧ .
د. أحمد فارس عبدالمنعم

١٠٦ ـ الشيخ على يوسف وجريدة المؤيد (تاريخ الحركة الوطنية فى ربع قرن).
د. سليمان صالح

١٠٧ ـ الأصولية الإسلامية.
تأليف: دليب هيرو: ترجمة: عبدالحميد فهمى الجمال.

١٠٨ ـ مصر للمصريين جـ ٤.
سليم النقاش

١٠٩ ـ مصر للمصريين جـ ٥.
سليم النقاش

١١٠ ـ مصادرة الأملاك فى الدولة الإسلامية (عصر سلاطين المماليك) جـ ١.
د. البيومى اسماعيل الشربينى.

١١١ ـ مصادرة الأملاك فى الدولة الإسلامية (عصر سلاطين المماليك) جـ ٢.
د. البيومى إسماعيل الشربينى.

١١٢ ـ إسماعيل باشا صدقى
د. محمد محمد الجوادى.

١١٣ ـ الزبير باشا ودوره فى السودان (فى عصر الحكم المصرى)
د. عز الدين إسماعيل.

١١٤ ـ دراسات فى تاريخ مصر الاجتماعى
تأليف أحمد رشدى صالح

١١٥ ـ مذكراتى فى نصف قرن جـ ٣.
أحمد شفيق باشا.
١١٦ ـ أديب اسحق (عاشق الحرية)
علاء الدين وحيد
١١٧ ـ تاريخ القضاء فى مصر العثمانية (١٥١٧ ـ ١٧٩٨)
عبد الرزاق إبراهيم عيسى
١١٨ ـ النظم المالية فى مصر والشام
د. البيومى اسماعيل الشربينى
١١٩ ـ النقابات فى مصر الرومانية
حسين محمد أحمد يوسف
١٢٠ ـ يوميات من التاريخ المصرى الحديث
لويس جرجس
١٢١ ـ الجلاء ووحدة وادى النيل (١٩٤٥ ـ ١٩٥٤)
د. محمد عبد الحميد الحناوى
١٢٢ ـ مصر للمصريين جـ٦
سليم خليل النقاش
١٢٣ ـ السيد أحمد البدوى
د. سعيد عبد الفتاح عاشور
١٢٤ ـ العلاقات المصرية الباكستانية فى نصف قرن
د. محمد نعمان جلال
١٢٥ ـ مصر للمصريين جـ٧
سليم خليل النقاش
١٢٦ ـ مصر للمصريين جـ ٨
سليم خليل النقاش
١٢٧ ـ مقدمات الوحدة المصرية السورية (١٩٤٣ ـ ١٩٥٨)،
ابراهيم محمد محمد ابراهيم.
١٢٨ ـ معارك صحفية،
بقلم/ جمال بدوى.
١٢٩ ـ الدين العام (وأثره فى تطور الدين المصرى) (١٨٧٦-١٩٤٣).
د. يحيى محمد محمود
١٣٠ ـ تاريخ نقابات الفنانين فى مصر (١٩٨٧-١٩٩٧).
سمير فريد.
١٣١ ـ الولايات المتحدة وثورة يولية ١٩٥٢م.
ترجمة/ د. عبدالرءوف أحمد عمر.
١٣٢ ـ دار المندوب السامى فى مصر جـ١
د. ماجدة محمد حمود.
١٣٣ ـ دار المندوب السامى فى مصر جـ٢.
د. ماجدة محمد حمود.
١٣٤ ـ الحملة الفرنسية على مصر فى ضوء مخطوط عثمانى للدارندلى.
بقلم/ عزت حسن أفندى الدارندلى
ترجمة/ جمال سعيد عبد الغنى.
١٣٥ ـ اليهود فى مصر المملوكية (فى ضوء وثائق الجنيزة) (٦٤٨ ـ ٩٢٣هـ/ ١٢٥٠ ـ ١٥١٧م) د. محاسن محمد الوقاد
١٣٦ ـ أوراق يوسف صديق
تقديم/ أ. د. عبد العظيم رمضان
١٣٧ ـ تجار التوابل فى مصر فى العصر المملوكى
د. محمد عبد الغنى الأشقر
١٣٨ ـ الإخوان المسلمون وجذور التطرف الدينى والإرهاب فى مصر
السيد يوسف
١٣٩ ـ موسوعة الغناء المصرى فى القرن العشرين
بقلم محمد قابيل
١٤٠ ـ سياسة مصر فى البحر الأحمر فى النصف الأول من القرن التاسع عشر ١٢٢٦ ـ ١٢٦٥هـ ١٨١١ ـ ١٨٤٨م.
طارق عبد العاطى غنيم بيومى
١٤١ ـ وسائل الترفيه فى عصر سلاطين المماليك.
لطفى أحمد نصار
١٤٢ ـ مذكراتى فى نصف قرن جـ٣
أحمد شفيق باشا ط٢، ١٩٩٩.

١٤٣ ـ دبلوماسية البطالمة فى القرنين الثانى والأول ق . م
د. منيرة محمد الهمشرى
١٤٤ ـ كشوف مصر الافريقية فى عهد الخديوى اسماعيل
د. عبدالعليم خلاف
١٤٥ ـ النظام الادارى والاقتصادى فى مصر فى عهد دقلديانوس (٢٨٤ ـ ٣٠٥م)
د. منيرة محمد الهمشرى
١٤٦ ـ المرأة فى مصر المملوكية
د. أحمد عبدالرازق
١٤٧ ـ حسن البنا متى.. كيف .. ولماذا؟
د. رفعت السعيد
١٤٨ ـ القديس مرقس وتأسيس كنيسة الاسكندرية
تأليف / د. سمير فوزى
ترجمة / نسيم مجلى
١٤٩ ـ العلاقات المصرية الحجازية
فى القرن الثامن عشر
حسام محمد عبد المعطى
١٥٠ ـ تاريخ الموسيقى المصرية (أصولها وتطورها)
د. سمير يحيى الجمال
١٥١ ـ جمال الدين الأفغانى والثورة الشاملة
السيد يوسف
١٥٢ـ الطبقات الشعبية فى القاهرة المملوكية
(٦٤٨ ـ ٩٢٣ هـ / ١٢٥٠ ـ ١٥١٧م)
د. محاسن محمد الوقاد
١٥٣ـ الحروب الصليبية (المقدمات السياسية)
د. علية عبد السميع الجنزورى
١٥٤ـ هجمات الروم البحرية على شواطئ مصر الإسلامية فى العصور الوسطى
د. علية عبد السميع الجنزورى
١٥٥ـ عصر محمد على ونهضة مصر فى القرن التاسع عشر
(١٨٠٥ ـ ١٨٨٣م)
د. عبد الحميد البطريق
١٥٦ـ تاريخ الطب والصيدلة المصرية
الجزء الثالث
فى العصر الإسلامى
د. سمير يحيى الجمال
١٥٧ـ تاريخ الطب والصيدلة المصرية
الجزء الرابع
فى العصر الإسلامى والحديث
د. سمير يحيى الجمال
١٥٨ـ نائب السلطنة المملوكية فى مصر
(٦٤٨ ـ ٩٢٣هـ / ١٢٥٠ ـ ١٥١٧م)
د. محمد عبد الغنى الأشقر
١٥٩ـ حزب الوفد (١٩٣٦ ـ ١٩٥٢)
الجزء الأول
د. محمد فريد حشيش
١٦٠ـ حزب الوفد (١٩٣٦ ـ ١٩٥٢)
الجزء الثانى
د. محمد فريد حشيش
١٦١ـ السيف والنار فى السودان
تأليف / سلاطين باشا
١٦٢ـ السياسة المصرية تجاه السودان (١٩٣٦ ـ ١٩٥٣م)
د. تمام همام تمام
١٦٣ـ مصر والحملة الفرنسية
المستشار/ محمد سعيد العشماوى
١٦٤ـ الحدود المصرية السودانية عبر التاريخ
(أعمال ندوة لجنة التاريخ والآثار بالمجلس الأعلى للثقافة) بالاشتراك مع معهد البحوث والدراسات الأفريقية بجامعة القاهرة ٢٠ . ٢١ ديسمبر ١٩٩٧م.
إعداد / د. عبدالعظيم رمضان
١٦٥ـ التعليم والتغير الاجتماعى فى مصر
(فى القرن التاسع عشر)
سامى سليمان محمد السهم
١٦٦ـ مذكرات معتقل سياسى (صفحة من تاريخ

مصر)
السيد يوسف
١٦٧ـ الحركة العلمية والأدبية فى الفسطاط منذ الفتح العربى إلى نهاية الدولة الأخشيدية
د. صفى على محمد عبدالله
١٦٨ـ مؤرخون مصريون من عصر الموسوعات
يسرى عبد الغنى
١٦٩ـ مدن مصر الصناعية فى العصر الإسلامى إلى نهاية عصر الفاطميين (٢١ ـ ٥٦٧هـ / ٦٤٢ ـ ١١٧١م)
د. صفى على محمد عبد الله
١٧٠ـ القرية المصرية فى عصر سلاطين المماليك (٦٤٨ ـ ٩٢٣هـ / ١٢٥٠ ـ ١٥١٧م)
مجدى عبد الرشيد بحر
١٧١ـ تاريخ الجالية الأرمنية فى مصر
القرن التاسع عشر
تأليف / محمد رفعت
١٧٢ـ تاريخ أهل الذمة فى مصر الإسلامية
(من الفتح العربى إلى نهاية العصر الفاطمى)
الجزء الأول
تأليف / فاطمة مصطفى عامر
١٧٣ـ تاريخ أهل الذمة فى مصر الإسلامية
(من الفتح العربى إلى نهاية العصر الفاطمى)
الجزء الثانى
تأليف / فاطمة مصطفى عامر
١٧٤ـ مصر وليبيا فيما بين القرن السابع والقرن الرابع ق.م
د. أحمد عبد الحليم دراز
١٧٥ ـ محمد توفيق نسيم باشا ودورة فى الحياة السياسية
عادل إبراهيم الطويل
١٧٦ ـ الملاحة النيلية فى مصر العثمانية
١٥١٧ ـ ١٧٩٨م
د. عبدالحميد حامد سليمان
١٧٧ ـ سياسة مصر العسكرية
ازاء حروب الشرق الأوسط
لواء دكتور/ صلاح سالم
١٧٨ ـ العلاقات التجارية بين مصر وبلاد الشام الكبرى
فى القرن الثامن عشر
د. سحر على حنفى
١٧٩ ـ دور الحامية العثمانية فى تاريخ مصر
(١٥٦٤ ـ ١٦٠٩ م)
د. عفاف مسعد السيد العبد
١٨٠ ـ الحقيقة التاريخية حول قرار تأميم شركة قناة السويس
بقلم / د. عبدالعظيم رمضان
١٨١ ـ الحرب الصليبية الثالثة (صلاح الدين وريتشارد جـ١)
ترجمة وتحقيق وتعليق / أ. د. حسن حبشى
١٨٢ ـ الحرب الصليبية الثالثة (صلاح الدين وريتشارد جـ٢)
ترجمة وتحقيق وتعليق / أ. د. حسن حبشى
١٨٣ ـ شاهد على العصر
مذكرات محمد لطفى جمعة
١٨٤ ـ المنوفية فى القرن الثامن عشر
ياسر عبد المنعم محاريق
١٨٥ ـ تاريخ مدينة الخرطوم تحت الحكم المصرى
١٨٢٠ ـ ١٨٨٥م
د. أحمد أحمد سيد أحمد
١٨٦ ـ العقائد الدينية فى مصر المملوكية بين الإسلام والتصوف
د. أحمد صبحى منصور

١٨٧ ـ نيابة حلب في عصر سلاطين المماليك (١٢٥٠ ـ ١٥١٧ م/ ٦٤٨ ـ ٩٢٣ هـ) جـ ١
د· عادل عبد الحافظ حمزة

١٨٨ ـ نيابة حلب في عصر سلاطين المماليك (١٢٥٠ ـ ١٥١٧ م/ ٦٤٨ ـ ٩٢٣ هـ) جـ ٢
د· عادل عبد الحافظ حمزة

١٨٩ ـ يهود مصر منذ عصر الفراعنة حتى عام ٢٠٠٠ م
عرفه عبده على

١٩٠ ـ العلاقات السياسية بين مصر والعراق (١٩٥١ ـ ١٩٦٣م)
د· عبد الحميد عبد الجليل احمد شلبى

١٦٠ ـ اليهود في مصر العثمانية حتى أوائل القرن التاسع عشر جـ ١
د· محسن على شومان ·

١٩٢ ـ اليهود فى مصر العثمانية حتى أوائل القرن التاسع عشر جـ ٢
د· محسن على شومان ·

١٩٣ ـ الامام محمد عبده بين المنهج الدينى الاجتماعى
د· عبد الله شحاته

١٩٤ ـ تاريخ الآلات الوسيقية الشعبية المصرية
د· فتحى الصنفاوى

١٩٥ ـ مجتمع افريقيا فى عصر الولاة
د· نريمان عبد الكريم أحمد

١٩٦ ـ تاريخ تطور الرى فى مصر (١٨٨٢ ـ ١٩١٤ م)
عبد العظيم محمد سعودى

١٩٧ ـ القدس الخالدة
د. عبد الحميد زايد

١٩٨ ـ العلاقات السياسية بين الدولة الأيوبية والامبراطورية الرومانية المقدسة زمن الحروب الصليبية
د. عادل عبدالحافظ حمزة

١٩٩ ـ المعبد فى الدولة الحديثة فى مصر الفرعونية
(تنظيمه الإدارى ودوره السياسى)
د. بهاء الدين ابراهيم محمود

٢٠٠ ـ تاريخ سواحل مصر الشمالية عبر العصور
(أعمال الندوة التى أقامتها لجنة التاريخ والآثار بالمجلس الأعلى للثقافة بالاشتراك مع كلية الآداب جامعة الإسكندرية فى يومى ٢٢، ٢٣ ابريل ١٩٩٨م)

اعداد/ د. عبدالعظيم رمضان

٢٠١ - إمــارة الحج فى مــصـــر العثمانية (٩٢٣ - ١٢١٣هـ / ١٥١٧ - ١٧٩٨م)
سميرة فهمى على عمر

٢٠٢ - المندوبون الســامـيـون فى مصر
د. ماجدة محمد حمود

٢٠٣ - الصراع الدولى على عدن والدور المصرى
فتحى أبو طالب

٢٠٤ - العلاقــات الاقتـصـادية بين مـصـر وبريطانيـا (١٩٣٥ - ١٩٤٥م)
مرفت صبحى غالى

٢٠٥ - تاريخ الـغـربـيــة وأعـمــالـهـا فى العصر الاسلامى (٢١ - ٥٦٧هـ / ٦٤٢ - ١١٧١م)
السيد محمد أحمد عطا

٢٠٦ - مصر للمصريين جـ٩
سليم خليل النقاش

٢٠٧ - الظاهر بيبرس
د. سعيد عبدالفتاح عاشور

٢٠٨ - الدور المــصـرى والـعـربى فى حـــرب تحـــرير الكويت جـ١
لواء/ د. كمال أحمد عامر

٢٠٩ - الدور المــصـرى والـعـربى فى حـــرب تحـــرير الكويت جـ٢
لواء/ د. كمال أحمد عامر

٢١٠ - قبرس والحروب الصليبية
د. سعيد عبدالفتاح عاشور

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الإيداع بدار الكتب ٣٩١٥ /٢٠٠٢

I.S.B.N 977 - 01 - 7729 - 5

يتناول هذا الكتاب «قبرس والحروب الصليبية» وينقسم إلى خمسة أبواب ويتناول الباب الأول علاقة قبرس بالدولة الإسلامية حتى زمن الحروب الصليبية، ويتحدث الباب الثانى عن دخول قبرس دائرة الحروب الصليبية، أما الباب الثالث فيتحدث عن قبرس ودولة المماليك الأولى، ويتحدث الباب الرابع عن قبرس ودولة المماليك الثانية، أما الباب الخامس فيتحدث عن قبرس والترك فى آسيا الصغرى.

٣٧٥ قرشا

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب